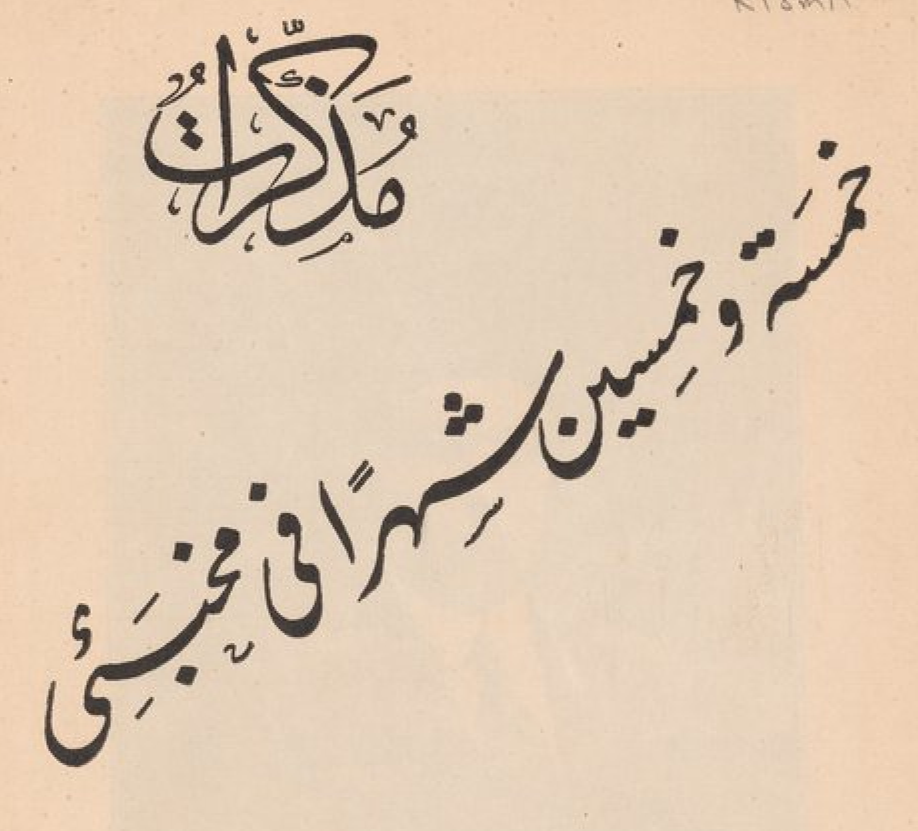


بقلم صاحبها

محمد شكرى الكرداوى

ليسانسيه فى التربية والآداب

الطبعة الأولى يناير عام ١٩٣٦

دار الطباعة الأهليه شارع الملكة نازلى ٢٩ قصر اللؤلؤة



صورة صاحب المذكرات

صورت فى أول المحرم عام ١٣٥٤ هـ

الموافق ٤ ابريل عام ١٩٣٥ م

بسم الله الرحمن الرحيم

أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ
(قرآن كريم)

المقـــدمة

نهضت الأمة المصرية وقطعت لاستكمال نهضتها مراحل بعضها أقوى من بعض حتى اشتد ساعدها عام ١٩١٩ وأصبحت تستهين بالصعاب والشدائد فامتحنها الدهر بحوادث القبض والاعتقالات ونفى الزعماء فلم يكن ذلك فيها إلا بوقاً نفخ فى صفوفها روح الصبر على المكاره والعمل على تدعيم جانب المقاومة وبذلك انقضى أوكاد عهد البث ومجرد الشكوى والتغنى بالآمال وحل عهد الرقابة الفعالة والمحاسبة الدقيقة وهذه مرحلة كبرى لنفسية الأمة هي المرحلة التى من الحتم اللازم قطعها على كل أمة تنشد العظمة والفلاح .

جرى ذلك فحدث على أثره أن اختلفت مظاهر الحياة السياسية فى مصر وانقلبت آياتها وصورها رأساً على عقب ومن أمثلة ذلك أن كانت وجهة نظر الشعب فى السياسة الخارجية تطابق وجهة نظر المشاهدين فى المسارح للروايات التمثيلية . فما كان اهتمامنا ينصرف

بكلياته إلا نحو تتبع الأخبار الخارجية للأمم فمن كان منها يمت إلينا بعلاقة ما هللنا له وكبرنا حين ظفره ومن كان خصما له خاصمناه أو كان حليفاً له صافيناه وإلى هذا الحد كانت تقف مشاعرنا وأفكارنا ولم تتجاوزه إلى الأمور الخاصة بنا كأمة مستقلة تمام الاستقلال .

أما اليوم فقد أصبحنا بفضل نهضتنا السياسية والاجتماعية قوامين على تصاريف شئوننا مدققين فى حركات زعمائنا مفكرين بجد وهمة فيما يصلح لنمو مدنيتنا وإسعادنا فى سائر أمورنا .

أصبح الانكليز يحسبون لوجودنا حساباً . أصبحت الأمم الأخرى تعتبرنا عنصراً حياً بينها . أصبح الوزراء يخشون حساب الأمة العسير . أصبح الأعيان يرهبون الرأى العام . أصبحت المدارس بيوتاً وطنية وحقولا لغرس بذور الفضائل ولا سيما الشجاعة الأدبية بعد أن كانت أماكن لبث الترهات والأضاليل فى نفوس النشء وتكبيلها بمختلف القيود وصب العقوبات على رأس من يتغنى بأناشيد الاستقلال وعظمة الوطن . أصبح الموظفون أكثر تعففاً وأبعد عن التملق والمراءآة . أصبح علماء الدين أقرب إلى قول الحق والتنزه عن مجاراة أغراض الحكام . أصبح العمال أكثر اتحاداً وأجرأ طلباً لحقوقهم المهضومة . أصبح الطلبة المتغربون أكثر طلباً للعلم واقتصاداً للمال . أصبح الأغنياء أشد سخاء وأعظم اهتماماً بالمشروعات المفيدة . وأصبح المستقبل أمام الصغار أسطع ضياء وأكثر تفاؤلا . وبالجملة صارت فروع الحياة المصرية أبهى منظرا وأنبل مقصدا مما كانت عليه قبل الانقلاب الأخير . والفضل كله فى ذلك لا ريب راجع إلى مظهر

الاتحاد والاستهانة بالشدائد، ذلك المظهر الذى بدا من الأمة أخيرا خلابا جاذبا فصب النفوس فى قالب آخر من القوالب الاجتماعية بعد أن طهرها من جراثيم الأوهام الباطلة أوهام التشبث بالحياة على أية صورة كانت وأبان للناس بطريقة عملية أن الحكومات لا يشتد ساعدها فى الظلم إلا من جراء ضعف الشعوب وانكماشها عن مجابهة الشدائد وأن الامم القوية لا تقبض يد من حديد على عنق الأمم الضعيفة إلا لأن العامل الأكبر فى ذلك يرجع إلى استسلام الضعيفة وتخاذلها أكثر مما يرجع إلى بطش القوية وجبروتها.

كم كتب الكتاب الأفذاذ وخطب الخطباء المصاقع زمنا طويلا، فلم يقدمنا ذلك إلا خطوة قصيرة، وما زلنا على ذلك حتى تقدم سعد باشا زغلول عام ١٩١٩ أمام أمته بجرأة بز بها من تقدمه من الزعماء على مالهم من فضل ومقام وصار يصدر المنشورات تلو المنشورات مذيلة بتوقيعه وتوقيع أنصاره، ثم هزأ بالصعاب رغم ضعفه وشيخوخته ولما قبض عليه خلفه سادة كرام حذوا حذوه وثبتوا ثباته. ثم بدأ نفر فى الاعتصاب ضد الحماية الباطلة. فكانت كل هذه الفصول العملية مجتمعة هى الموقعة الفاصلة بين القديم من نفسية الشعب والجديد منها، إذ هب الشعب على أثرها قائلا: إذا كان لا بد من الموت فما أجمله أن يكون فى سبيل الوطن. وإذا كان لا بد من الحياة فما أعزها حرة مستقلة. ولا مشاحة فى أن اقتران الأقوال بالأعمال ذلك المظهر الذى كان شعار تلك الفترة من تاريخ مصر استطاع أن ينظف الجو من سائر

المخاوف أمام الشعب الراقد المنكمش وأن يرفع روحه من حمأة الصغار إلى قمة المجد والفخار ..

إن مقالة في الصحف فى بلادنا هذه لا يقرؤها إلا المتعلمون وهم قليلون ولا يتعظ بها إلا النزر اليسير من هذه الأقلية . أما اتحاد عام ونهضة شاملة فمظهران عمليان يراهما الجهلاء والعلماء والصغار والكبار وربات الخدور والسفور ، يراهما كل هؤلاء بدرجة واحدة وفى وقت واحد ، فيكاشفانهم بأسرارهما ويطالعانهم بمراميهما بلا عناء ولا إبهام ويستمد كل فرد منهما لعقله ضياء ولقلبه سنادا بنصيب كنصيب سواه . ومن هنا كان زمن هذه الحوادث العملية فى بلادنا رغم سيادة الأمية هو ذلك الزمن الذى تغنى فيه بنشيد الوطنية أطفال الأزقة وبنات المنازل وسيدات الحجر ، وصارت الوطنية وكره الأجنبى الغاصب ومعاداة الحاكم الظالم والمطالبة بالحياة الدستورية عقائد هبطت فى النفوس إلى القرار ، فارتفع منها صوت يسمع واضحاً جلياً لا لبس فيه ولا خفوت . . .

لم يتلق الشعب هذه المبادىء والآمال من موسوعات الحكمة لأنه لا يعرف لغتها ، وإنما كانت اللغة التى يعرفها هى اللغة التى تخاطب بها العيون والآذان ، وليست هى اللغة التى يخاطب بها العقل المتعلم . فلما سمعت الآذان ورأت العيون ذلك المظهر الخلاب المنبعث من نور النهضة تساءل الناس ما ذا فى الأمر فأجيبوا : إن هناك حقوقا يجب استردادها ، إن هناك زعيما أهين وأسر لأنه يمثلنا ، فصارت كرامته جزءا لا يتجزأ من كرامة الأمة ، وصار الدفاع من أجله حتما مقضيا .

سمع العامة بأسرهم هـذا الجواب ، وما كان الذى سمعوه سوى صوت الطبيعة وإلهاماتها ، فأذعنوا له وهم لا يدرون كيف تغلغل فى معقولاتهم ، إذ أن تعاليم النهضة لا تدخل إلى النفوس إلا كالشعاع ما يكاد ينبعث حتى يسطع ضياؤه فى الأرجاء كافة . أما تعاليم العلماء ومقالات الكتاب الخاوية من روح العمل فلا تلقى سبيلها إلى القلوب إلا الفينة بعد الفينة ، ولشد ما سرى تيار التقليـد والحماسة على إثر ذلك إلى النفوس عامة فارتبطت وثيقا بالمطالب الساميـة :

جلاء الاحتلال — البرلمان — السودان .

عض الشعب بالنواجذ فى ظرف عام واحد على هـذه المطالب وتقلص عنه شبح الوهم الذى كان يقيم فى النفوس فيعقل الألسنة عن التصريح بها ويهاجم القلوب فيملؤها رعبا ومذلة ، وما كان هذا الوهم إلا صنما صقلته يد الأنانية فى الأحقاب الغابرة . وقديما كان الكتاب يبحثون عن المعول الصلد الذى يحطم ذلك الصنم من القلوب فلم يوفقوا حتى إذا ما لمعت سيوف النهضة فى آفاق مصر بهية وضاحة وضربت رقاب الخوف مفرية صداعة ، عثر النـاس على ذلك المعول مصادفة بغير عنـاء ووجدوه مخبوءا تحت ظلال الاتحاد وحوادث النهوض والاستبسال .

محمد شكري الكرداوي

لمحة من تاريخ حياتى قبل حادث الاختفاء

ولدت بمدينة المنصورة فى يوم ٤ اكتوبر عام ١٨٩٤ وأتممت الدراسة الابتدائية بها و الدراسة الثانوية بالاسكندرية ، ثم سافرت إلى الآستانة فى عام ١٩١٣ والتحقت بكلية الطب الشاهانية ، وفى صيف عام ١٩١٤ عدت إلى بلدتى المنصورة لتمضية العطلة الصيفية ، وأنا على نية الأوبة إلى الآستانة إذا ما انقضت العطلة الصيفية . ولم أكن أدرى أننا على أبواب حرب عظمى سوف تلتهم نيرانها العالم بأسره . فلما وقعت الحرب حيل بينى وبين العودة إلى الآستانة فطاب لى المقام بمدينة المنصورة حيث كنت . وفى يوم ١٨ ديسمبر عام ١٩١٤ روعت مصر باعلان الحماية البريطانية عليها رغم إرادة أهلها ، وقد استساغت قلة من أبنائها حصول هذا العدوان بل وساهموا فيه وجرت بعض الشئون على أيديهم ، فأثار هذا الحادث فى نفسى كل مقت وكراهية وقابلته بعقد نيتى على أن أكون أول فداء فى سبيل الاحتجاج الفعلى ضد الحماية الباطلة ومن قبلوها ، وأقدمت على تنفيذ النية ، واحتاج الأمر الى شراء مسدسات والتمرن على ضرب النار ، فتجولت فى الريف

أبحث عن ضالتي وساعدني في ذلك ابن خالتي حضرة عبدالحميد افندي اسماعيل ، واشترى لى عدداً من مسدسات لا بأس بها ولكنها من الطراز القديم وترددت على بلدة بيلا غربية ، وأطلقت كثيراً من الطلقات من المسدسات والبندقيات فى فترات مختلفة ، بمعاونة حضرة عبدالرحمن افندى النشاوى الذى عرفني به ابن خالتي المذكور .

وسافرت إلى القاهرة قبيل تتويج السلطان حسين كامل لضربه برصاص المسدس يوم التتويج ، وأقمت بطرف أحد الاخوان وتركت المسدسات بمنزله ، فأرسل إلى أهلى خطابا ينبئهم فيه بالخبر فحضر أخى على الفور ومعه بعض الأقارب وأكثروا من التهديد باخطار البوليس إذا لم اعد معهم فى الحال ، وكان حاضراً معنا وقتئذ حضرتا محمد افندى أمين منصور * وسلامه افندى محمد الخولى فعدت مع أقاربي إلى المنصورة وأجلت التنفيذ الى فرصة أخرى أنتهزها على حين غرة منهم .

وبينما أنا جالس بمنزلى بالمنصورة بعد ذلك بأيام قليلة إذ حضر إلىّ حضرة محمد افندى محمد خليل واستوضحنى الخبر فسردته عليه فى كثير من الحماسة وإلهاب الشعور فما كان منه إلا أن قابل كلامي بالموافقة التامة نحو الفكرة وباحساس شريف نحوى شخصياً وقال لى أنا فداء لك وللوطن وأنا بالنيابة عنك أنفذ ذلك وما عليك إلا أن تأمر وترمم ما تريده من الخطط .

---

* اقرأ فى ذيل الكتاب تقريراً مقدماً بخط يد حضرة محمد افندى أمين منصور شارحاً فيه ما رآه وما سمعه بنفسه وقتئذ وهذا التقرير منقول الى هذا الكتاب بالزنكغراف

ومحمد افندى محمد خليل هذا هو ابن عمتي شقيقة والدى و كان يعيش معنا فى معيشة واحدة منذ وفاة والدته وكانت لى شبه رياسة أدبيه عليه لكونه لم يتعلم إلا تعليما بسيطاً بالمنزل ولم يلتحق بمدرسة ما فى حياته . أما أنا فكنت طالباً بمدرسة عالية ، وقد لحظت عليه فى أيام سابقة سرعة انقياده لرغباتى والتحدث بالاعجاب بى وقت أن كنت غائباً عنه فى الآستانة ، وكان يراسلنى فيبث فى السطور ما يشير إلى هذا الاعجاب . وكان الذى يزور غرفته الخاصة يرى على الحائط إطاراً بديعاً يجمع فى زواياه الأربع صورة مصطفى كامل باشا وصورة على فهمي كامل بك وصورة محمد فريد بك وصورتى . وكان له ولع كبير منذ الصغر بقراءة القصائد الحماسية وحفظ ما يعجبه منها عن ظهر قلب وكذلك بالتنديد بأعمال الاستبداد والاحتلال . فلجميع هذه الظروف لم أرتب فى إخلاصه لى واستعداده الكامل لتنفيذ ما أشير عليه به بمجرد أن قال لى ماقال . وبدأ يتمرن على ضرب النار فى طى الكتمان ومن عجيب الظروف أنى وفقت فجأة الى الحصول على مسدسات من طراز برونتج كان أحد الألمان ويدعى موريس جلدنبرج وهو قومسيونجى حدايد ألمانية باعها قبل الحرب الى حضرة صديقى المفضال عبد اللطيف افندى لطفى سيد احمد ° تاجر الحدايد بالمنصورة ولما علم عبد اللطيف افندى منى بالغرض من البحث عن مسدسات تبرع لى بها ورفض أن يتناول لها ثمناً ما .

° اقرأ فى ذيل الكتاب تقريراً مقدماً بخط يد حضرة عبد اللطيف افندى يشرح فيه ما حصل وقتئذ وقد نقل التقرير إلى هذا الكتاب بالزنكغراف

تمرن محمد افندى خليل بهذه المسدسات تمرينا كبيراً وكنت أخرج معه بعيداً عن المنصورة فى الحقول والمقابر حتى حذق الرماية وكنت أنا فى أثناء ذلك أتحدث كثيرا أمام أقاربى عن ضعف أعصابى وأنى بحاجة إلى التداوى بمعرفة أحد مشاهير الأطباء بالقاهرة، وأخيراً سافرت أنا وخليل افندى من المنصورة إلى القاهرة فى أبريل عام ١٩١٥ وركبت أنا القطار عن طريق طنطا وركب هو عن طريق الزقازيق . وفى القاهرة أقمت أنا بمنزل ابن عمة لى أخرى وهو حضرة مراد افندى أمين ولم يكن يعلم من الأمر شيئا سوى أنى حضرت إلى القاهرة للمعالجة بعيادة الدكتور حامد شاكر بك بالعتبة الخضراء ورآنى بنفسه أذهب كل يوم معه الى الطبيب المذكور لأعالج بأخذ حقن للتقوية .

أما محمد افندى خليل فأقام بفندق المؤيد بشارع كلوت بك . وفى يوم الخميس الموافق ٨ ابريل بوغت الناس بخبر اطلاق المرحوم محمد خليل افندى مسدسه على السلطان حسين كامل عقب اجتياز السلطان ميدان عابدين فى عربته قاصداً ميدان الاوبرا ، ولكن الرصاصة لم تخترق إلا كبوت العربة على بعد سنتيمتر واحد فقط من جسم السلطان ، كما ذكر ذلك فى أثناء المحاكمة . وكان المسدس محوطا بالأزهار والورد على شكل طاقة ، وذلك تقليداً للحالة التى كان عليها مسدس برنزيب الصربى الذى قتل ولى عهد النمسا فى بلدة سراجيفو فأشعل بقتله نيران الحرب العظمى عام ١٩١٤ ، فإنه أشيع وقتئذ أن مسدسه كان بهذا الوصف ، وكانت هذه الاشاعة عالقة بذهنى فذكرتها لخليل افندى ، وكان المسدس

نفسه صغيرا جدا فسهل دسه وسط الورد ، وبعد أن أطلق خليل افندى مسدسه قبض عليه فى الحال .

كان السلطان راكبا عربة وكانت أمام العربة كوكبة من الفرسان وخلفها جنود شاهرون سيوفهم بأيديهم وبجانب العربة اليوزباشى ابراهيم خيرى افندى شاهراً سيفه فهجم خليل افندى على عربة السلطان فى وسط السيوف وما كاد يطلق أول عيار نارى حتى هوى اليوزباشى خيرى افندى بسيفه على رأسه فشطر طربوشه شطرين وجرحه فى رأسه جرحاً بليغا وفى الحال قبض أحدهم بشدة على يد خليل افندى حتى تسلمه البوليس وذهب به الى قسم عابدين .

أعقب ذلك تفتيش واسع النطاق بمدينة المنصورة قبضوا فى أثنائه على جميع أقاربى وعلىّ أنا بالقاهرة . ولم يقل المرحوم خليل افندى شيئا فى التحقيق سوى ما كنا قد اتفقنا عليه بحذافيره . وبعد أن سألت النيابة العمومية الدكتور حامد شاكر بك وتلقت منه ردا بأنى كنت أتردد على عيادته كل يوم للمعالجة بالحقن ، لم تجد وجها لاستمرار حبسى وصدر الأمر بالافراج عنى فى ١٠ أبريل وكذلك عن أخى وصهرى اللذين قبض عليهما وأتى بهما من المنصورة الى القاهرة .

وقد حوكم المرحوم خليل افندى أمام محكمة عسكرية بريطانية فى يوم ٢٠ ابريل عام ١٩١٥ ، ومن أقواله أمام المحكمة المذكورة قوله : (أنا الآن أعطى حياتى لأمحو ذلك العار العظيم الذى سجله علينا التاريخ*)

---

* يريد بالعار سكوت الامة عن القيام بحركة فعلية ضد الحماية الباطلة واكتفاءها بالهمسات يهمس بها فى الآذان

وذكرت جميع الصحف أن الطبيب البريطانى الذى انتدب لفحصه قال فى الجلسة ان المتهم أعرب له عن أسفه لأن ضربته طاشت، وذكر له مرارا أنه اذا أطلق سراحه يعود الى ارتكاب جريمته .

ورقة اتهام خليل افندى

إنه فى يوم الخميس الموافق ٨ ابريل عام ١٩١٥ وما قبله، صمم وتصور ودبر بخبث وتعمد وخيانة، أن يسبب موت صاحب العظمة السلطان حسين كامل الحاكم على مصر تحت قوة الحماية البريطانية. وقد أظهر تدبيره هذا الفاسد وخياناته وفساد تصميمه بحركات وأعمال . ذلك أنه لكى ينفذ نياته الشريرة أطلق الرصاص فى شارع عابدين فى يوم ٨ ابريل على صاحب العظمة السلطان حسين من مسدسه بقصد قتل عظمته غدرا مخالفا لذلك واجب الخضوع ومخلا بالنظام ومحتقرا للأحكام العسكرية المعلنة بمصر بأمر حكومة جلالة الملك بمنشور اعلانها الصادر يوم ٢ نوفمبر عام ١٩١٤ .

فليحاكم أمام محكمة عسكرية *

ونشر قلم المطبوعات المصرى فى ٢١ ابريل عام ١٩١٥ البلاغ الآتى وقد أذيع فى جميع الصحف وهو :

(حكم المجلس العسكرى بالاعدام شنقا على محمد خليل الذى حاول اغتيال عظمة السلطان ، وقد أقر على هذا الحكم اللفتننت الجنرال السير

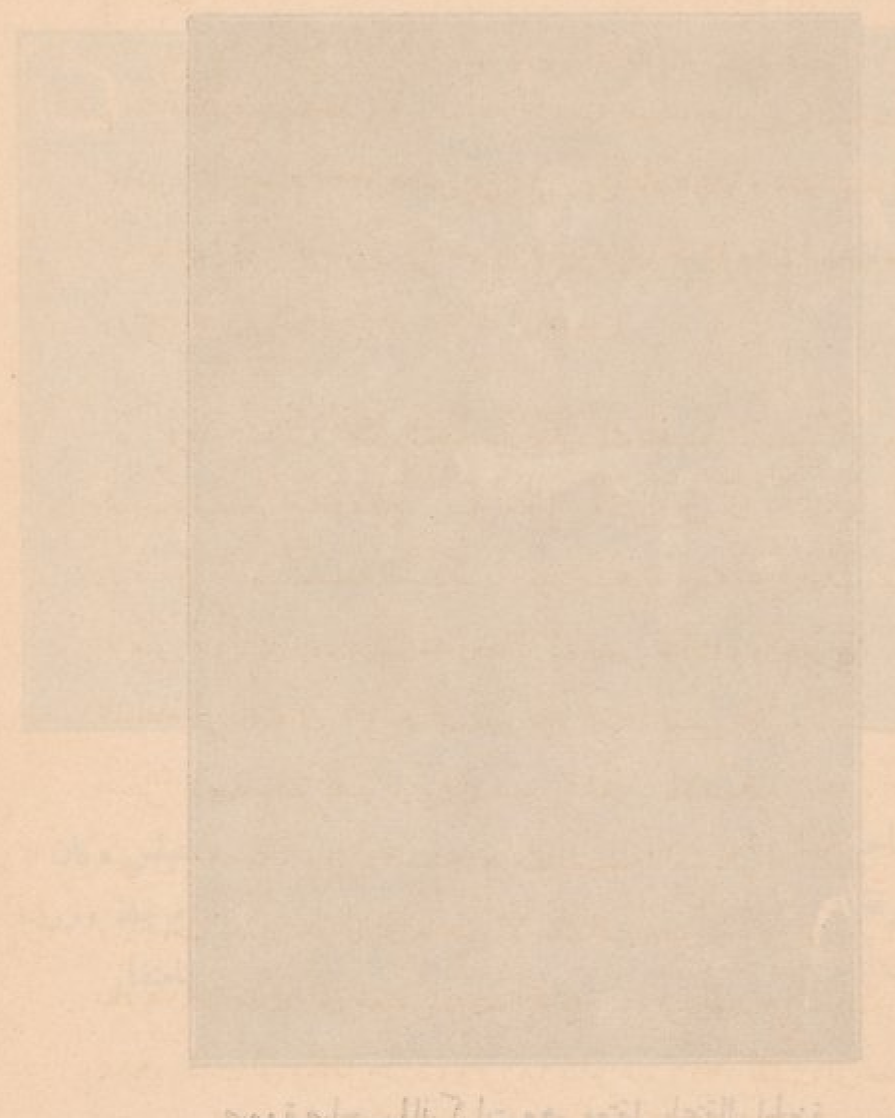
---

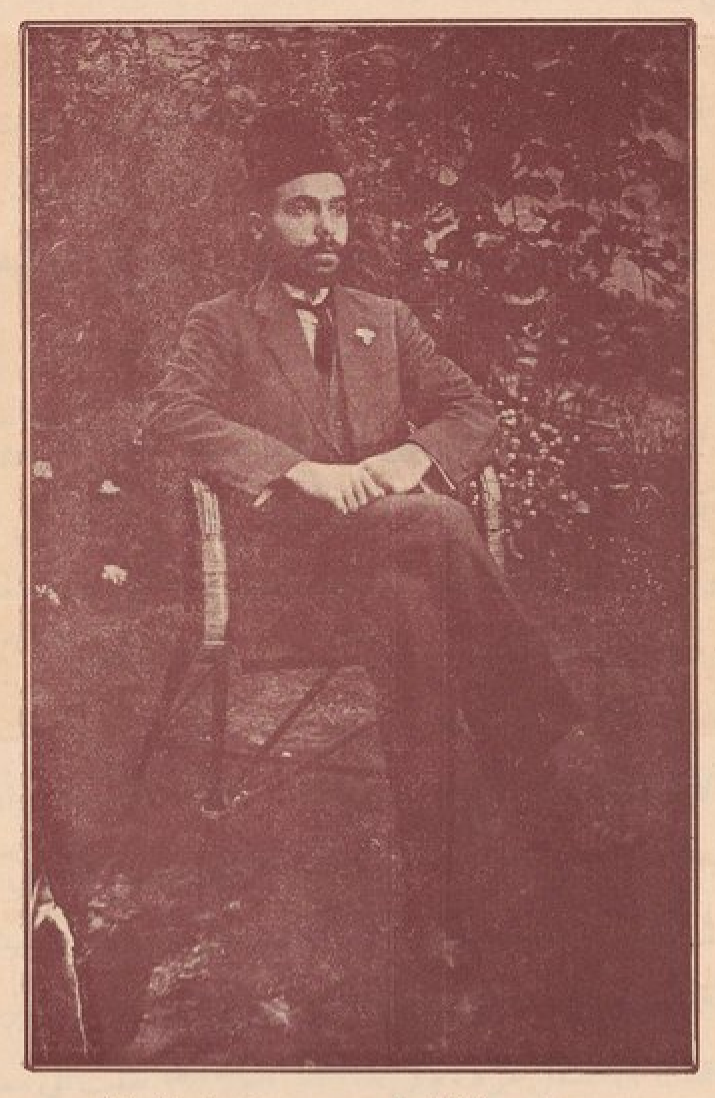
* يلاحظ أن لهجة ورقة الاتهام تشبه لهجة منشورات نابليون بونابرت التى كان يذيعها فى مصر أيام حملته عليها حول عام ١٨٠٠ ميلادية .

جون مكسويل قائد جيوش جلالة ملك بريطانيا العظمى فى القطر المصري) .

وقد نفذ الاعدام فى الساعة الثامنة صباحا من يوم السبت ١٠ جمادى الثانيةسنة ١٣٣٣ هـ الموافق ٢٤ ابريل عام ١٩١٥ وعندتنفيذ الحكم أدار وجهه إلى الحاضرين وتبسم ورفع يده إلى جبهته وقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته (عليه رحمة الله الواسعة) .

وقد نشطت أعمال التجسس بعد ذلك بمدينة المنصورة وروقب شبانها جميعا مراقبة دقيقة ، وصار منزلى يفتش بين آن وآخر على حين غرة ، وراقبتنى السلطة العسكرية بعين ساهرة ونبه علىّ بعدم مغادرة المنصورة فى أى وقت إلا بعد إخطار البوليس بذلك ، وأخيرا أكثرت السلطة من اعتقالى . ففى ٨ اغسطس عام ١٩١٥ قبض علىّ وأرسلت إلى سجن الاستئناف بمصر ، ثم إلى سجن الحدراء بالاسكندرية ، وأفرج عنى فى ٢٢ منه ، وفى ٢٩ منه أمرت السلطة العسكرية بالقبض علىّ وأرسلت بغير سؤال إلى سجن الاستئناف بمصر ، وفى أول سبتمبر عام ١٩١٥ نقلت الى معتقل درب الجماميز ، وفى يوم ١٨ سبتمبر عام ١٩١٥ نقلت الى معتقل طره ، وفى ١٨ يناير عام ١٩١٦ نقلت الى معتقل الجيزة ولبثت فيه حتى أفرج عنى فى يوم ٢٥ أكتوبر عام ١٩١٧ وكان معى بالمعتقلات كثيرون من أفاضل المصريين ومن بينهم نخبة من صفوة شبان المنصورة ، وهم حضرات : سلامه افندى محمد الخولى ومحمد افندى عوض محمد ومحمود افندى ابراهيم الدسوقى ومحمد افندى





صورة صاحب المذكرات وهو معتقل باعتقال الجيزة
فى أثناء الحرب العظمى عام ١٩١٧ وكان يطيل لحيته ككثير من المعتقلين
وصورت وسط الأزهار التى كان يزرعها مع المعتقلين



صوره أخذت فى أثناء الحرب العظمى فى أوائل عام ١٩١٧
وكان صاحب المذكرات معتقلا بمعتقل الجيزة الواقع بجوار كوبرى عباس وكان
مع أفراد فرقة كرة القدم وهو الجالس فى الصف الثانى وفى وسطه حزام جلد ووراءه
باب أحد عنابر النوم بالمعتقل ويرى خلف المعتقلين نوافذ وعنابر المعتقل

صبرى منصور ومحمد افندى راوى ومحمد افندى محمد السراج وعبد الرحمن افندى الصيرفى .

وكان كل فريق من حضراتهم معتقلا لأسباب تخالف أسباب اعتقال الفريق الآخر ، وإنما يسود الجميع استياء عام إزاء الحماية الباطلة التى يعملون ضدها بطرق مختلفة . .

وكان بالمعتقل أيضا ١٧ طالبا من طلبة مدرسة الحقوق ، كانوا أضربوا هم ومعظم طلبة المدرسة يوم زيارة السلطان حسين كامل لها فى عام ١٩١٥ فاعتقلوهم مدة سبعة أشهر .

وأذكر منهم حضرات الأفندية محمد صبرى أبو علم واحمد مرسى بدر وحافظ عامر واحمد والى الجندى ومحمد فهمى كراره وابراهيم رياض واحمد لطفى وحسن يس واحمد فؤاد حمدى واسماعيل حمدى ورياض الشريف ومحمد صادق المجيزى .

ولما خرجت من الاعتقال كانت صحتى ضعيفة فصرفت الوقت فى التنقل بين القرى المختلفة استجماما للعافية واشتغلت قليلا بالتجارة والزراعة . وما كدت أسترد شيئا من الصحة حتى قامت الثورة المصرية عام ١٩١٩ وشملت جميع بلاد القطر احتجاجا على الحماية الباطلة وطلبا للاستقلال التام ، فقذفت بنفسى فى اتونها الملتهب وأصبحت أحد أعوانها السريين ، وفى منزلى بالمنصورة كان يجتمع عشرات الطلبة ليلا لترتيب المظاهرات بالمدينة ، وتكونت شعبة أخرى لا يعلم بها أحد لكتابة وطبع المنشورات المختلفة ولصقها ليلا على الجدران حاثة على

الاضراب أو الاحتجاجات المختلفة . وكانت هذه الشعبة مكونة مني ومن حضرتي احمد افندي جلال الموظف بمأمورية الأوقاف بالمنصورة والمشتغل بالصحافة بعد ذلك ومحمود افندي العدل التاجر بالحوار، وكنا نذيل المنشورات بامضاء (اليد السوداء) ونلصق على الأوراق دائرة كبيرة من الورق الأسود ، وكان لهذه المنشورات أثر كبير بالمدينة .

وحدث في هذا الوقت أن تتابعت الاستقالات المختلفة من كراسي الوزارة وحنق الرأى العام على كل من يؤلف وزارة ضد ارادة الأمة والوفد المصري المعبر الوحيد عن رأى البلاد . ورغم ذلك تقدم محمد سعيد باشا وألف وزارته وسط عاصفة من الاحتجاج ولم يقم وزنا للمطالب السلمية الصادرة من الأمة بكامل هيئاتها . فكان لهذه الظروف تأثير في نفسي ، وشرعت ثانية في تدبير المؤامرات السرية للقضاء على وزارته ، ووهبت نفسي للموت مرة أخرى ، في سبيل ما أعتقد . وبعد بحث طويل أخبرني صديقي الفاضل الشيخ محمد محمد خليفه التاجر بكفر الزيات والمدرس قبل ذلك بالمنصورة ، بأن هناك شخصاً أزهريا من كفر الزيات على أتم استعداد لالقاء القنابل ، وهو الشيخ سيد على مجد وأنه عضده وشجعه ويحبذ اختياره لهذا العمل ، وعلى أثر ذلك سافرت توا إلى الاسكندرية وفحصت الطرق الموصلة من ديوان الحكومة إلى منزل سعيد باشا ببستان استفانو بالرمل ، واخترت الأمكنة الصالحة للوقوف فيها وقذف القنبلة منها ، وعرفت بنفسي كل ما يتعلق بذلك ، ثم عدت الى المنصورة . وفي يوم الخميس ٢٨ اغسطس عام ١٩١٩ سافرت الى كفر الزيات ، وفي اليوم التالى

سافرت من كفر الزيات الى الاسكندرية برفقة الشيخ سيد على محمد ونزلنا فى محطة سيدى جابر ، ثم أريته الطريق الموصل من بولكلى إلى محطة جنا كليس بالرمل وأفهمته أوصاف الباشا ومواعيد خروجه من منزله وأصلح مكان للوقوف فيه حين قذف القنابل ، وكذا كيفية قذفها . وفى صبيحة يوم الثلاثاء ٢ سبتمبر عام ١٩١٩ رافقنى الشيخ سيد من الاسكندرية إلى كازينو سان استفانو مستقلين ترام الرمل ، وجلس كل منا فى عربة بعيداً عن الآخر ، وكنت أنا مرتديا جلبابا وسترة وطربوشا ، وبيدى سلة تعلوها كمية من العنب مغطاة بفوطة وتحت العنب قنبلة بها مواد شديدة الفتك ينقصها أن تدلى إلى داخلها من فتحة صغيرة زجاجة بها حامض الكبريتيك لتستقر فى مكان صغير مهيأ لها من قبل ، ولو ارتعشت يد المدلي أقل رعشة فى أثناء اسقاط الزجاجة إلي الداخل أو نسى شيئا من الأشياء لانفجرت القنبلة فيه على الفور .

وعند الوصول إلى الكازينو وقف الشيخ سيد على بابه وقصدت أنا صوب مراحيض الكازينو وبيدى السلة المحتوية على القنبلة ، ولما دخلت غرفة المراحيض كانت بساطة حركاتى لا تنم عما فى نفسى من أمر جلل ولم ألتفت يمنة أو يسرة ولذا كنت على يقين من أنه لم ينظر إلي أحد بصفة خاصة كما لم أنظر إلى أحد . ثم ولجت فى مرحاض كان مفتوحا وأغلقت الباب وأحكمت رتاجه بالمزلاج ، ونثرت أمامى محتويات السلة ، وأخرجت من جيبى زجاجة الحمض التى لا توضع فى القنبلة إلا قبل أن يراد استخدامها بوقت قصير ، وفتحتها وأسقطتها بسلك رفيع إلى مقرها الداخلى ، ثم أعدت القنبلة على مهل إلى مكانها

فى السلة لأنها بذلك أصبحت تنفجر بمجرد اهتزازها ، (لأن انسكاب أية نقطة من الحمض من داخل الزجاجة على المواد الموجودة بالقنبلة تحدث حرارة كافية لاحداث الانفجار) وحشوت ماحولها من الفراغ بجرائد كثيرة كانت بالسلة من قبل كي تقف عمودية تماما ووضعت عناقيد العنب فوقها ، ثم ألقيت ما تناثر من الأوراق فى المرحاض وشددت (السيفون) فتدفق الماء بصوت عال ، وخرجت كأن شيئا لم يحصل . وحدث فى أثناء وجودى بالمرحاض أن ضغط على الباب لفتحه مرتين ، ولما كان المزلاج مقفلا باحكام لم أكن ألقى بالا إلى هذه المفاجآت ، وبعد خروجي قابلت الشيخ سيد وناولته السلة وكان على علم تام من قبل بضرورة المسير بها باحتراس وعدم هزها إلا عند الاستعمال ، وذهب تواً إلى المكان المعين سابقاً وهو محل بائع غازوزة وجلس عنده يتشاغل بشرب الغازوزة . وبعد قليل خرج رئيس الوزراء من منزله فى السيارة ومر فى طريقه المعتاد فقذف الشيخ سيد السيارة بالسلة التى بيده وقال (خذها يا خائن) ولما كانت نافذة السيارة مقفلة تدحرجت السلة إلى الأرض وانفجرت القنبلة انفجاراً له دوى صم الآذان ، وسمع فى أطراف الرمل ، وهشم قضبان الحديد بالمنازل المجاورة وحفر بالأرض حفرة عميقة وأسرعت السيارة بالفرار اسراعا لامثيل له ، فلم يصب رئيس الوزراء بشىء سوى تهشيم مؤخر السيارة وفى الحال قبض على الشيخ سيد ، أما أنا فكنت واقفاً بعيداً عنه فلم يعرفنى أحد وعدت إلى المنزل الذى أقيم به بالاسكندرية ، وغيرت ملابسى وتوجهت إلى طبيب يونانى كنت ترددت على عيادته للمعالجة

بأخذ الحقن للتقوية ، لأتخذ المعالجة من ضمن أسباب وجودى بالاسكندرية . وبدأت أذهب اليه قبل ذلك التاريخ بيومين وكنت أذهب حول الظهر فوصلت إلى عيادته فى هذا اليوم فى نفس الميعاد الذى تعود أن يرانى فيه ، وعنوان هذا الطبيب هو ا . مسينيزى بشارع الرمل رقم ١٢ . ونشر قلم المطبوعات فى الساعة الأولى ونصف فى مساء ٢ سبتمبر عام ١٩١٩ ما يأتي :

(ورد من الاسكندرية على وزارة الداخلية التلغراف الآتى : — فى الساعة العاشرة ونصف من صباح اليوم حينما كان حضرة صاحب الدولة محمد سعيد باشا رئيس الوزراء مارا بسيارته بمحطة جنا كليس ألقى عليه المدعو السيد على محمد من أهالى كفر الزيات قنبلة فانفجرت ولم تصب دولته بشىء ، وضبط الفاعل ، وباشر حضرة رئيس النيابة التحقيق) .

أما الشيخ سيد فانهم حينما قبضوا عليه أوسعوه ضربا ولم يدخروا حيلة إلا استخدموها فى سبيل اعترافه بأسرار الحادثة ، فأحضروا له والديه يبيتان معه ليلا ، مزودين بالوعد والوعيد ، وهو بعد شخص عصبى المزاج ، يناهز العشرين من عمره ، لم يصب من الخبرة وقتئذ إلا قليلا ، وعيبة البارز فيه قلة ثباته على رأى من الآراء . ولم يكن اندفاعه نحو تنفيذ الحادثة قد بلغ أعلى الدرجات فى اللحظة الأخيرة إلا بفضل ما اتخذته معه من ضروب التأثير والتشجيع قبيل تنفيذ الحادثة فلما بعد عن هذا التشجيع عقب وقوع الحادثة لم يلبث طويلا حتى اعترف بكل ما يعلم ، ولكن التردد كان صفة لا تفارقه . وقد نمت عليه

أقواله عند ما أفضى الىّ بخلجات نفسه ونحن نهم بركوب القطار بمحطة كفر الزيات للسفر الى الاسكندرية وبيدنا جريدة الاهرام، تذكر أن لجنة الامور الخارجية بمجلس الشيوخ الاميركي ستسمع أقوال المندوبين المصريين وتقرر حق ايرلندا فى تقرير مصيرها، فبادر بفتح حديث بيني وبينه بصدد ذلك ضمنه أنه لا لزوم لعمل شيء ما دامت أمريكا ستساعدنا. ولما عرفت ما يجول بخاطره رددت عليه فى الحال بأقوال تناسب المقام كان منها (ان مصر يجب أن تأخذ ثأرها بيدها لا بيد غيرها*).

ولما وصلنا الى الاسكندرية عمدت الى تأجيل تنفيذ الحادثة أياماً قليلة ريثما يستقيم قلبه وتتم تهيئته لما هو مقدم عليه. ولم يكن يعلم أنى أستمهله فى التنفيذ حتى أدرسه وأعالجه على ضوء مالى من الدراية وكنت فى أثناء ذلك لا أجعله يشعر بالسبب الحقيقى للتأخير، بل أجعل ذهنه يتجه إلى أسباب بعيدة عن الحقيقة، ولشدة تصديقه لها ذكرها للمحققين باعتبار أنها حقائق فأتعبتهم هذه الأخبار فى بعض مراحل التحقيق.

وبعد مرور أربعة أيام من وصولنا الى الاسكندرية جرى فى غضونها ما جرى من الأقوال والمقابلات الكثيرة معه، كان التردد قد اختفى من ذهنه بتاتاً فتنفذت الحادثة: ولكن صفة التردد كان لها

---

* ستقرأ فى المذكرة السادسة تفاصيل ما دار من الأقوال فى أثناء المحاكمة وفيها إيضاح لما كنت أقوله له من الأقوال فى القطار

نكس فعادت اليه ثانيـة وقت التحقيق ، وكانت هى الظاهرة الخلقية التى تجلت من أول التحقيق الى آخر المحاكمة ، فقد أنكر كل شىء ثم اعترف بكل شىء ، ثم أنكر البعض واعترف بالبعض ، وكل ذلك فى مدة قصيرة ، وذكر اسمى واسم الشيخ خليفه فى ثانى يوم الحادثة ، فقبضوا على الشيخ خليفه من بلدة كفر الزيات ، وفى اليوم نفسه فتشوا منـازل جميع أقاربى بالمنصورة وقبضوا على بعضهم . أما أنا فلم يعثروا لى على أثر . ومازال الشيخ سيد يصر على أقواله التى ذكرها ضد الشيخ خليفه ، حتى حانت فرصة اجتماع أحدهما بالآخر فى غفلة من الرقابة ، داخل سجن الحدراء وكان معتقلا معهم فى قضية سياسية أخرى حضرة عصام الدين حفنى ناصف افندى فساعد كثيرا فى التأثير فى الشيخ سيد فعاد بعد ذلك ينكر بتاتا كل ما عزاه الى الشيخ خليفه ، ولكنه لم يجد حرجا فى الاصرار على ما عزاه الىّ . وكان ذلك من أسـباب الحكم بالبراءة بالنسبة للشيخ خليفه والحكم ضدى غيابياً من محكمة جنايات الاسكندرية بالسجن مع الشغل خمسة عشر عاما ، كما سيأتى مفصلا فى موضعه .

ورب قائل يقول : انه ما دمت أنك لحظت عليه ذلك التردد قبـل وقوع الحادثة فلماذا تستمر معه حتى النهاية ، وكان الأجدى أن تقطع صلتك به وقت أن تحققت أو رجحت أن سيكون مصدر خطر . فالجواب أن هذه الأمور هى أمور أدبية نتائجها جامعة لكل الاحتمالات والفروض ، والذى يشترك فى هـذه الأمور بقـدر كبير أوصغير لابد أيضاً أن يكون مستعداً لمختلف النتائج ، والا فانه اذا فكر

كثيراً وبالغ فى حرصه الى الحد الذى ليس بعده حدفانه لا يعمل شيئاً وكثرة التفكير فى النتائج عند الاقدام الصادق على هذه الأمور تخلخل العزائم والحماسة فى أكثر أطوارها لا تتفق والتفكير العميق .

كنت فى أثناء الاقامة بالاسكندرية قبل وقوع الحادثة تقابلت مع صديق لى يسمى اسماعيل افنـدى برعي ، وهو موظف بمصلحة الفنارات . فلما رآنى أفرغ قصارى جهده لنزولى ضيفاً عنده ، ولما كان يعيش أعزب بغير أسرة طاب لى المقام بمنزله . وقد أخبرته أنى حضرت إلى الاسكندرية للمعالجة ولشراء بعض البضائع من الجمرك قرأت عنها فى الصحف ، ولم يكن يعلم من أمرى شيئاً أكثر من ذلك ، مع أن القنبلة كانت معى بمنزله ، ولكنه لم يكن يدقق فيما يتعلق بى شأن كل مضيف مع ضيفه ، خصوصاً وأنى لم أكن أطالع صحفاً كلما خلوت اليه ولم يكن يسمع منى غير عبارات الهجاء للسياسة وأهلها حتى دخل في روعه أننى هجرتها سرمداً (وقد ذكر اعتقاده هـذا مفصلا فى ساحة القضاء عند محاكمتى غيابياً) .

وكان يغادر منزله فى كل صباح عنـد الساعة السابعة بغير أن يمر على غرفتي متحاشياً ايقاظي من النوم . وفى مساء الأربعاء ٣ سبتمبر عام ١٩١٩ أى فى ثانى يوم للحادثة علم من أحد اخوانه المحامين أن الذى ألقى القنبلة على سعيد باشا اعترف بأن الذى دبر له الحادثة هو شخص اسمه شكرى من المنصورة وأن شكرى هذا أخذه فى صباح يوم الحادثة إلى كازينو سان استفانو وصنع له القنبـلة هناك ، وأن النيـابة بثت العيون فى الكازينو وسألت جميع موظفيه . فاتجه فكر اسماعيل افندى نحوى ،

ولكنه لما كان مأخوذاً بظواهر الأحوال كان نفي الشبهة عنى أسبق الى ذهنه من أى شيء آخر وعزم على أن يزودنى بالخبر لا على سبيل أنى الشخص المقصود ، بل على سبيل أنه يخبرنى بصدفة غريبه في تشابه الأسماء . ولما عاد الى منزله ليلا وجدنى نائما فلم يسمح بايقاظي لعدم أهمية الموضوع فى نظره . وفى الساعة السابعة من صباح الخميس مر بغرفتي فوجدنى جالساً غير نائم فأنبأنى بالخبر وهو يبتسم :

وكان هـذا أول ما وصلنى من الأخبار الحقيقية عما يدور فى التحقيق ، فتبادلت واياه الابتسام وأشرت اشارة استهزاء وجاريته فى اعتقاده وقلت ان الأمر هين ، وإن المنصورة مملوءة بأسماء شكرى ، وانه لاشك فى أن المقصود هو شخص آخر غيرى . ولكن بما أن الأحكام العرفية تخبط خبط عشواء فانى أرى السفر الى بلدى هـذا اليوم أمراً مناسباً . وعلى سبيل الاحتياط لا غير اذا كان بمنزلك كتب أو أوراق ممنوعة فالأفضل أن تخفيها أو تمزقها لأن البوليس كما تعلم يبادر فى مثل هذه الظروف الى تفتيش المنازل واذا سألك سائل عنى فقل انه سافر الى بلده فى الميعاد الذى كان فى نيته أن يسافر فيه من قبل .

قلت هذا وأخذت ملابسى القليله فى يدى ونزلت معه ثم افترقنا وما ان تركنى حتى رأيت أن أبت فى الموقف برأى حاسم على وجه السرعة وأحسست بالرأى ينجاب عن الاضطلاع بمهمة هي أشبه بمعركة حربية . وقررت المقاومة وسبيلها الاختفاء واطمأنت نفسى الى هـذا القرار . ولم يكن الاختفاء فكرة عرض لى أمرها من قبل حتى أكون على بينة من أسرارها أو على علم بالطرق والمسالك التى يجب أن تسلك

فى مثل هذا الضرب من الحياة ، ولكنه أمر وليد الساعة وصواب أملاه عليّ الموقف . أما كيفية تنفيذه وكيف أمضي فى ذلك فأنا خالى الذهن منه بتاتاً .

والآن لما كان ما استتب عليه الرأى يتطلب التنفيذ فوراً سرت على مهل صوب المحطة يفل من حدة سيرى سؤال يجول فى النفس : هل القاهرة أصلح للاختفاء أم الاسكندرية ؟ والى أن استقر الرأى نهائياً على تفضيل القاهرة ، كنت قد وصلت الى المحطة قبل قيام اكسبريس الساعة الثامنة والنصف صباحا . وكان هذا السفر هو فاتحة رواية حقيقية قمت بتمثيل فصولها على مسرح الأيام التى استطالت الى خمسة وخمسين شهراً من ٤ سبتمبر عام ١٩١٩ الى مارس ٩ عام ١٩٢٤ — وسيقرأ حضرات القراء فى هذا الكتاب أنباء وحوادث هذا الاختفاء مدونة على شكل مذكرات شهرية عددها خمسة وخمسون ، وسيرون من حوادث الاختفاء أنى لم أغادر المملكة المصرية طوال هذه المدة المديدة وسيرون أنه رغم اعلان الحكومة منح مبلغ ٥٠٠ جنيه مكافأة لمن يقبض عليّ ، ونشرها خبر المكافأة فى صحف العراق وسوريا والحجاز ، وتوزيعها الآلاف من صورى الشمسية فى طول البلاد وعرضها ، ورغم سؤالها نحو ٦٠٠ شخص وبلوغ صفحات التحقيق نيفاً وتسعمائة صفحة . وتنبيهها على المصارف كافة بمصادرة ما يوجد باسمى من الأموال ، إذا وجد ، وصدور الحكم عليّ من محكمة جنايات الاسكندرية بالسجن مع الشغل خمسة عشر عاما ، وتبليغ العمد كافة

من آن لآخر بأوصافى ليسجلوها بدفاترهم ، وتعليق صورتى على أبواب بعض مراكز البوليس .

رغم ذلك كله فانى بفضل الله قد نجوت من شر ست وزارات تعاقبت على كراسى الحكم فى غضون هذه المدة ، وفشلت كل خطط البوليس ولم يعثر لى على أثر ، حتى شكلت وزارة الأمة برياسة سعد زغلول باشا عام ١٩٢٤ وأصدرت عفواً عن جميع المقبوض عليهم سياسياً فظهرت بمحض رغبتى وعدت ثانية إلى الحياة الاجتماعية .

وهذه الحوادث التى سيمر ذكرها هى بعض ما نالنى من متاعب الحياة ابتداء من عام ١٩١٥ إلى عام ١٩٢٤ ، أى ابتداء من سن العشرين من عمرى إلى سن الثلاثين منه . عشر سنوات هي أثمن سنوات شبابى أمضيتها فى معتقلات سياسية كثيرة من جراء تأييد وجهة نظرى الوطنية وختمتها باختفاء طويل مهلك للقوى الجسمية ، ولا أرجو جزاء على ذلك سوى أن أرى وطنى العزيز رانعاً يوماً ما في بحبوحة الاستقلال الحقيقى ونحن لا نزال على قيد الحياة ، ونرى قادته وأهل المكانة به يعملون لمصالحه بشرف وعزة وإباء . . .

ما لاحظته فى أثناء الاختفاء

الاختفاء فن ...!!

أولا — يجد المختفى فى المدن الكبيرة عوامل تساعده على نجاح مهمته أكثر مما يجده فى المدن الصغيرة فالأطراف المترامية والجماهير الزاخرة والجنسيات المختلفة واللغات والأزياء العديدة وكثرة عدد اللاجئين والنازحين تجعل المدينة الكبيرة تعج بالحياة على مختلف صورها وتضم بين جوانبها كثيرا من الحوادث والوجوه المتشابهة ومن أجل ذلك قد مرن سكان هذه المدن على رؤية المتناقضات والغرائب تحفل بها الطرق والمنتديات وأصبحت كل الألوان والاشكال والحركات والصفات هى عندهم من مألوفات الحياة اليومية وإذا سكن متعطل بجوار متمول أو زاهد بجوار عابث أو متزوج بجوار أعزب أو أجنبى بجوار وطنى فليس فى أحدهم مايستلفت نظر الآخر لان هذا وأكثر منه هو ماجرت به العادة فى المدينة أزمانا طويلة .

ومكان هذه بعض أوصافه يستطيع فيه المختفى أن يخفى حقيقته عن مخالطيه ومعاشريه بعد مراعاة قيود قليلة سنسردها فيما بعد، فانه كيفما سلك سبيلا فى مظاهره وحياته الخاصة فلن تكون تصرفاته وأفعاله وأزياؤه ولغاته وأشكاله دخيلة على حياة المدينة بل جارية على سنن العادة فيها وما دامت كذلك فهو فى مأمن من حصائد الالسنة ووشاية الواشين

ولا يوجد فى بلادنا من المدن العامرة سوى اثنتين هما القاهرة والاسكندرية . وللأولى قصب السبق فى مضمار الاختفاء وسبب ذلك وجود عدد وفير من الحارات الصغيرة المتدخلة بعضها فى بعض حتى أن الكثير منها ينثنى عدة ثنيات بعد النقطة التى يخال الناظر اليها أن الحارة تنتهى

عندها وتكثر أمثال تلك الحارات فى جهات الخليفة والجمالية والسيدة زينب .

أما الاختفاء فى صغار القرى والعزب فليس من الصواب فى قليل ولا كثير وذلك لأن سكان القرى يعرف بعضهم بعضا فكل غريب بينهم يكشف أمره من أول نظرة اليه ولما كان المعلوم من أمر القرى أنها ليست مقاما مستطابا للطارئين أصبح كل طارىء عليها كأنه قد خالف العادة ولذا يصبح موضع تساؤل من القائمين بأمرها فاذا بحثت الجهات الرسمية هناك عن أشخاص ذوى أوصاف خاصة كان العثور عليهم أمرا ميسورا .

وكذلك كتمان الاسرار فى البيئات الصغيرة حيث المنازل متلاصقة ومحتوياتها ظاهرة والعداوات تملأ الجو ليس أمرا مستطاعا لان العداوات مطية إفشاء الاسرار إلى الجهات الرسمية ولا يستطيع المختفى هناك هربا سريعا إذا دفعته الحاجة إلى ذلك لان الطرق الزراعية جهات مكشوفة وكل السائرين فيها أجسامهم ظاهرة للعيان

ثانياً — يهيم الناس أينما كانوا باستطلاع الاخبار والمعلومات الخاصة بكل ساكن جديد وعلى ذلك يرى المختفى نفسه فى فاتحة أيامه مضطرا لان يذيع عن نفسه بضعة أخبار إشباعا لهذه الاغراض الفطرية فعليه أن يفكر مليا فى بادىء الامر فى ما يجب أن يعرف الناس عنه من الاسم والبلد والصناعة وسبب السكنى فاذا ما صدر منه للناس قول وجب التقيد به والثبات عليه بغير تعديل إلى النهاية مهما أظهرت الايام له عيوبا وذلك لأن الاضطراب فى الأقوال والاختلاف فى الروايات التى تذاع عن الانسان من أكبر الدواعى تفتيقا لذهن الجاسوس الماهر ، وياحبذا لو استطاع المختفى أن يحترف بحرفة مابعد أيام أو أشهر قليلة ليكون له أمام الناس وأمام أفراد البوليس صناعة معلومة وإذا استطاع أن يكتم سره عن أقاربه وأصدقائه كافة بغير استثناء كان ذلك أفضل رأيا وأدخل فى باب الصواب فكثيرا

ما تنجم اخطار داهمة عن تصرفات سيئة تصدر مباشرة أو غير مباشرة بغير عمد عن طريق أشخاص لا يودون إلا الخير للانسان

ثالثاً — إذا سكن فى القاهرة فليتجنب سكنى الحارات القصيرة المسدودة. وليتخذ له سكنا فى الحارات الطويلة المفتوحة من النهايتين وذلك لان من عادة فقراء القاهرة وبخاصة النساء منهم أن يجلسوا جماعات أمام أبواب منازلهم فى الحارات المسدودة ويطول حديثهم وهم إذ يتحدثون لا يكون حديثهم إلا وصفا لحادثة خطوبة أو طلاق أو شكاية من زوج أو ابن أو قريب أو تذمرا من كساد الاعمال وغلاء المعيشة فاذا انتهوا من ذلك انتقلوا إلى اغتياب الغائبين ثم إلى سب بعضهم بعضا ثم تهدأ الحال رويدا رويدا حتى إذا ماصفا الجو دفعهم انقباض الصدور الذى يحدث عقب مقارنة أحوالهم بأحوال غيرهم وقلة مواد الحديث إلى تسديد اللعنات إلى الزمان ثم إلى التدخل فى ما لا يعنيهم فيعطفون فى أحاديثهم على أخبار كل ساكن فى الحارة سواء أكان جديدا أم قديما ويذكرون كل ما يعرفونه عنه من إيراده ومصروفه ومن يدخل اليه ومن يخرج من عنده. وكذا مواعيد مجيئه ومواعيد خروجه إلى آخر مالا يخطر بالبال ولا يمت إلا إلى ظواهر الحال وهذه الحارات المسدودة لا يطرقها غالبا إلا ساكنوها أو ضيوفهم ولذا ترى الغريب إذا دخل فيها سدد الجميع اليه انظارهم وعلى ذلك تسرى على سكانها أحوال البيئات الصغيرة كالقرى

اما الحارات المفتوحة من النهايتين وخصوصا ما كان منها طويلا فتعتبر كطريق عام يمر الناس منه على الدوام ولذا ترى فقراء النساء فيها لا يجلسن على ابواب المنازل إلا فترات يسيرة ولا يلقين بالا إلى المارة ولا يعظم اهتمامهن لمعرفة احوال الجيران وعلى ذلك يجد المختفى فى مثل هذه الحارات فرصا مساعدة لاخفاء بعض احواله عن متناول الالسنة ولا يجد فيها من يسدد اليه نظراته ويرقب حركاته من الجيران إلا النزر اليسير.

رابعاً — لايسكن فى ضواحى المدينة لأن الجواسيس يقصدون إلى هذه الجهات مرات عديدة ، وسكان الضواحى الفقراء أكثرهم من اللصوص وحثالة الناس والمقيم معهم على قدم المساواة يصيبونه بالأذى والسرقات مهما ادعى الفقر ، ويستضعفونه ويزجون به فى مشاكلهم الخاصة ، وهذه الأحوال الاجتماعية السائدة فى تلك النواحى كجهات الامام الشافعى ومصر القديمة وأطراف العباسية من شأنها أن تجعل حياة المختفى غاصة بالمتاعب والآلام وقد توصله إلى مراكز البوليس كشاهد عدة مرات ، وليس من الصواب أيضاً أن يسكن المختفى فى وسط المدينة لأن هذه الدائرة حافلة بالمحال التجارية على مختلف أنواعها وكذلك بالقهوات وأماكن اللهو فهى مجتمع عام فيه كثيرون من أهل القاهرة وكثيرون من أهل المدن كافة وعلى ذلك تكون نسبة من يقابلون الانسان فيها من معارفه أكثر من نسبة من يقابلونه فى ضواحى المدينة . وكذلك يجب الابتعاد عن السكن بجوار المساجد المشهورة لأن الغرباء كثيراً ما يؤمون هذه النواحى للزيارة فهى دائما عامرة بالناس والخلاصة أن خير الجهات للاستقرار فيها هى ما كانت قريبة من الضواحى بعيدة عن المساجد المذكورة كثيرة السكان يقل الغريب فيها أكثر من سواها.

خامساً — يخطىء من يظن أن اعتزال الناس كافة والقبوع فى عقر الدار قبوعا تاما هو المسلك السديد والخطة المثلى لنجاة المختفى من المخاطر والحقيقة أن مخالفة عادات الناس وما ألفوه فى حياتهم اليومية مخالفة كبيرة هي مكمن الخطر والخطأ المبين . ولما كان اختلاط الناس بالناس هو العادة التى درج عليها الجيران وألفوها بمشاعرهم ـ وكانت العادة هى منطق الحوادث لدى العامة ـ أصبح أنزواء الجار فى كسر داره وبعده عن الناس بعدا تاما هو مجلبة القيل والقال لمخالفته العادات والاعتبارات العامة ، فالأصوب أن يختلط المختفى بالجيران بغير مبالاة فى ذلك ، وستترك إدارة دفة المحادثات التى ستدور لامحالة فى مختلف الأوقات إلى مهارة المختفى ومبلغ حذقه وتصرفاته وفى حالة عدم

خروجه من المنزل على الاطلاق واستطاعته إذاعة أسباب معقولة لذلك لدى الجيران لا ينبغي له أن يعتز بهذا الموقف طويلا فان الشكوك كثيراً ماتهاجم العقول على حين غرة منها والاجدر به أن ينتقل إلى مكان آخر بعد مرور عام على الاكثر أما إذا عاونته ظروفه على الخروج كثيراً من منزله وعرف كيف يأتلف بأهل الحى فليس ثمت من حرج لو بقى حيث هو مدة طويلة فإنه متى ألفته العيون كثيرا وأطال مدة إقامته فى جهة من الجهات نسى الناس تاريخ حلوله فى جهتهم وتكلموا عنه كأنه من صميم أهلها وأكدوا وبالغوا فى ذلك كما هو أسلوبهم فى رواية الأخبار وبهذا يصبح للمختفى بمضى المدة وطول المعاشرة مكانة القريب لا الغريب والمعروف لا المجهول ويجد أفرادا ينصرونه ويواسونه ويشهدون لصالحه بخطهم وأختامهم بغير ماشك أو إحجام كما يجد آخرين يشاركونه فى تجارة أو يقبلونه فى خدمتهم بغير أن يطالبوه بالضمان .

سادساً — لا يجب أن يطيل لحيته كثيرا كما يتبادر إلى الذهن لأن المألوف فى بلادنا هذه أن الناس يحلقون لحاهم خصوصاً الشبان وسكان المدن فاذا طالت لحيته أصبح مخالفا للمألوف وهذه المخالفة تضره أكثر مما تنفعه وتجعل أنظار الجواسيس تحدق فيه لأن من طبيعة الانظار عند المسير فى الطرق أن تقع أول ماتقع على كل ماهو شاذ من ملبس أو حركة أو عادة أو منظر والجواسيس من شأنهم ألا يدعوا هذه الاستثناءات تفلت من أيديهم دون تمحيص عسى أن يعثروا فيها على ضالة ما ولما كان الجواسيس قد ألفوا حركة الهجوم - كما هو شأن صناعتهم - ولكنهم لم يحذقوا مواقف الدفاع لعدم وقوفهم فى هذه المآزق فعلابات اتقاء أنظارهم أمرا ميسورا وذلك بعدم المغالاه فى مخالفة العادة فى حركات الجسم أو الهيئة العامة للشخص وعدم إطالة اللحى أو استعمال النظارات السوداء كثيرا أما إذا كان لدى المختفى أدوات اختفاء أخرى لا تجعل فى وجهه شيئا غير مألوف فاستعمالها لا ضرر منه . ومن أكبر

الفوائد تغيير الزى من أفندى إلى شيخ وبالعكس ومع أن ذلك لايخفى الشخصية عمن يعرفها حق المعرفة إلا أنه يخفيها بدرجة كبيرة عمن لم ير إلا صورة الشخص ولم يتلق إلا أوصافه من بلاغ أو واصف .

والخلاصة أنه يجب العلم بأن المبالغة فى إخفاء معالم الوجه أو قلب حياة الانسان رأساً على عقب هى سبيل الخطر لاموطن السلامة كما يدخل فى روع المختبىء فى أوائل أيامه فان لكل من أبناء الريف وأبناء المدن وأبناء الوجه البحرى وأبناء الوجه القبلى ولكل جاهل ومتعلم وغنى وفقير وعسكرى وملكى لكل من هؤلاء ميزة خاصة قد تدق على من هو قليل الملاحظة ولكنها تنبىء عن نفسها لأقوياء الملاحظة فأنهم يعرفون هذه الفوارق فى سحنة الشخص أو لهجة كلامه أو طريقة مشيته أو مقدار ملبسه من ثقل أو خفة فإذا ذهب رجل من كبار المتعلمين وعاش فى الريف كعامل فى الحقول فان رجليه العاريتين فى الهواء على الدوام تنمان على أنهما حديثتا عهد بهذه المعيشة وليستا أصيلتين بها وذلك لخلوهما من التشقق والغلظة والنشف وكذلك سائر أعضاء جسمه لاتدل على أنه الرجل الذى تلفحه نيران الشمس طوال نهاره على ممر السنين . وإذا ذهب شاب من أهالى المنصورة مثلا يدعى أنه من أبناء قرية من قرى مديرية قنا لكذبته سحنته والفاظ لغته وعلى ذلك من هذه النواحى التى لم يراع أصحابها فيها دقة الاختيار يمكن للجاسوس الماهر أن يكتشف الحقيقة وهذان المثلان نضربهما للبرهنة على أن المبالغة فى الابتعاد عن الحقيقة هى كالمبالغة فى مخالفة عادات الناس الذين يقيم الانسان معهم كلاهما يضر أكثر مما ينفع .

سابعاً — إذا سار فى الشوارع ليلاً أو نهاراً فلا يكن كالمتردد فى مشيته وإذا دخل فى مكان أو ركب شيئاً فليدخل وليركب بغير تردد وليتكلم مع الناس وليضحك ولا يبالى بما يفعل طالما كانت حركاته مصبوغة بالصبغة المألوفة لايشوبها تكلف ولا يظهر عليه أنه خائف حائر . وسيرى فى أثناء سيره فى

الطرق أشخاصاً يشتبه فى أمرهم ويدب الذعر فى قلبه منهم فيجب عليه ألا يبادر بالالتفات السريع أو الجرى وإنما الواجب أن يستمر فيما هو فيه فان سرعة تحوله من حال إلى حال تنبه الغافلين وتثير الريبة وتبرهن لمن يتعقبونه على صواب ظنهم فيقع على الفور فى أيدى البوليس . أما إذا تجاهل الموقف وملك زمام نفسه واستمر فى طريقه كما هو بغير أدنى تعدبل فى هذه الحالة يحدث أحد أمرين أولهما : إذا كان هؤلاء الذين رآهم هم حقيقة من أفراد البوليس السرى أو من الأهالى الذين يعرفونه حق المعرفة ويطمعون فى مكافأة خاصة فانه بمسلكه الصحيح قد ينجو ولا يصيبه أدنى ضرر لاحتمال اشتغال عقول الذين رأوه بأمور أخرى تلهيهم عن التحديق بشدة فى جميع السائرين وكثيراً ما يحصل أن ترى فرداً ينظر إلى أشياء كثيرة فاذا سألته عنها بعد مروره وجدته خالى الذهن مما كان أمامه وينفى رؤيته لها رغم أن عينه وقعت عليها بلا شك وذلك لأن الرائى الحقيقى هو المخ لا العين فاذا كان المخ مشغولا بشىء آخر يفكر فيه أو يلهيه فانه لا يحيط علماً بما أمامه . وثانيهما إذا كان الاشتباه قد صدر عن وهم لا ظل له من الحقيقة فان النجاة تصبح فى حيز التأكيد . وسيصادفه فى أثناء سيره من ينظر اليه طويلا ومن يناديه أو ينادى اسما كاسمه ومن يحتك به بالأكتاف فلا يجب عليه أن يؤول ذلك تأويلا سيئاً بحيث يعتقد أنه هو المقصود بهذه الحركات وأن هؤلاء الأشخاص قد عرفوه تمام المعرفة وأن هناك مناورة واسعة النطاق تمثل فى الشارع لغرض القبض عليه وليعلم أن أعمال الناس هذه وحركاتهم فى سيرهم إن هى إلا الحالة العادية والصفة الدائمة للجماهير فى أثناء غدوهم ورواحهم وأن ليس منها ماهو موجه إليه بالذات وإنما الأخطاء والاشتباهات وضيق الممرات عند الزحام هى التى تجعل وقوع تلك الحركات أمرا لامفر منه لكل سائر غير أن هذه الحوادث لا يشعر بها الانسان ولا يلقى إليها بالا قط طالما

كان لايهمه شئ من أمر الشارع وهى تافهة فى اعتبار كل إنسان ماعدا المختبئ فهى عنده الشبح المخيف .

ولا جدال فى أننا لو ألقينا نظرة ذات بال على شارع من الشوارع فى لحظة من اللحظات لألفيناه ميداناً لاتحصى مشتملاته غاصاً بالحركات المقصودة وغير المقصودة جم الأسماء المتشابهة وغير المتشابهة يعج بالناس ولكل وجهة هو موليها يدفعهم نحو مقاصدهم مايدور بخلدهم من الأغراض والقليل منهم من يفكر أو يلاحظ . هذا هو وصف صادق للشارع كما تراه بنظرة هادئة ولكن ألا تدرى أيها القارئ أن هذا الشارع وهو على ماهو عليه من الحقائق لايلبث أن تتغير صوره أمام من يحمل فى رأسه خوفاً من نوع خاص كالمختبئ فانه فى أول عهده بالاختباء يكاد يعد خطواته وكلما قطع جملة من الخطوات عد نفسه فائزاً بغنيمة لاحق له فيها وهو وحده دون جميع السائرين يرى بين آونة وأخرى مايزعجه ويخيل إليه أن الناس جميعاً يرقبونه ويحصون عليه حركاته وكذا ألفاظه وربما أنفاسه وهو بأوهامه هذه يعتبر الناس كافة مفكرين مدققين بلا استثناء . ولا يوجد فى الواقع أثر لكثير مما يتخيله ولكنه فى موقفه هذا يرى الدنيا بمنظار عقله ومثله وقتئذ كمن يضع على عينيه نظارة سوداء فهو يرى الدنيا كلها سوداء وماهى كذلك . أما من كان سائراً فى الشارع وهو خالى الذهن من الخيالات الخاصة فانه يقطع الطريق ذهابا وجيئة دون أن يشعر بشىء خاص فعلى المختبىء أن لا يستسلم للأوهام الخاصة بل ينبذها بكل ما يستطيع ويحكم حكما صحيحا سداه ولحمته النظر البعيد وإنى اؤكد للقارىء أن قوة الارادة والحالة المعنوية الحسنة والالمام بشىء من علم النفس كل ذلك يهذب أوهام المختبىء إلى درجة كبيرة ويحول دون تجسمها أمام نظره فى الخارج ولكن لا يمحوها محوا بل يضيق دائرة مفعولها فقط وبعد أن يطول المطال بالمختبىء ويرى النجاح حليفه فان العادة تستدرجه والأوهام الباطلة تكاد تفارقه .

ثامناً — مما بيناسابقاً يمكن القول بأن الاختفاء فن له قواعده وأصوله وهو يمت بصلة متينة إلى علم النفس ، والمختبىء الجاهل بهذه القواعد هو الذى يزج بنفسه إلى المهالك ويكاد يقول للبوليس «ها أنا ذا» ومما يزيد فى جلال هذه القواعد أن القليل من الناس من يستطيعون تنفيذها عمليا فانه لامراء فى أن تنفيذها يحتاج إلى سرعة الخاطر وسعة الادراك والقدرة على ضبط زمام النفس أى سلامه الأعصاب ومتانتها وإتقان تمثيل الحالة العادية لأن رهبة الموقف تجعل الأصل فى المختفى أنه مضطرب مشتت الفكر متردد فى حركاته فاذا أمكنه أن يملك زمام نفسه ويعيدها إلى حالة الانسان المعتادة الهادئة المألوفة تلك التى نراها حين سير الناس فى الطرق ومعيشتهم فى منازلهم كان ذلك منه تمثيلا وهذه الصفات الخلقيـــة والعقلية هى أهم عناصر النجاح وقت الاختفاء .

ومما هو جدير بالذكر والملاحظة أننا إذا تتبعنا ببصرنا مختفياً ذا خبرة وحنكة وحرص وقت سيره فى الطريق وجدناه يرفع رأسه إلى أعلى ويرمى ببصره إلى أبعد مدى حتى ليكاد يخطف ببصره رقعة كبيرة من الأرض فى لحظة واحدة ليلم بشخصية كل فرد من السائرين واحدا واحدا قبل أن يقتربوا منه عساه يتجنب كل خطر قبل وقوعه وهذه خطة جزيلة الفـائدة وهى شديدة القسوة والتعب للمخ وإذا تتبعنا مختفيا آخر ليس على جانب من العلم والحرص وجدناه يحث الخطى فى سيره ولا ينظر إلا إلى الأرض وفوق قدمه متوهما بذلك أنه طالما لا ينظر إلى الناس فان الناس لا ينظرون إليه وهذه خطة عديمة الجدوى وهى أقل تعبا للمخ من الحالة الأولى .

تاسعا — حالة المختفى الصحية يعتريها السقام على الدوام ، وكيف لا يكون ذلك وسيل تفـكيره لا ينقطع سواء أكان سائراً فى الطريق أو مقيما بالمنزل ومخه فى هـذه الفترة من الحياة أشبه شىء بفرقة حربيـة جميع جنودها معسكرون فى الميدان على أتم أهبة للعمل السريع . ونبض القلب يتبع فى هذه

المواقف حالة الجهاز العصبي للشخص وكذا حالة قوته المعنوية ولكن مهما بلغت صفات الشخص من القوة فان النبض لا يستمر طبعياً وبخاصة فى السنين الأولى وإنما يتعرض للاضطراب زيادة ونقصاً تبعاً لما عسى أن يقع من الحوادث المفاجئة الحقيقية أو المتخيلة . وبما أن هذه الحالة الفسيولوجية ليست هى الحالة الطبعية للفرد وقت مسيره المعتاد فى الطرق أو معيشته فى المنزل فان صحة المختبى بناء عل ذلك لا بد آخذة فى التدهور وكلما طال العهد على هذه الحال ازداد ضعفه وشحوب لونه . ورغم ما يكون فى النفس عند بعض الأشخاص من هدوء وسرور ناشئين عن الانتصار على البواليس وعن قوة الصبر والاحتمال وعن متانة الجهاز العصبى فان الصحة لا تنال من جراء ذلك نصيباً من القوة يعادل ما تفقده رغماً منها نتيجة لرداءة الطعام والمسكن وعدم التنزه وحالة الارهاب التى يرزح الشخص تحت أعبائها .

وليس أمام المختفى أولا وآخراً إلا طريقان يسلك أحدهما مضطراً وفى كل منهما تكمن الأضرار الصحية ، فهو إما أن يقبع فى عقر داره الذى يستأجره فلا يغادره مطلقا وفى ذلك مدعاة للشبهة فيه من جيرانه ومضرة أكيدة لصحته . وإما أن يخرج أحياناً ويسير فى الطرق وعندئذ يكون هدفاً لسهام الحالة السيئة التى شرحناها سابقا . والآن إذا قارنا حالة المختبىء بحالة المسجون فعلا ، لأمكن القول بأن المسجون أهدأ بالا وأصلح حالا من المختبىء .

عاشراً — هذه الملاحظات أذكرها لا على سبيل أن كل مختبىء سيواجه في إبان حوادثه حالات متشابهة لما لاقيته تشابها كاملا غير منقوص وإنما أذكرها كخلاصة أشبه بالخلاصات العلمية كتبتها على ضوء التجاريب وبعد استقراء الحوادث الممضة ولم أكن على علم ببعضها فى فاتحة الاختفاء وإنما ازددت بها علما على توالى الزمن ، حتى إذا ما انتهت مدة الاختفاء وهدأت العاصفة جلست إلى قلمى فقيدت ما احتشدت به الذاكرة من ملاحظات

وقواعد عامة خدمة للبحث الخالص . وهذه الملاحظات النظرية لم أعمد إلى تدوين شيء منها قط فى غضون أيام الاختفاء خوفا من اطلاع غيرى عليها فيتسرب الشك إلى نفسه عن حقيقة شخصيتى . أما الحوادث والوقائع فكنت أدونها بتواريخها بين آن وآخر ، ولكن هذا التدوين لم يأخذ شكلا واضحا ، فقد كنت أرمز إلى ما أريد بأسماء المأكولات والملبوسات التى يستعملها كل إنسان فى معيشته ولا أكتب إلا ما كان ضروريا ويخشى نسيانه وبذلك استطعت أن أدون أهم عناصر القصة فى أوراق بحيث لو وقعت هذه الأوراق فى يد آخر لما استطاع أن يفهم منها سوى أنها حساب منزلى لا أكثر ولا أقل وبهذه الكيفية لم أجد صعوبة ما بعد العفو عنى فى تدوين القصة كلها بتواريخ هى النهاية فى الضبط وبخاصة بعد شراء تقاويم السنوات الخمس من عام ١٩١٩ إلى عام ١٩٢٤ ومراجعة تواريخ الحوادث عنها فى الشهور العربية والافرنكية وعلى ذلك فليستفد من آرائى الخاصة هذه من يستفيد كل بحسب وجهة نظره والله المستعان .

——••••••——

كلمة فى قراءة القصص أو سماعها

قليل من الناس من يستطيعون مشاركة صاحب الوقائع المؤلمة فى مبلغ شعوره بالآلام النفسية والجسمية وتفهم الحكايات التى وقعت له حين قراءتها أو سماعها فهما شاملا لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها وذلك لأن الحوادث لها على الدوام أحوال وظروف مستترة عن الأعين خلف الأحوال الظاهرة للناس ومجموع هذه الأحوال الخفية والظاهرة يوجد جواً خاصاً تسير فيه سفينة الحوادث حتى تصل إلى ساحل النجاة ولكن الظروف الظاهرة المجردة مما وراءها هى التى دائما دون غيرها من نصيب جمهور الناس حين تفهم الحوادث . وأما النظر الدقيق النفاذ الذى يستوعب الظروف خافيها وظاهرها فذاك لا ينهض به إلا خاصة القراء وبشروط خاصة . وإنى أقدم لحضرات القراء بعض ملاحظات فى قراءة القصص أو سماعها راجيا أن تروقهم فتوضع موضع التقدير عند قراءة قصتى وقصص غيرى فالى حضراتهم ما يأتى :—

أولا — إن حكاية وقعت حوادثها فى مدى خمس سنوات لا تستغرق قراءتها أو سماعها أكثر من خمس ساعات . فالفرق الزمنى الكبير بين المدة الحقيقية لوقوع الحوادث وبين مدة قراءتها أو سماعها هو فرق من شأنه أن يجعل الآلام التى تمشت بطيئة مع طول الزمن عند صاحبها لا تتمشى فى نفس القارىء إلا خطفة سريعة لعدم شعوره بوطأة الزمن الطويل وعلى ذلك يكون تصور حقيقة الحال أمرا شاقا يحتاج إلى اجهاد فكرى طويل ومقارنة دقيقة بين حالات متباينة وليس كل قارىء يكلف نفسه عناء هذا الاجهاد ولا كل صاحب حكاية أديبا عريقا فى الأدب حتى يستطيع أن يدبج بقلمه صورة فريدة تنساب فى أنفس القراء كافة حين تصفح كتابه فاذا هم بها على خفايا الأمور مطلعون .

ثانيا — كثيرا ما يردد القارىء في نفسه بصدد موقف ما فى القصة التى يطالعها أنه لو كان فى مثل هذا الموقف لتصرف بشكل يختلف عما هو مدون بالقصة ولحل المعضلة بطريقة أوفى وأحكم. ويأخذه العجب كيف أن المخاطب فى القصة لم يلحظ من المتكلم وهو يحادثه تناقضاً بين فكرتين ذكرت إحداهما فى أول الحديث والأخرى فى نهايته ويؤكد أن ملاحظة ذلك التناقض كانت من السهل الميسور ولو أنها وقعت فى حينها لتغيرت النتائج إلى شكل آخر وكذلك يتفق للقارىء مراراً أن يقرأ فى أماكن مختلفة من القصة كلمات قليلة تصدر من صاحب القصة إلى آخرين . ثم يقرأ أنه كان لتلك الكلمات القليلة أكبر الشأن وأبلغ النتائج فيتولاه العجب مما يرى ويسمع ولا يستطيع أن يلمس مكان القوة من هذه الكلمات العديمة الأهمية في نظره وهذا الاشكال وصعوبة تصور الواقع يقعان فى أنفس كثير من القراء للأسباب الآتية : —

(١) فترة التفكير فى أمر من الأمور والانسان هادىء فى وحدته هي فترة أطول كثيراً من الفترة التى تمر حين يتخاطب الانسان مع غيره فى مثل هذا الأمر نفسه فالانسان قد يناقش فكرة ما وقت الوحدة فى خمس دقائق ولو أنه كان سمع هذه الفكرة بالذات وهو يتحادث لألم بها فى دقيقة واحدة ،وذلك لأنه فى أثناء الحديث يكون مرتبطا بالسياق ، فهو سائر فى حديثه إلى الأمام ، متكلما أو منصتا ، ويلهيه الحديث عن أن يراجع ذاكرته ولا يفسح له المجال لذلك . لأن المحادثات لا تتخللها فترات سكوت متعمده وليست سرعة البديهة عند الناس متساوية فاذا دانت لأحدهم فرصة ضئيلة فراجع فيها ما قيل قبل نصف ساعة لما عثر فى الذاكرة إلا على خلاصة غير وافية . ولكنه فى وقت قراءته وحيدا يجد نفسه غير مرتبط بتيار ما فيقف نفسه مفكرا ومطيلا النظر فيما أمامه من الرأى ويملك أن يعيد ويراجع فلو أراد أن يراجع فكرة سبق أن ذكرت فى الأسبوع

الماضى من قراءته فانه بحركة صغيرة من يده يعود الى الوراء مائة صفحة فيجد كل ماسبق قوله مثبتا فى الأوراق كما هو فيعيد ويراجع الأفكار كما يشاء. وهذا الذى ذكرناه هو الأمر الواقع لدى معظم الناس ومنه يتضح أن الانسان وهو جالس يقرأ يستطيع أن يلحظ الآراء ودخائلها وعواقبها ومابينها من اتساق أو تناقص بكيفية أدق وأعمق مما لوسمع هذه الآراء بعينها وهو يتحادث مع آخرين . ولكن رغم أن القارىء يلاحظ اتجاهات الأفكار ملاحظة شديدة ويكون على علم تام بما ورد فى النواحى المختلفة من القصة فان العيب الذى يكاد يقع فى هوته معظم القراء هو السهو عن حقيقة الدنيا العملية وقت القراءة ورغم أن الأشياء العملية تمر عليهم مئات المرات كل يوم فانها لاتبدولهم واضحة إذا ماخلوا إلى أنفسهم وعرضت عليهم أحوال غيرهم ومتى كان تفكير الانسان خارجا عن نطاق الحقائق العمليه التى تقع فعلا كان سابحا وقتئذ فى عالم الخيال دون أن يشعر وعلى ذلك كثيراً مايرى ويكون رأيه هو الخطأ ويتصور أن السائر يتحادث يرى المتناقضات ظاهرة سافرة فإذا لم يفعل ذلك كان عمله مثار الدهشة والاستنكار .

ولكن هل جمهور الناس فى حياتهم العملية يدقق فى حركات الغير وأقواله ويزنها بميزان المنطق وقواعده وأصوله كلا ! ليست الدنيا كذلك فى أسواقها ومعتركاتها وكل مفكر هو نفسه عظيم فى طرق تفكيره وقت خلوته وقراءته ولكنه إذا خرج من منزله وسار فى طريقه وقابله هذا وذاك لوحظ فى الحال أن قدرته على التفكير العالى قد نقصت ولو نقصا زهيدا ولا يزال كذلك حتى يعود إلي هدوئه وسكونه فيسترد منزلته العقلية فى أوج كمالها وبناء على ذلك يكون من أول واجبات القارىء تصور حالة العالم العملية أى حالة الانسان اليومية التى تتباين أوضاعها وظروفها من ساعة إلى أخرى وبخاصة حالته وهو يفكر وحالته وهو يتحادث وبذلك يستطيع القارىء أن يدرك أن كثيرا من الأشيا التى يرى وقت تفكيره فى عزلته غرابة وقوعها

تقع هى وتمر وتشمر بغير أن يقف حائل ما دونها وقت العمل سواء أكان الفاعل لها عالما بسياسة العقول أم لم يكن لأن ضالة الزمن نفسه حين التخاطب لا يفسح المجال للتفكير فيمر كثير من الأشياء بغير عائق وفوائد العلم بسياسة العقول تنحصر فى المساعدة على اطراد النجاح واحكام وضع الخطط البعيدة المرمى وسهو القراء عن الدنيا العملية التى يرونها كل يوم ويغفلون عن جزء منها وقت الهدوء والسكون يدفع بهم كذلك الى المغالاة فى محاسبة زعماء كل قصة فيحاسبونهم باعتبار أنهم معصومون من الاخطاء وأنهم فى مستواهم قد بلغوا الذروة التى ليس بعدها ذروة وهذا كله من قبيل التمسك بالنظريات بغير أن يشعر القارىء بما يفعل مع أنه لو كلف بالقيام فعلا بأعباء مرحلة بسيطة من مراحل القصة لعجز عن ذلك عجزاً كبيراً ثم ما هو الخطأ فيما لا يحده العرف العام . إنه لعمرى أمر نسبى لأن ما هو خطأ فى نظر أحد الناس قد يكون صواباً فى نظر الآخر ونقول أخيراً إن التمسك بالنظريات حالة تسود معظم القراء لأنهم إذ يقرءون يكونون فى أحسن أحوال تفكيرهم فيخيل إليهم أيضاً أن كل فرد سائر فى الطريق هو دائماً فى أحسن حال من حيث قوة التفكير .

(ب) القارىء وهو يطالع قصة من قصص الاختفاء مثلا يعلم مقدماً أن هذه هي قصة فلان وأن اسمه الحقيق هو كذا وبلده كذا وظروفه كذا فنظرته إلى القصة وهو يمر عليها فى أثناء القراءة خطوة خطوة تخالف إلى حد كبير نظرة الناس إلى هذا الشخص صاحب القصة عند ما كان لايزال بينهم غريقاً فى لجة الحوادث يكافح المصاعب ويغالب الشدائد لأن الناس وقتئذ وهم ينظرون إليه ويتعاملون معه لا ينظرون إليه على أساس أنه صاحب قصة وأن له حادثاً معروفاً أدى به إلى تغيير شكله واسمه وحياته بل على أساس أنه فرد عادى ككل الأفراد تسرى عليه القاعدة العامة والعرف العام وقد يمر فى الطريق فلا يلتفت إليه أحد وقد يتكلم فلا يعبأ به إنسان

كما قد يحدث تماماً لأى فرد فى حياته اليومية وقد يدفع إليه الحدثان أشخاصاً يناصبونه العداء ويقيمون له الشراك ويتمنون إيصال الأذى إليه ولو دفعوا على ذلك أجراً من جيوبهم وهو هو المطارد الذى تبحث الحكومة عنه بمكافأة عظيمة لمن يقبض عليه .

واختلاف الاعتبارات ووجهة النظر والمواقف كموقف القارئ من صاحب القصة وموقف الناس من شخص ما سائر فى الطريق أو مقيم معهم فى منزل واحد قبل أن يعلموا أنه صاحب قصة ، هذه الاختلافات هى التى تتطلب من القراء دقة وعناية ومراجعة وحسن تصور حين تصفح القصة ، لأن من يغفل عنها قد يرى صعباً ماليس بالصعب فى جهة من الجهات وقد يرى سهلا ماليس بالسهل فى جهة أخرى . ومن أمثلة ذلك أن القارئ إذا نظر إلى ناحية الناس وقرأ جواباً من المختفى على سؤال من أحدهم قال كيف لم يستطع هذا السائل أن يعرف حقيقة هذا المختفى مع أنه لو دقق فى هذه الألفاظ ومراميها وطابقها على ما رآه منه سابقاً لأمكنه بهذا التدقيق أن يصل إلى معرفة حقيقة هذا الشخص المقيم بينهم ولا يشعر القارئ أن المقدمات الموجودة فى ذهنه هى التى تسهل له هذا الخيال وأن هذه المقدمات عينها غير موجودة فى ذهن هذا الذى يتعجب منه وأنه فى هذه اللحظة من قراءته يحمل الدنيا العملية أكثر مما تتحمل عادة .

وإذا نظر القارئ إلى ناحية المختفى نفسه فى موقف ما قال إن الظروف كانت عادية وأن الموقف كان بناء على ذلك سهلا ولكن ألا يدرى أن عادية الموقف وقتئذ كانت من دقة تمثيل المختفى وأنها نشأت من مقدمات قديمة راعاها فى وقتها المناسب فأنتجت هذه النتائج البعيدة وجعلت الحالة عادية وأن المختفى المضطرب يغير الحالة بسوء تصرفه ويجعلها من حالة عادية إلى حالة تحمل فى طياتها ما يستلفت الأنظار ويثير الريبة وأن المختفى غير المضطرب يشغل باله على الدوام بما هى العادة وما هو العادى ويستعيد فى

ذهنه أحواله وأحوال الناس السابقة التي لم يكن يسأل نفسه عنها لحظة واحدة قبل الاختفاء وتبدو له غريبة كأنها لم تكن محيطة به عشرات السنين ، وهنا تنفتح له أحوال نفسية لم تكن تخطر له على بال فتراه يقاوم أوهاما تثيرها المواقف ولا يجعل لها سلطانا عليه ويزن حركات الناس ونظراتهم اليه ويناقش طبيعتها ومرماها ويتجنب وقوع سوء التفاهم بينه وبين الآخرين ويقاوم فى نفسه أيضا عند النجاح غرورا خداعا حتى لا يهمل فى جعل الحالة دائما عادية وجارية مجرى الاعتبارات المعروفة من جميع النواحي فجعل الحالة عادية عبارة عن سلسلة تفكير شديد جدا وبذل مجهود قوى من الأعصاب وذلك كله لا يكون الا مستورا فى داخل نفس المختفى وغير مرئى من الغير ولذا لا يحس به أحد

(ح) لاشارات اليد فى أثناء الحديث تأثير له خطرة فى توجيه ذهن المخاطب الى جهات معينة وخصوصاً إذا كان من العامة أولئك الذين يتأثرون بالاستهواء والغواية أكثر مما يتأثرون بالترتيب المنطقى للأدلة التى تساق بهدوء فى أثناء الحديث وقد يقرأ القارىء فى حكاية ما كلمات قليلة صدرت من شخص الى آخر فلا يلقى بالا لهذه الكلمات ، لكنه لا يلبث حتى يتأكد أنه كان لهذه الكلمات القليلة الأهمية فى نظره شأن خطير فى توجيه سير الأمور فيتولاه العجب ومثل هذا يحدث من عدم تعمق القارىء فى تصور دقة الموقف وحسن الظروف الملائمة لهذه الكلمات وعدم ملاحظة أن هناك عادة حين الحديث إشارات وأصوات خاصة تبدى باليد والرأس واللسان فيكون لها الفضل الأعظم فى التأثير فى نفوس السامعين بغض النظر عما تحمله هذه الألفاظ من المعانى لأول وهلة لأن هذه الاشارات تبث فى المعانى قوة واشتعالا يشعر بهما الحاضر فى أثناء الحديث ويختفى هذا التأثير الساحر تماماً ولا يظهر منه شىء إذا ما جلس صاحب الكلام

إلى قلمه وقرطاسه يدون كلامه . وكذلك يختفى هذا التأثير حينما يجلس القارىء بعد ذلك إلى الكتاب يتصفحه ، ومما لاريب فيه أن دقة التمثيل التى تسود هذه الاشارات والأصوات حين صدورها من صاحبها والشخصية القوية لصاحب القول كل ذلك هو الروح الحقيقة للتأثيرات ، وعليه مدار النتائج عند من يدرى كيف يدير الأحاديث بمهارة ، وعلى ذلك تكون الألفاظ التى تدون حين كتابة الحكاية هى كالجسم أما شخصية صاحب الحكاية ونبرات صوته والكيفية التى تلق بها العبارات وتستخدم فى سبيلها تحريك أجزاء كثيرة من عضلات الانسان إن هى إلا روح ذلك الجسم والروح على الدوام مستورة أما نتائجها فمنظورة . . .

(ى) للقارىء نفسه شخصية خاصة لها أثرها حين المطالعة بغير أن يشعر ، وهذه الشخصية هى مجموعة موروثاته ومواهبه ومحصوله العلمى الخاص ، كذلك لكل أفراد القصة شخصيات خاصة بعضها ضعيف وبعضها قوى وهذه الشخصيات لها أثر غير ظاهر فى توجيه الحوادث إلى جهات معينة ومن مجموع هذه الاحوال نرى أن القراءة لها حاكم مسيطر هو نتيجة اقتران عقلية القارىء نفسه بعقليات أفراد القصة جميعاً ومن هذا يبدو جو الحوادث لمختلف القراء بألوان ومقادير مختلفة

ثالثا — يلاحظ أن الحياة اليومية مملوءة فى كل لحظة بالظروف الحسنة والظروف السيئة لكل فرد من الأفراد ويقابل الانسان ذلك فى مدرسته وفى منزله وفى طريقه وفي محل أعماله وكثيرون لا يعزون نتائج الأمور إلا إلى نوع الظروف التى تكتنف حدوثها ويهملون شأن الارادة والتفكير مع أنهم لو تبصروا فى حياتهم الخاصة وعلاقاتهم اليومية بغيرهم لوجدوا أن حياتهم سائرة بغير علم منهم على قواعد منظمة ، لها أصول . ولها شواذ ككل قاعدة ، ووجدوا أن الظروف الحسنة والظروف السيئة ما هى إلا بعض العوامل المؤثرة فى الحياة اليومية بصفة دائمة وليست

هى كل شىء ولا هى أول شىء . ومن الحوادث ذات الأثر فى نفس الانسان بحيث توقظ فيه الشعور والانتباه والتفكير قراءة الأخبار فى الصحف أو القصص فى الكتب ففى أثناء ذلك يجد الانسان نفسه مدفوعا إلى إصدار حكم نهائى عن كل جزء يقرؤه وذلك لأنه يرى فيما يقرأ أشياء جديدة بالنسبة لما مر عليه فى يومه وكل ما هو جديد يبعث الشوق إلى التفكير . وبينما هو يقرأ إذ يجد أمامه ظروفا حسنة سهلت لصاحب القصة نجاحه فى موقف من المواقف وظروفا سيئة عكرت عليه صفو أيامه فيخيل اليه أن الظروف الحسنة ويسميها الحظ هى أشياء شاذة أرسلتها الأيام لصاحب القصة خاصة من دون الناس فسهلت له النجاح وأن الفضل راجع اليها وحدها ويغفل عن أن الظروف الحسنة والظروف السيئة هى جزء لا يتجزأ من بناء الحياة العملية نفسها وأنها تلازم القارىء نفسه فى كل لحظة وتلازم كل فرد آخر دون أن يشعر . ولذا فهى تلازم صاحب القصة أيضا فى كل خطوة ، ولماذا يحرم منها مع أنها جزء من النظام الاجتماعى العام ؟ ولعمرى لم تستلفت هذه الظروف أنظار القارىء بصفة خاصة إلا لأنه حين القراءة يلقى على ما يقرأ ضوءا شديدا من مصباح ذهنه فيلاحظ فى غيره مالا يلاحظه فى نفسه . والآن وقد أوضحنا أن القارىء سيعثر فى أثناء قراءة أية قصة كانت على ظروف سيئة وأخرى حسنة ففى ما يختص بالسيئة يجب أن يراعى عند تقديره لحكمه على صاحب القصة أن الظروف السيئة على نوعين أولهما: الظروف التى تنشأ عن أغلاط الانسان نفسه وقصر نظره وقلة حذره وفى هذه الحالة تكون أعماله الخاصة وطرق تفكيره هى التى تقذف به إلى لجج المهالك وكان من الممكن اتقاء شر ذلك لو أنه كان على شىء من المهارة والحذق؛ وثانيهما : الظروف السيئة التى يقف الجميع أمامها مقهورين وذلك كمن يحترق منزله ولا يكون ذلك ناشئا عن إهماله وإنما عن إهمال جاره . وفى ما يختص بالظروف الحسنة فهى لا تعتبر نقصا فى قيمة

مجهودات صاحب القصة . لأنه من المقرر أن ظروفا حسنة لابد أن تقابله فى بعض مراحل حياته كجزء من نظام الكون وطبيعة الأمور وما دام الأمر كذلك فينظر إذن إلى كيفية استغلاله للظروف الحسنة ، فليس كل شخص قادرا على الاستفادة مما تحت يده وأمام نظره وعلى اقتناص الفوائد بالسرعة المطلوبة وقد تكون بعض الظروف الحسنة التى تقابل الانسان فى حياته نتيجة لبعد نظره هو نفسه ولمقدرته على تحويل السىء إلى حسن وقد تتهيأ الفرصة الحسنة ثم نراها تفلت من يد الفرد أو المجموع دون أن يستفيدوا منها فتيلا فيجب على القارىء أن يضع هذه الاعتبارات كلها نصب عينيه عند قراءة أية قصة فيسلم حكمه من الخطأ والزلل .

رابعا — لا يجب أن يشاد بأمر الفكرة السامية لمجرد سموها وإنما لصلاحيتها للتنفيذ أيضاً ويجب أن نتعقبها ونلاحظها على طول الخط خطوة خطوة فانه فى أثناء سير التنفيذ كثيراً ما تبرز عوامل جديدة لم تكن فى الحسبان تتطلب سرعة تغيير طرق التنفيذ وتتجلى مهارة الانسان فى كيفية التخلص من المآزق المفاجئة ومبلغ رعايته لصغائر الأمور بنفس القدر الذى يوجهه لعظائمها . وكثيرا ما سمعنا أن بعض الحوادث الجسام التى يشكل أمرها على النيابة والبوليس ويضل التحقيق فى متاهاتها تنتهى أخيرا بأن طفلا صغيراً تكون اعترافاته وارشاداته الساذجة هى المفتاح الذى يفتح به كل أمر مستغلق وتتضح منها حقيقة الأمور وتذهب متاعب وتدابير ذوى الدهاء سدى بسبب استصغارهم لأمر صغير لم يلتفتوا لأهميته فى أثناء تنفيذ تدابيرهم فدراسة كيفية تطبيق الأفكار الصائبة هى والحالة هذه أهم وأبلغ من معرفة ظواهر الأفكار نفسها .

خامساً — كثير من قضايا الحياة تستمد وجودها من عوامل شتى تجمعت وتساندت فأنتجت نتيجة معينة وكان الفضل فى بلوغ هذه

النتيجة لمجموع العوامل لا لعامل واحد بمفرده وتحليل القارىء للقصة هو عبارة عن محاولة الوصول إلى العوامل الأساسية التي كللت بالنجاح أو انتهت بالفشل فى ناحية من نواحى القصة فاذا ماعنى القارىء بهذا التحليل أوصله بحثه فى النهاية إلى عوامل تتفاوت أصالة فى الرأى وإحكاماً فى الوضع وتبدو له عند ذلك مواطن القوة كما تبدو مواطن الضعف وقد يهبط مستوى القصة فى نظر بعض القراء عقب عثورهم على عامل يعتبرونه ضعيفاً فتتأثر به عواطفهم وينسون ما بجانب ذلك من العوامل القوية التى تعوض ضعف غيرها فيجدر بالقارىء الحكيم ألا يصدر حكما نهائياً على قيمة قصة من القصص حتى يأتى على آخرها وبذلك يصبح فى موقف يستطيع فيه بحق أن يرى العوامل كافة وهى مجتمعة ويرى ماهو منها أحكم شأناً وما هو أضعف بنياناً فلا توجد قصة خالية من الجمع بين حسنات وسيئات فى نظر القارىء فما كان منهما أوفر حظاً كانت له الغلبة عند تقدير القارىء لحكمه.

ولا يجب أن ينسى أنه فى مجال النظريات يجد الانسان أن المسألة الواحدة لها من أوجه الحل العدد الكبير فيذكرها جميعاً فى حديثه أو كتاباته ولكن وقت العمل والتطبيق وبخاصة فى حوادث الاختفاء تقذف الحوادث بالانسان إلى انتهاج طريق واحد لاثانى له من هاتيك الطرق التى يعرفها الانسان نظرياً وفى بعض الأحايين يسلك طرقاً شاذة إذ تكون ظروفه نفسها شاذة..

المذكرات

المذكرة الأولى

سبتمبر ١٩١٩

فى صباح يوم الخميس ٤ سبتمبر عام ١٩١٩ أخذت تذكرة فى الدرجة الثانية من الاسكندرية إلى القاهرة وأقلنى الاكسبريس الذى غادر الاسكندرية فى الساعة الثامنة والنصف بقصد الوصول إلى القاهرة مع ترقب الحوادث الفاجئة فى أثناء السفر وفى محطة سيدى جابر تواريت عن الأنظار فى محل المياه الموجود داخل العربة ريثما يستأنف القطار سيره ثم انطلق القطار فى السير وما كاد يصل إلى محطة دمنهور وقبل أن يستقر فى مكانه استقراراً تاماً حتى شغلت نوافذه جميعاً برءوس أطلت إلى الداخل وحملقت فى الركاب فرداً فرداً ونادى رجل من الخارج رجلا آخر كان بالداخل قائلا له : هل فتشتم جميع العربات فأجابه فتشناها لغاية هذه العربة وأشار بيده إلى ما قبل عربتى مباشرة فما كدت أسمع هذه الجلبة حتى نهضت من مكانى وتناولت بيدى لفافة الملابس ونزلت من العربة بكل هدوء وسكون ثم ألقيت نظرة على الجميع فألفيت الرصيف غاصاً برجال البوليس ورجال المحطة وآخرين من ذوى أشكال وملابس مختلفة وليس فيهم من يودع أو يستقبل أو يتأهب للسفر وإنما يتهامسون ويضربون ببصرهم إلى كل جهة فاعتقدت فى الحال أنهم يبحثون عنى فاخترقت جمعهم الحاشد بلا أدنى مبالاة وحرصت على أن لا أنظر يميناً أو يساراً إلا بالقدر الطبيعى

وسرت خطوة خطوة لا أسرع ولا أبطىء ثم صعدت على (كوبرى) المحطة بكل اطمئنان ولم ألتفت ورائى مطلقاً ، وكان الممر والباب اللذان ينفذ منهما المسافرون دخولا وخروجا خاليين من الناس ، أما جامع التذاكر الواقف على الباب فكان يتحادث مع أحد العساكر ولم يعبأ بهذا الذى مر من أمامه ولذا لم أتكلم معه ولم ير تذكرتى .

تجولت فى دمنهور طويلا وقرأت الصحف وأخيراً اقتنعت بأن البلدة ليست وسطاً صالحاً لاختفائى بها وذلك لصغرها ولكنها أقرب المديريات كافة للاسكندريه ولهذا السبب الأخير تتناولها يد البوليس بالبحث والتنقيب عنى أكثر مما تتناول غيرها من الجهات النائية فصممت على أن أصل إلى القاهرة بأية وسيلة كانت عدا وسيلة ركوب القطارات وعلى ذلك قصدت إلى أطراف البلدة ومن ثم لبست الجلباب فوق البنطلون الذى طويت رجليه عدة طيات صاعدة وأصبحت بذلك شخصاً يلبس سترة وجلباباً .

تذكرت أن هناك خطاً حديدياً يصل ما بين إيتاى البارود والقاهرة ماراً بكوم حماده فعقدت النية على الوصول إلى إيتاى البارود وسرت باحثاً عن وسائل الانتقال وأخيراً اهتديت إلى فلاح رضى أن يوصلنى بحماره إلى ايتاى البارود نظير مبلغ ٣٠ قرشاً . وفى الحال شرعنا فى رحلتنا بين المزارع يميناً وشريط القطار يساراً وكان الفلاح رجلا عادياً خالى الذهن من كل شىء ولم يكن تأجير الحمير مهنته ولا كان راغباً فى هذه الرحلة عند مفاتحته بها لمسألة أخرى تشغل ذهنه كما يلوح عليه ولكن وعدته بدفع ما رغب فيه من الأجر بعد المساومة المعتادة فرضى وأعرض عن مشاغله وقال لى مرة ببساطة فى أثناء المساومة (يا افندى القطار لك أرخص) ولكن سرعة كلامى معه وضعت مسألة أخرى مكان الجواب وفكرت فى الأمر فرأيت أن البوليس إذا سأل جميع الحمّارين فانه لا يوجه سؤالا لمثل هذا الشخص بعد عودته إلى دمنهور لأنه ليس من طائفة الحمّارين ولكن الصدف العمياء قد تحدث ولا يدرى الانسان من رمى بها ولذا أصبح لزاماً علىّ أن أجعل

لهذا الرحلة سبباً معقولا فى نظر الحمّار وفى نظر من عسى أن يقص الحمّار عليهم أنباءه بعد عودته إلى بلده ، وليس هذا لأن الحمّار نفسه من أهل التفكير أو ممن يشكون فى حركات وتصرفات غيرهم وإنما المبالغة فى الحرص تدعو إلى ذلك ، ومتى كانت حركات الانسان فى نظر الغير طبيعية ومعقولة هدأ بال صاحبها وأمن جانبها وتفرغ لغيرها .

سرنا وخلا لنا الجو وبدأ الحمّار يتقرب إلى بضربه الحمار كثيراً وأنا لا أدرى بماذا أعلل السفر بواسطة ركوب الحمار وإنما أشعر أن هناك أمراً لا أرتاح اليه ولا بد من تسويته فوراً قبل المضى فى السفر طويلا وعلى حين غرة منى اهتديت إلي الفكرة القابلة للتنفيذ ووضعت يدى على جيبي فوجدت قلمى ومفكرتى به ونظرت إلى الحقول وما بها من شجيرات القطن فطاب الحديث وقلت للحمّار على رسلك اترك الحمار يسير سيراً بطيئاً ولا تضربه كثيراً أنا معاون زراعة بدائرة البرنس عمر وقد وصل إلى علم البرنس أن دود القطن قد تفشى بحالة مروعة فى هذه الجهات فأرسلنى لأفحص حالة المزروعات فيها وكلفنى أن أفحص كل شىء بنفسى وأراه بعينى لأكتب له تقريراً وافياً عن كل ما أراه وهذا هو السبب فى اختيار الحمار لأنتقل عليه دون القطار لأن الأول فى مثل هذه المهمة أكثر فائدة من الثانى فانه لايخفى عليك أن القطار ينهب الأرض فى سيره نهبا فلا أستطيع حين السفر به أن أرى كل صغيرة وكبيرة فى الحقول . أما الحمار فانه يسير سيراً بطيئاً وملتصقاً بالمزارع فأستطيع وأنا فوق ظهره أن أرى شجيرات القطن وما بها بصورة جلية دون عناء أو حاجة إلى مجهود آخر وكذلك أستطيع أن أقف الحمار أو أسير به كما أشاء وتشاء مصلحة العمل ورجائى اليك كلما مررنا على عزبة أن تفيدنى باسمها واسم صاحبها إذا كنت تعلم ذلك فهذا يفيدنى كثيراً . ثم أخرجت القلم والمفكرة من جيبي استعداداً للكتابة واعتقد صاحبي صحة ما أقول وأصبح الشغل الشاغل له طوال الطريق أن يزودني بمعلوماته عن كل

قرية نمر عليها وتاريخ بعضها بل ويساعدني في أثناء الحديث مع كل من عسى أن يجمعني الطريق وإياهم من الفلاحين وأخلص الرجل في مهمته حقا بل وأسرف في ذلك بأن كان يسأل المارة من تلقاء نفسه عما يريده في الموضوع ذاته ثم يملي عليَّ خلاصة ماوصل اليه من المعلومات عند ما يخلو بنا الطريق وأنا أدونها على مرأى منـــه باهتمام زائد وأراجعه في بعض التفاصيل .

وحدث في أثناء سيرنا أن مرت ثلاثة قطارات كنت أشعر بكل منها قبل دنوه وفي كل مرة كنت أهبط على الارض وأولى القطار ظهري وأجلس القرفصاء بهيئة رجل يتبول إلى أن يمر القطار بسلام ويتعذر على الركاب تمييز شخصي وبهذه الصورة اجتزنا الطريق حتى اقتربنا من إيتاي البارود بعد خمس ساعات قضيتها في ركوب متعب شاق وأخيراً نزلت قبل البلدة بقليل كيلا يعرف الحمَّار أن ذهبت على وجه التحديد ثم نقدته أجرته وزدته خمسة قروش مكافأةً له على ما قدمه من الخدمات فانصرف شاكراً .

سرت الهوينا نحو البلدة وكانت الساعة الرابعة مساء ثم سألت عن ميعاد القطار المسافر إلى كوم حماده فعرفت أنه يقوم بعد المغرب وعلى ذلك تجولت في البلدة ولم تكن لي خطة مرسومة أسير على مقتضاها وكيف السبيل إلى ذلك والطوارئ تترامى حولي كموج البحر الزاخر وكل فكرة بطبيعة الظروف هي وليدة لحظتها .

كان الغد يوم وقفة العيد الاكبر وكان الناس في البلدة بين بائع ومشتر وكانت السلع المعروضة للبيع منها القديم ومنها الحديث ومن هذا الذي رأيته أمامي أصبح سهلا ميسوراً لو أني أستبدل زيي من أفندي إلى شيخ ولما كان من الصواب أن أظهر بمظهر شيخ رث الثياب ذهبت إلى أحد التجار وطلبت إليه أن يحضر لي عمامة وجلباباً وأخبرته أنني أريد شراء ذلك لخادم فقير بطرفي وأنه ليس من الضروري أن تكون الملابس جديدة وإنما الافضل

أن تكون قديمة كيلا تكلفنى كثيراً وبعد عرض عدة سلع اخترت منها عمامة وصديرياً وجلباباً واسع الاكمام واشتريتها وكان الصديرى وحده هو الجديد ولكنه من نوع رخيص ثم قصدت إلى تاجر آخر اشتريت منه حذاء قديماً يتناسب مع الحالة وعند ماخيم الظلام وانتشر السكون ذهبت إلى أطراف البلدة فوجدت الطرق حاشدة بالفلاحين العائدين من حقولهم فانتظرت ريثما يخلو منهم الجو واستبدلت ملابسى وأصبحت شيخا بعمامة فقير الحال ثم مزقت الطربوش مزقاً عدة وألقيت به شذر مذر وطويت مابقى من الملابس فى لفافة من الورق وعدت إلى المحطة وقرأت الصحف التى وصلت فى القطار الذى مر فى طريقه إلى الاسكندرية فوجدت اسمى مذكوراً بأكمله ومذكوراً معه أن البوليس قبض على أفراد أسرتى بمدينة المنصورة وأنه يجد فى البحث عنى وبعد قليل استقلت القطار المسافر إلى القاهرة عن طريق كوم حماده

كان عدد الركاب قليلا ولذا استطعت أن أنتحى مكاناً منفرداً واستطعت أن ألق من النافذة بحذائى الافرنكى الذى كان ملفوفاً بيدى على دفعتين دون أن يشعر بذلك أحد وكنت لابساً حذائى البلدى وفى إحدى المحطات بوغت سمعى بصوت يتردد فى جوانب الفضاء قائلا يا شكرى افندى يا شكرى افندى فلزمت مكاني لا أحرك ساكنا ولم يطل الوقت حتى أجابه آخر بقوله (نعم خلاص خلاص) فتبين لى من ذلك أنهما موظفان من موظفى المحطة يتناديان خارج القطار وأن أحدهما يسمى شكرى . وفى ما عدا تلك المحطة لم يحدث شىء مطلقا فى أثناء الطريق حتى وصل القطار إلى محطة امبابه فى تمام الساعة الحادية عشرة ولما عرفت أن المحطة التالية ستكون محطة القاهرة توقعت أن تكون حافلة بالجواسيس فنهضت من مكانى ونزلت من القطار على مهل ثم اختلست نظرة يمنة ويسرة فلم أر شيئا غير عادى . والآن أصبحت بالقاهرة ولكننى لم أكن أعرف جيداً من القاهرة وقتئذ إلا سرتها أما أطرافها فأنا على جهل تام بها فهل أخبط في السير

خبط عشواء أم أختار من الأحياء ما لو ذهبت إليه لأصبحت على بينة من أمره أكثر من غيره وفيما أنا أفكر فى ذلك كان حى عابدين أسبق إلى الذهن وروداً وميزته أنى أعرفه أكثر من غيره وأنه بعيد عن محطة القاهرة التى أعتبرها منطقة الخطر فى مثل هذه الظروف . رميت إلى هذا الحى ولكن كيف السبيل للوصول إليه وأى الطريق أسلك وأنا لم أر محطة امبابة فى حياتى البتة وكذلك كل ما يحيط بها من الأحياء وليست لى رغبة فى سؤال الناس على الاطلاق ولا أخشى أمراً كالسؤال عن الطريق فى منتصف الليل. لم يكن الوقت وقت تردد أو تلكؤ فى محطة امبابه بل كان علىّ أن أغادرها على الفور كما أخذ الناس يغادرونها تباعاً سالكين طرقهم نحو مقاصدهم فسرت معهم كمن له مقصد معين وأحسن وصف لحالتى وقتئذ هى الآية الكريمة (وما تدرى نفس ماذا تكسب غداً ، وما تدرى نفس بأى أرض تموت) .

سرت مع الناس إلى أن أفردت منهم فرأيت أمامى على امتداد الخطوط الحديدية (كوبرى) فواصلت السير عليه إلى نهايته وبعد ذلك اجتزت الخطوط الحديدية عرضا إلى الجهة المقابلة فوجدت سوراً وثبت عليه فاذا بى فى طريق عمومى تسير الناس فيه .

كان القمر يتلألأ فى السماء ، والناس منتشرون فى الطرق سيراً على الأقدام لاعتصاب عمال الترام فى هذا الأوان ، وحوانيت التجارة ساهرة ، وبالاجمال كانت الأحوال الطبيعية تجعل سيرى فى الشوارع وسهرى فى أى مكان أمراً عادياً فى نظر الناس كافة ولم أشأ أن أسير على غير هدى وأضحى السؤال عن الطريق ضربة لازب فانتظرت حتى وقع نظرى على ولد فى الطريق فسألته عن عابدين فأشار بيده نحو (كوبرى) عال يصعد إليه بدرج وقال أصعد فوق هذا الكوبرى ثم سر يميناً وسل الناس فى الطريق تصل إلى عابدين بسهولة (وقد عرفت أخيراً أن الكوبرى الأول

هو كوبرى امبابه والكوبرى الثانى هو كوبرى العنابر الذى يسير فوقه الترامواى الذاهب من بولاق إلى روض الفرج وبالعكس) .

صعدت على الدرج وفى نفس اللحظة التى وضعت رجلى فيها فوق سطح الكبرى فوجىء سمعى بقول أحدهم شكرى شكرى ثم سكت لحظة فقال آخر نعم ذكرت الاهرام اليوم أن اسمه شكرى فالتفت ناحيتهم فرأيت أشخاصا يتسامرون وهم سائرون فى الشق الآخر من الكبرى وأظنهم من الطلبة فلم ألق اليهم بالا واتخذت طريقى مقتصداً فى سؤال الناس ثم بدا لى أن أسأل فسألت ولداً فقال أنت سائر الآن نحو امبابة وعليك أن تعود من حيث أتيت كى تذهب إلى عابدين (كنت أخطأت الطريق ومررت فوق كبرى أبو العلا واتجهت نحو الزمالك وأنا لا أدرى إلى أين أنا سائر) .

رجعت أدراجى عائداً واجتزت الكبرى ثم رأيت أن أسأل كيلا تتكرر الأخطاء فسألت أحد الفقراء الجالسين على الأرض فأجابنى عل الفور رجل كان واقفا يتكلم معه بقوله إذا كنت تريد الذهاب إلى عابدبن فضع ذراعك فى ذراعى فانى ذاهب أيضا اليها فوضعت ذراعى كما طلب وسرت معه . وكانت دهشتى عظيمة حين عرفت أنه أعمى يقودنى كيف يشاء وأنا أمتثل لأوامره ولا أرد له طلبا وقد استفاد منى أن أمكنه أن يسير مسرعا واستفدت منه أن عرفت طريقى وبعد أن سرت معه طويلا أخبرنى أنه اقترب من منزله وأن المسافة إلى عابدين أصبحت قريبة . ثم استأذن منى وتركنى فشكرته وسرت وحيداً وبعد قليل مرت عربة فركبتها حتى وصلت إلى ميدان عابدين وكانت الساعة الثانية بعد منتصف الليل .

سرت فى عابدين أضرب فى الأرض حيثما اتفق بغير وجهة معينة . ثم وجدت قهوة صغيرة ساهرة فجلست فيها طويلا ثم مشيت مسرعا كمن يقصد إلى بيته وأخيراً وجدت مسجداً مفتوحة أبوابه فآويت اليه ليعصمنى قليلا ولم ألبث حتى أذن الفجر فصليت مع المصلين ثم انتحيت جانباو أغفيت

إغفاءة قصيرة وظهرى مسند إلى الحائط حتى أيقظنى خادم المسجد فخرجت وكانت الشمس قد بزغت فسرت وأنا أجهل أين أنا سائر وفجأة وجدت القلعة أمامى فعرفت مكان وجودى بلا حاجة إلى سؤال وكان ميدان القلعة حاشداً بالخلق قاصدين زرافات ووحدانا صوب المقابر فبعث هذا المنظر فى نفسى روح النصر ورأيت أن أضع نهاية لهذا السير غير المنظم وأن أرسم خطة ثابتة بدلا من السير على غير هدى وكان على قيد أمتار من قره قول الخليفة حوض صغير أعد لشرب الحيوان .

وقفت بجوار هذا الحوض أطرح الموقف على بساط البحث وأشهد أنى مهما أوتيت من قوة البيان وأفاض علىّ وحى القلم فانى عاجز وعاجز عن أن أسجل تلك الروح المعنوية التى غمرتنى بنفحاتها فى سجل من العبارات يقرؤها القارئون .

يالها من برهة هى إحدى برهات العمر المعدودة سرى فيها العزم فى نفسى سريان الكهرباء فاتصلت بأسباب السماء حتى لاأدرى أكنت مع الملائكة الأطهار أم مع البشر فى ساحة الانتصار !

هى لحظة من لحظات الأمل ظفرت بها فكانت لى نعم الرائد ولا أستطيع لها وصفاً ولو بقطعة من الادب الخالد . رأيتنى وقتئذ قد أفردت من جميع الناس ، وأصبحت وحيداً بلا ناصر ولا معين ، وأنه أصبح من واجبى أنا الوحيد أن أقابل كل قوات الحكومة بالفوز عليها ، واستعدت فى ذهنى كل ماقرأته من تاريخ أبطال الوطنية الذين شردوا وطوردوا فى الصحارى والقفار ورأيت كيف أنهم نجوا من شر الخونة بالصبر وقوة الارادة فعقدت العزم على القيام بدور من أدوارهم وقلت لابد للمصرى أن يفوز كما فاز الاوربى فى هذا المضمار ، ثم رفعت بصرى إلى السماء صوب القلعة فرأيت شمساً تبدو للاشراق فى الآفاق ، يحجب جرمها عن بصرى سور القلعة العتيد ، قد رمت من وراء سترها بقبضة من خيوطها الذهبية استعارت لها نظاما من نظم القلعة

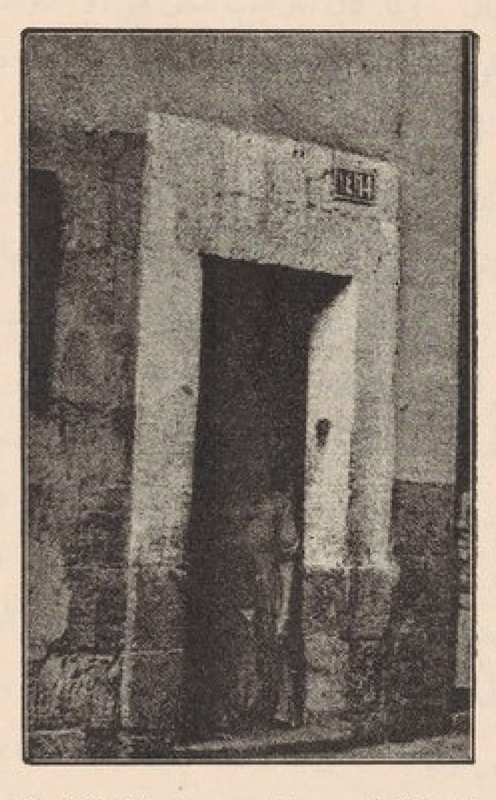
العسكرية فهى تنزل كالسهام فوق رءوس الأنام . وليت شعرى ! ما بال القلعة ترمى بالأنوار وشأنها أن ترمى فوق الرءوس بالحديد والنار ؟ لعلها أرادت أن تعبر عما يجيش فى فؤادى من الآمال فهاهو ذا جرم الشمس كالاستقلال أصبح منا قاب قوسين أو أدنى ولكنه لما يبد إلى الأبصار إذ يحجبه عنا جهاد عنيف كسور القلاع ولكن الشمس آتية لاريب فيها وستبدد جيوش الظلم كما تتبدد جيوش الظلام . . . ! !

هذا هو مجمل ما ملأ شعاب نفسى من الروح والرأى ، حتى إذا ما انتهت مناجاة النفس بعد وقت ليس بالطويل ، تحركت من مكانى على عزم أن أواصل الرحلة إلى بلاد الصعيد ، فقد رأيت فى هذه اللحظة أننى أكون شخصاً مجهولا هناك أكثر مما أكون فى القاهرة وكان على بعد قليل منى جماعة من الحمَّارين واقفين صفاً واحداً وكانوا كثيرين نظراً لاعتصاب عمال الترام فأقبلت على أحدهم وساومته في أمر ركوبى إلى محطة امبابه وانتهينا على أجرة عشرة قروش وعلى ذلك ركبت الحمار وسرت نحو شارع محمد على ولم يمض أكثر من عشر دقائق حتى تغير رأيى فجأة على أثر رؤيتى للحارات الكثيرة الممتدة على جانبى الطريق ورأيت لو أننى استأجرت حجرة أو شقة صغيرة فى أحد المنازل وادعيت أننى أزهرى خصوصا وكان مظهرى يبرر ذلك وكنت حافظاً لكثير من الآيات القرآنية والتفاسير لأصبح فى حكم المستطاع أن أحول بذلك دون تعرف شخصيتى وأن أعيش فى القاهرة بأمان لأننى بهيئتى الحاضرة من فقراء الأزهريين تماماً وهؤلاء منبثون فى عطفات القاهرة يسكنون فى صغار المنازل فلو أننى سكنت فى أى منزل صغير مثلهم لكان ذلك أمراً مألوفاً لدى الناس وكل ما هو مألوف لا خوف منه . وبالاقامة فى القاهرة سأتجنب تعريض نفسى مرة ثانية لخطر ركوب القطارات وسيكون أيضاً فى طاقتى الاطلاع على الصحف ساعة صدورها وكان الوقوف على الأخبار الجديدة أولا فأولا من أهم احتياجاتي

وقتئذ وبالاختصار حسنت القاهرة فى نظرى ثانية وعدلت عن مغادرتها وانتهى الرأى بالاقامة بها فالتفت إلى الحمّار وقلت له هل لك أن تدلنى على حجرة أو شقة صغيرة للايجار لأن لى عفشاً شحنته إلى محطة امبابه ولا يمكن أن يتأخر عن الوصول للآن فبدلا من أن أذهب لرؤيته ثم أعود لاستئجار شقة فان الأوفق أن أستأجر مكاناً أولا ثم أذهب لاحضار العفش فى أى وقت آخر فسكت الحمار قليلا ثم تلعثم فى جوابه وقال بصوت خافت: إنه لايعرف . وإنه يرى أن أتوجه أولا إلى إمبابة لأتأكد من وصول العفش فكانت تلك الظاهرة منه برهاناً على أنه أحجم عن مساعدتى خوفاً من ضياع العشرة القروش التى وعدته بها أجراً على المسافة كلها أما هذه المسافة القصيرة التى قطعناها فلا تساوى قرشاً واحداً فقلت له يظهر أنك خائف على أجرتك كن مطمئناً فانك إذا أرشدتنى إلى مسكن ينال موافقتى فانى أعطيك المبلغ كله نظير هذه الخدمة فقط لسابق الوعد به أما التوجه إلى إمبابة فقد أجلته إلى وقت آخر فطفح وجه الرجل بشراً وسروراً وقال. أنا افتكرت! يوجد رجل اسمه ابراهيم افندى المليجى تاجر أخشاب وهو من ذوى الأملاك الكثيرة وفى غالب الأمر تجد عنده شققا خالية فعدنا أدراجنا فى صمت وسكون. أما الرجل فكان على التحقيق فى ريب من البر بوعدى إلى آخر لحظة وكان لذلك لا يهدأ له بال حتى يزجى إلىّ كلمة تزلف بين حين وآخر استبقاء لرضائى عنه فأسخو عليه ولا أبخل وأخيراً وصلنا إلى محل إبراهيم المليجى بأول شارع درب الحصر فبادر الحمار بكلمات يطرينى بها عنده كى يضمن لنفسه مبلغ العشرة القروش فقال يا مليجى افندى إن هذا الشيخ أعرفه من زمن بعيد وهو رجل طيب جداً وكلما سكن فى جهة سمعت عنه مدحاً كبيراً ولما عرفت منه اليوم أنه يسأل عن شقة خالية أحضرته إلى حضرتك لأنك طيب مثله فنظر المليجى إلى ملياً ثم صرح بأن عنده شقتين خاليتين وكان عنده فى الحقيقة من الشقق الخالية ثلاث ، إثنتان قديمتان وواحدة أخرى

أحسن منهما قليلا ولكنه لما ألقى نظرة على ثيابي الرثة وعمامتي القديمة ذكر الشقتين القديمتين ولم يشر بكلمة إلى الثالثة التي علمت بأمرها فيما بعد ونادى ولداً وأمره بالذهاب معي فسرت مع الولد ثم أعطيت الحمار عشرة القروش كي ينطلق إلى حال سبيله ولا ينتظر عند المليجي لئلا يتكلما معاً بشأني وهذا ما لا أرضاه لأن عبارة الحمار التي تلفظ بها أمام المليجي تقرباً إليّ كانت مما أبرقت لها أسارير وجهي وتعجبت من ملاءمة ظروفها لأنها على الاقل برهان على أنني شخص معروف بين الناس.

أدخلني الولد في حارة تسمى عطفة حوش الحدادين خلف قره قول الخليفة وبهذه الحارة يوجد باب عليه رقم ١٤ وبداخله عطفة صغيرة عرضها متر وطولها أربعة أمتار وبها منزلان صغيران قديمان ولما كان أولهما خاليا دخلت فيه فوجدته يحتوي على غرفة مظلمة في الدور الأول وأمامها فناء صغير وفي الدور الثاني كما في الأول تماما ولا توجد بالمنزل نافذة تطل على شارع ما وإنما له نوافذ تطل إما على داخل المنزل وإما على العطفة الصغيرة. ولا يرى الانسان الدنيا منه إلا من فتحة فوق السلالم لا يصعد النظر منها إلا إلى السماء وكأن المنزل في مجموعه بني خاصة للاختفاء فيه، فارتحت كثيراً إلى سكنى هذا المنزل ثم أعقبته برؤية شقة أخرى لم تنل موافقتي فعدت إلى المليجي افندي وبعد مساومة بسيطة استأجرت المنزل بمبلغ ٤٠ قرشا شهريا وكتبت نسختين من الايجارة بذلك، وظهر لي واضحا أن المليجي افندي سر لتأجير المنزل لسبب لا أعرفه وكنت في أثناء التوجه إلى المليجي افندي ومعي الحمار فكرت في الاسم الذي سأنتحله لنفسي واخترت أن يكون الاسم مشتقا من أسماء أشخاص ضحوا بأنفسهم لأسباب سياسية سابقة. فاستعرضت في ذهني أسماءهم جميعا واخترت أن يكون (اسمي الشيخ عبد اللطيف سليمان. وصناعتي أزهري وبلدي الفيوم) أما سليمان فمأخوذ نقلا عن اسم سليمان الحلبي الذي قتل الجنرال كليبر في القاهرة وقت حملة نابليون على مصر وعبد اللطيف عن اسم



باب العطفة رقم ١٤ الموجود داخلها المنزل الصغير
الذى اختفى فيه صاحب المذكرات بحارة حوش الحدادين
بقسم الخليفة

صديق المرحوم صالح عبد اللطيف الذى ضرب ابراهيم باشا فتحى وزير الأوقاف فى سبتمبر عام ١٩١٥ بسكين لأسباب سياسية وأعدم وقتئذ . وترددت فى نفسى بين أن يكون تركيب الاسم هو سليمان عبد اللطيف أو عبد اللطيف سليمان . ولما كان التركيب الثانى هو الأكثر ذيوعا بين الناس انتهيت إلى أن يكون اسمى هو عبد اللطيف سليمان ، وبناء على ذلك كتبت الايجارتين بهذا الاسم وأخذت ايصالا بالنقود وعدت إلى المنزل .

أحضرت ولداً نظف لى المنزل ثم عدت إلى السوق واشتريت حصيرتين وكرسيين من القش وشمعا وكبريتا وطعاما وزجاجات ملأتها ماء وعدت إلى المنزل وفى الليل نزلت واشتريت الجرائد وملأت الزجاجات بماء جديد ، ثم عدت ونمت على الحصير المسطوح على البلاط ، بلا فراش تحتى ولا غطاء فوقى . وكان بالحجرة نافذتان إحداهما تطل على العطفة الصغيرة وهى مخربة بلازجاج والأخرى تفتح على سلاليم المنزل ، وهى سليمة . وعلى هذا النمط من المعيشة قضيت أربعة أيام أنزل ليلا أشترى حاجاتى وأملأ الزجاجات بالمياه وأمضى النهار بعضه فى النوم والبعض الآخر فى القراءة فى الصحف من أول كلمة إلى آخر كلمة ، والأكل مما أكون قد جلبته ليلا والشرب من ماء الزجاجات الذى يكون قد سخن . وفى خامس يوم العيد نزلت إلى العطفة فوجدت بنتا صغيرة رجوتها فى استدعاء سقاء ، وبعد قليل حضرت ومعها سقاء عجوز فأخبرته أنى أريد منه أن يملأ لى صفيحة من الماء كل يوم وأن يشترى لى ما أحتاج اليه من السوق على أن أعطيه أجرا شهريا فقال الرجل انتظر حتى أعود اليك ، وذهب ثم عاد ومعه امرأة عجوز فقيرة ، اسمها أم خليل * وقال هذه هى التى تملأ بالصفيحة أما أنا فلا أملأ إلا بالقربة ،

* استمرت هذه المرأة تخدمنى أكثر من عام ولم أر منها إلا الأمانة التامة وعطفا كعطف الوالدة على ولدها ورغم فقرها المدقع كانت تقنع بالقرش الصغير كل يوم ولا تحاول أن تأخذ أكثر منه خلسة لنفسها مع قدرتها التامة على ذلك لو أرادت وإنما كانت على العكس من ذلك تقف عند الحد المتفق عليه وتفكر فى التوفير لى لا لنفسها .

وإذا أعطيتها كل يوم قرشا فيكون لك ثواب عند الله .

اعتادت أم خليل منذ هذا الوقت أن تجلب المياه إلى منزلى كل يوم وتسألنى عما أريده فتشترى لى بعض المأكولات وبعد أيام قليلة سألتها عن منجد فأحضرت واحدا يسكن فى الحارة نفسها ، فاشتريت منه مرتبة ولحافا ووسادة وكنت عند مشترى أى شىء أتردد فى الأمر ولا أريد أن أكثر من المشتريات لأننى لا أضمن المفاجآت ولا أعرف ما يأتى به الغد وهل سأقيم فى هذا المنزل لا أبغى عنه حولا أم تضطرنى ظروف قاهرة إلى مغادرته وشيكا . وبعد قليل من الأيام لاحظت أن المرتبة محشوة قطنا محروقا وقشا فصبرت ولم أتكلم .

كنت أرقب فرصة مناسبة لأخبر أم خليل باسمى وصناعتى وبلدى وكانت نظرات المرأة تنم عن أنها تريد أن تستعلم منى عن هذه الأشياء ولكن خجلا كان يعروها فيمنعها عن الافصاح بما يدور فى خلدها حتى مضت أيام تجرأت فى أثنائها على إطالة الحديث معى فحل أوان السؤال وسألتنى عن اسمى وكان جواب السؤال حاضراً على البديهة لأننى مذ أقمت بهذا المنزل أعددت لنفسى حكاية موهومة كى أقصها على مسامع الناس بغير تحوير فى شىء منها مدى إقامتى معهم لتكون محوراً لما يدور حولى من الآراء والاشاعات عندما يستقصون أنبائى وهم لا بد فاعلون فأجبتها عقب سؤالها بأن اسمى هو عبد اللطيف سليمان وبلدى الفيوم وزدت بأن والدتى توفيت وورثت عنها أربعة أفدنة وقد تزوج والدى بعد وفاة والدتى ثم حدث شقاق كبير بينى وبين زوجة أبى أدى بى إلى هجران الاسرة والبلد هجراناً تاماً وقد أجرت ميراثى لابن عمى فى الفيوم وهو الذى يرسل إلى شهرياً ما أحتاج إليه من النقود ويزورنى فى القاهرة أما أنا فلا أذهب إلى البلد بتاتاً وأذهب أحياناً إلى الأزهر لأجاور فيه ولكن حضورى وغيابى لا يسيران على وتيرة واحدة فكثيراً ما أنقطع عن الذهاب استغناء عنه بما

عندى من الموارد المالية وقد ضمنت هذا الحديث مقدماً الأجوبة المختلفة لكل ما عسى أن يجول فى خواطر الجيران من الأسئلة فان عرفوا أنتى أزهرى فلماذا لا أبرح منزلى نهارا وما دمت كذلك فمن أين يأتى إلى المال الذى أنفقه ولماذا لا أسافر إلى بلدى وقد لحظت أن مسألة شقاق مع زوجة أبى هو تعليل يطابق عقلية العامة تمام المطابقة لشيوعه بينهم *

فى اليوم التالى لهذا الحديث طلبت إليها أن تشترى لى ضمن حاجات أخرى طوابع بريد وورق خطابات وأخبرتها أنى سأرسل خطابا إلى ابن عمى المقيم بالفيوم وبعد يومين من ذلك التاريخ كتبت خطابا بيدى دونت به عبارات تناسب الحالة ثم كتبت على الظرف ما يأتى (إلى الشيخ عبد اللطيف سليمان بحارة حوش الحدادين رقم ١٤ بميدان القلعة بمصر) وقد ألقيته ليلا فى صندوق البريد المعلق على حائط القره قول وفى الصباح التالى حضر الساعى إلى عطفة المنزل ونادى بأعلى صوته قائلا : الشيخ عبد اللطيف سليمان فنزلت وأخذت منه الخطاب ، وقد ألقيت خطابا آخر بهذه الكيفية مرة ثانية فى هذا الشهر ، وكان الجيران فى كل مرة يتسمعون إلى الاسم كما يفعل الجيران عادة إزاء كل ساكن جديد إذ يتشوقون إلى معرفة اسمه وكل ما يتعلق به ومن إذاعة اسمى فى الحارة بهذه الصورة يرسخ الاسم المذاع فى الأذهان كحقيقة لا يعتورها الشك من إحدى جهاتها حتى لتنتفى من الأذهان كل ريبة إذا كان هناك شىء من هذا القبيل وهذا ما قصدت إليه من كتابة الخطابات وإرسالها إلى نفسى . وفى اليوم الثانى للخطاب الأول أخبرت أم خليل فى خلال الحديث أن قد وصلنى من ابن عمى خطاب يذكر فيه أنه مريض فاذا لم يأت لى خطاب آخر يطمئننى على صحته فى القريب العاجل فانى

---

* هذه حكاية مخترعة عن والدى ووالدتى وسيكون لها أثر فعال فى كثير من المواقف طوال مدة الاختفاء فى القاهرة أما أخبار والدى الحقيقية فهى أنه توفى وأنا لا أزال طفلا رضيعا وعاشت والدتى بعده حتى توفيت فى عام ١٩٣٠ أسكنهما الله فسيح جناته

سأسافر لعيادته فدعت له بكل خير وبعد الخطاب الثانى أخبرتها أن الحالة تحسنت والحمد لله وأنى عدلت عن السفر .

كان لأم خليل ولد سافر مع العمال الذين أخذتهم السلطة العسكرية للاشتغال بفلسطين وكان يرسل لأمه خطابات من آن لآخر فتذهب بخطاب ابنها إلى أحد الكتبة العموميين لقراءته وكتابة الرد عليه فى نظير دفع قرش فلما أدركت أن الخطابات ترسل منى وترد إلىّ أتت إلىّ بخطاباتها وكان سرورها عظيما حينما عرفت أنى أهتم لأمورها دون مقابل وأنى مستعد لأداء أية خدمة خاصة بها كما أخبرتها بذلك .

عقب تعرفى بأم خليل انقطع خروجى من المنزل ليلا لشراء حاجاتى بنفسى ولم أعد أخطو ليلا أو نهارا خارج المنزل إلا خطوات يسيرة ريثما ألحق ببائع الصحف الذى كان يدخل إلى الحارة من تلقاء نفسه ويبيع لاثنين من السكان الأقدمين وينادى بأعلى صوته أمام كل منزل ولما لاحظت أن شراء الرجال للصحف بأنفسهم من البائع أمر مألوف لسكان الحارة خصوصا وأن البائع يجرى وهو ينادى ولا يفكر فى شىء مطلقا إلا أن يتسلم القرش ويواصل جريه بسرعة رأيت أن أخرج إليه إلى أن اعتاد أن يقرع الباب فاذا أجبته ناولنى الصحف وإذا لم أجبه عرف أنى خارج المنزل كما أفهمته بذلك فيلقى فى هذه الحالة بالصحف إلى الداخل من فتحة فوق الباب .

خرجت فى هذا الشهر بضع مرات إلى مسافات قصيرة جداً وخرجت مرتين إلى مسافات طويلة نوعا ما فى غلس الليل ولم يزد الوقت فى كل منهما عن ربع ساعة كنت أقطع فيها المسافة مابين المنشية إلى ماقبيل ميدان السيدة زينب غدواً ورواحا وفى كل مرة منهما أيضا كنت أعصب عينى اليمنى بمنديل أبيض كما يفعل الأرمد بعينه وأمسك بيدى اليسرى منديلا آخر حتى إذا ما قابلنى شخص أرتاب فى حركاته أو مررت أمام جمهور من الناس

مسحت إذ ذاك الجزء الباقى من وجهى بالمنديل فتكاد معالم الوجه بأسرها أن تغيب عن أنظار السائرين .

وكنت أحرص فى أثناء سيرى على التزام الحالة الطبيعية المعروفة لدى الناس فلا أسرع ولا أبطىء ولا تصدر منى حركات فجائية كالتفات سريع أو تحديق شديد فى وجوه السائرين ولا أتوخى الابتعاد عمن عسى أن أرتاب فيهم إلا تدريجياً وإذا مسحت وجهى بالمنديل فلا أطيل وضعه على الوجه إلا إلى الفترة القصيرة المعقولة ولا أرفعه إلى الوجه إلا متكاسلا وكنت أشعر بعد عودتى إلى المنزل فى كل مرة كأن مخى قد فكر ساعات طويلة فهو يجنح إلى الراحة مع أن فترة الاجهاد لم تكن تستغرق أكثر من ربع ساعة ولكنها دقائق قليلة أملأ من ساعات طويلة من حيث شدة استحضار العقل لملكاته كافة كأنه قائد يعبىء أسلحته عامة .

لم أكن فى حياتى الجديدة هذه أخاطب بشراً لا ليلا ولا نهاراً اللهم إلا دقائق معدودة ولم يكن بالمنزل من نواحيه الأربع نوافذ تطل على شارع كبير حتى أستطيع أن أختلس منها النظرات فأتسلى ببعض مناظر الطريق وأصبحت الصحف هى الصلة الوحيدة بينى وبين العالم الخارجى ولم يكن يخرق حجب هذا السكون الشامل لأرجاء تلك البقعة من الأرض التى لا يعلم بأمرها إلا علام الغيوب سوى صرخات فاجئة تسددها إحدى الجارات إلى أطفالها الصغار بين حين وآخر فيعلو الصياح والعويل ثم تهدأ العاصفة فيركد ريحها .

ورغم تلك الوحدة المنقطعة النظير كان كل ما أرى أمامى حسناً ولا أطلب من الدنيا مزيداً لأن الجسم كان حقاً معذباً أما النفس فيشغلها عن التفكير فى ذلك قسط وافر من السرور ومن أسباب ذلك أن الانتصار على البوليس كان هو أشهى الآمال وكانت الصحف تنبئنى بين آن وآخر أن محمد بدر الدين بك مدير الأمن العام قد أسقط فى يده وعرته الحيرة فهو يبعث

بالدوريات تطوف حول حدود البلاد شرقاً وغرباً وبالبرقيات إلى حدود فرنسا وسويسرا فكلما أقرأ عن هذا الفشل الفاضح وأرانى أقطن خلف قره قول الخليفة على التحقيق يغمرنى السرور وينسينى ما أنا فيه من الناحية الجسمية وحقاً لايعرف الملل والسآمة إلا من يفكر فيهما .

ولم يشأ هذا الشهر أن يختتم أيامه إلا بحادثة فجائية كانت كالحجر إذا ألقى به فوق ماء آسن أثار الأمواج فتتلاطم هنيهة ثم لاتلبث المياه حتى تعود إلى ركودها ففى صباح ٢٢ سبتمبر بينما كنت جالساً على الكرسى متكئاً به على الحائط أقرأ فى جريدة إذ لمحت بطرف عينى اليسرى شيئاً دقيقاً يسير على الحائط فالتفت مسرعاً وإذا به عقرب كبير كرقعة الكف كان بينه وبين رقبتى سنتيمتر واحد فأسرعت بضربه بقبقاب فقطع ذيله وجرى جسمه فاختفى في جحر فى زاوية الغرفة ولم يخرج بعد ذلك . ياله من منظر مخيف ! إذ لم يسبق لى أن رأيت عقرباً بهذا الحجم فى المدن التى عشت بها والآن وقد رأيت ذلك فماذا يمنع أن يكون بالمنزل عقارب بل وثعابين أخرى. وكيف يكون الأمر لو مت وحيداً وأنا بهذا المنزل لايعرف أحد عن حقيقة شخصيتى شيئاً.

أجل كان المنزل متهدماً وكانت الحوائط مشققة والأرض مملوءة بالبراغيث والقمل والبق والفيران والصراصير والنمل الصغير والكبير والجو مكتظاً بالبعوض والذباب والزنابير وإنما كان فى وسعى احتمال ذلك كله لأنه لم يكن هناك خطر مباشر على الحياة نفسها أما هذه الحشرات الخبيثة فلم يكن بمامر على الذهن إلى الآن أن أصطدم بها أيضاً وليس فى قدرتى بعد ذلك كله أن أبحث عن منزل آخر لأن البحث عن المنازل لا يكون إلا نهاراً وأنا لاأستطيع الخروج نهاراً.

الحق أن النتيجة كانت قاسية على فبعد أن كنت أصرف شطراً كبيراً

من النهار فى النوم وأنام فى الليل مبكراً هادىء البال أصبحت لا أنام بالنهار مطلقاً وأمضى سهرتى وحيداً إلى أن يختطفنى النوم خطفاً من أحضان اليقظة فلا أشعر بما جرى ولا يخفى أن فراش نومى كان مسطوحاً على الأرض مباشرة فليس ثمت من حائل يحول دون مرور أية حشرة كانت على جسمي وقت إغراقى فى النوم.

[المذكرة الثانية]

اكتوبر عام ١٩١٩

عقب حادث العقرب رأيت أن أفضل علاج يتخذ لاتقاء خطر أمثال تلك الحشرات هو أن اشترى (ناموسية) وأدخل حافتها السفلى تحت (المرتبة) عند النوم ، وبهذه الكيفية أبيت الليل وحولى وقاية من جميع الجهات تمنع مرور أى شىء على جسمى . وعلى ذلك كلفت أم خليل باستدعاء جارى المنجد وأوصيته بعمل (ناموسية) فقام بعملها كما هو مطلوب إلا أنه أبطأ كثيراً فى الانتهاء منها ولم يحضرها إلا فى أوائل ١ كتوبر وبوصولها سكن روعى وعاد النوم الهادىء يملأ الجفون كما كنت قبل رؤيتى العقرب .

قبل حادث الاختفاء بأشهر قليلة كنت بعت منزلا لى بشارع السكة الجديدة بالمنصورة بمبلغ ٧٠٠ جنيه لحامد عمر المغربى افندى الصائغ ووهبت ثمنه للانفاق منه على ما أضمره من الأعمال . فلما أزمعت السفر من

المنصورة إلى الاسكندرية فى اغسطس ١٩١٩ قبل وقوع حادث ٢ سبتمبر ، كانت النقود متوافرة عندى وعلى ذلك أخذت معى ٢٠٠ جنيه لأتخذ هـذا المبلغ فى حالة القبض على مبرراً لوجودى بالاسكندرية بدعوى شراء بضائع ويكون وجود النقود معى هو الدليل المادى على ذلك وكان أغلب ما يتداول فى المعـاملات فى ذاك الوقت ورق النقد حتى القطعـة ذات الخمسة القروش كانت أيضا من هذا الورق فاذا وضع الانسان فى جيبه الداخلى مبلغا كبيرا من ورق النقد أصبح معه مبلغ كبير من المال دون أن تظهر لذلك علامات خارجية تدل على ما معه ، ولما تحول مجرى الحوادث إلى الكيفية التى عرفها القراء أصبح ما معى من النقود أكبر عون فى تسيير دفة الأمور وكان للصديرى البـلدى الذى ألبسه من الداخل جيبان وضعت فيهما ما معى من النقود التى كانت ورقاً من ذوات الفئات المختلفة ووضعت حول كل جيب دبابيس إفرنكية وبعد مرور أسبوع على سكنى بالمنزل كان ما معى من النقـود الفضية الصغيرة أوشك على النفاد واحتاج الأمر إلى (الفكة) ولم أكن قد حصلت من المنجد فى أثناء معاملته إلا على قليل من الفضة ولم أكن أخرج من المنزل نهاراً وإذا خرجت ليلا فلا أقف على دكان ما ولا أكلم أحداً مطلقاً ولذلك لم يعد هناك من وسيلة لفك النقود سوى إعطائها لأم خليل لتقوم هي بهذه المهمة ، وأصبح استخدامها تباعاً فى هذا الشأن أمراً لا مفر منه ، وإنمـا أكره أن يذاع سره ، والعامة من الناس وما أدراك ما العامة وخصوصاً نساؤهم ، قوم سرهم شبيه بأحوالهم ، فكما أن أحوالهم جميعاً تطالع الناس بمكنوناتها ، وليس بينها مهما فتشت حقيقة تحالف الخفاء ، وكما أن جسومهم عارية فهى أقرب شىء إلى البصر وبيوتهم صغيرة ومنخفضة فهى تحت مستوى النظر ووجوه نسائهم سافرة فلا تحتاج إلى البحث والاستقصاء وجيوبهم ليس بها شىء مدخر ، وعقولهم يعلمها كل البشر ، فكذلك إذا فعلوا

أمراً وكان من المصلحة أن يستر فلا تطيق قلوبهم صبراً عليه ، ولا تلبث أن تراه ملء السمع والبصر .

وطبقاً لتلك الخصائص لم تكن أم خليل تطيق أن تكتم لى سراً بل كانت تقص على نساء الحارة كل أخبارى أولا فأولا ولا تشعر لبساطتها أنها خالفت واجبا أو أتت أمراً غير مألوف فكلما أعطيتها جنيها لتشترى ببعضه ما أحتاج إليه أفضت إلى جيرانها بالخبر بحذافيره كما تحققته منهم فيما بعد فلما تعددت الجنيهات فى وقت كان غلاء الاسعار شديد الوطأة وفى حارة جل سكانها من العمال الفقراء أثار هذا الخبر دهشة السكان وياسرعان ما أشيع بينهم أن الساكن الجديد من السعداء (وهم لا يطلقون على ذى اليسار إلا لفظ سعيد ولا يستعملون كلمة غنى ومرجع ذلك أن الفقراء يتوهمون أن السعادة لا تأتى إلا عن طريق واحد فقط هو المال فكل فرد غنى هو طبق منطقهم فرد سعيد كل السعادة) .

وقولى عن نفسى فى بادىء الأمر إننى ورثت عن والدتى أربعة أفدنة لم يكن له أثر فى نفوس الفقراء مثل ما كان من جراء الحوادث العملية وهى أنهم أصبحوا يرون فى يد أم خليل جنيهاً صحيحاً بين آونة وأخرى ويعلمون منها أنه ملك الشيخ سليمان .

أجل كنت أتوقع أن تدور مثل هذه الاشاعة فى الحارة ولكن لم يكن ثمت من وسيلة لفك النقود خلاف ذلك وكانت الاشاعة فى الواقع تملأ الجو بيد أن علمي كان يقصر عن إدراك مبلغ ذيوعها لعدم وصول شىء إلىّ عنها فى حينه ولم أكن ألقى سؤالا عن شىء كهذا تاركا الأمر إلى أن يذكر أمامى عرضاً دون أن يلاحظ أحد أننى أهتم لشىء ما .

أما نساء الحارة فكن يلحفن في الأسئلة على أم خليل ليعلمن منها خبراً جديداً بعد أن عرفوا منها أنها تشترى لى أشياء كثيرة وهن يرمين

بهذه الأسئلة إلى نقطة هامة فى نظرهن وهى أن يعرفن مبلغ ما يصلها من الخيرات عن طريق ليكثرن من التكلم بشأنها ولتسعى كل واحدة منهن إلى أن تصل هذه الخيرات إليها وحدها بدلا من أن تنفرد بها أم خليل وهكذا لايحسد الفقير إلا الفقير كما لايحتقر أحد فقيراً مثل مايحتقره فقير مثله.

ساءت حالتى كثيراً فى أوائل هـذا الشهر فقد مضى علىّ أربعون يوماً وأنا محروم من الاستحمام وليس لدىّ ملابس غـير ما أنا لابس وطالت أظفارى جداً وطال كذلك شعر رأسى ولحيتى بلا نظام ووقفت مكتوف اليدين لا أرضى أن أكلف المرأة بشراء ملابس أو استحضار مقص خوفاً من توجيه ذهنها نحو أسئلة بعيدة المرمى وأخيراً أصبحت أمام أمر واقع وهو أنتى لا أجد لى مفراً من خلع الملابس القذرة التى طال عليها العهد وشراء ملابس جديدة واستحضار معدات الحمام فسألت المرأة عن خياطة فأجابت بوجود كثيرات فى الحارة فقلت لها إننى حينما تخاصمت مع والدى وزوجته الجديدة سافرت من البلد غاضباً ولم أستحضر معى ملابس مطلقاً لعدم عودتى إلى منزلها ، والآن أريدمنك أن تشترى لي بنفسك أقمشة لأجـل تفصيلها ، فقالت حسناً أنا أذهب معك لتشترى ماتريد ، فربما ما يعجبنى من الألوان لايعجبك . فقلت لها كلا أنا أعرف أنك أمينة جداً ، ولاتهمنى الألوان ولا أريد أن أخرج إلافى جلباب نظيف ، أما هذا الجلباب الذى ألبسه فقد تقذر فارتاحت المرأة لثقتى بها وأخذت النقود واشترت ماطلبته وأحضرت معها الخياطة ففصلت الملابس وأحضرتها فى اليوم التالى تامة فلبستها وأعطيتها الملابس القذرة لغسلها ثم استحممت فى الغرفة الواقعة بالدور الأول وظهرت نظيفاً لأول مرة بعد مضى أربعين يوماً.

فى يوم الأحد الموافق ١٢ من هذا الشهر ظهر فى عموم الصحف بلاغ رسمى باعطاء مكافاة قدرها ٥٠٠ جنيه لمن يرشـد عن محل إقامتى ، أو يقبض علىّ بنفسه وهـذا نصه : — (محمد شكرى الكرداوى من أهالى المنصورة

متوسط القامة والجسم أبيض اللون أسود العينين مرتفع الأنف قليلا ذوشارب أسود غزير ويبلغ من العمر سبعا وعشرين سنة * متهم فى قضية الاعتداء على حضرة صاحب الدولة رئيس الوزراء فى يوم ٢ سبتمبر عام ١٩١٩ . وقد هرب عقب الحادثة . وبناء على أمر القبض الصادر ضده من سعادة النائب العمومى تعطى وزارة الداخلية مكافأة قدرها ٥٠٠ جنيه لمن يضبطه أو يرشد عن محل وجوده إذا حصل ضبطه بناء على هذا الارشاد) . وكان من نتيجة هذا البلاغ أنى لم أغادر منزلى فى هذا الشهر إلا مرة واحدة ليلا لم تزد مدتها على ربع ساعة .

فى هذا الشهر هوى حجران كبيران فى مرتين من أعلى السطح إلى درج السلم وذلك لمناسبة هطول الامطار وتصادف أن سقط أحدهما بعد مرورى على السلم بما لا يزيد على نصف متر فأيقنت بذلك أن الخطر محدق بى وأننى أعيش بمنزل مفكك الاوصال من جميع جهاته وعرفت من أم خليل أن هذا المنزل كان خاليا ولم يسكن به أحد منذ عام فأدركت وقتئذ سر ارتياح المليجى صاحب المنزل لتأجيره حينما استأجرته منه . وبعد أن سقط أول حجر أرسلت أم خليل لتتكلم مع صاحب المنزل فى شأن إصلاحه فلم تجده فى محل تجارته وأخبرتنى أن هذا الرجل من البخلاء الذين يتهربون من إصلاح منازلهم فازداد موقفى بذلك حرجا لانه لم يكن باستطاعتى أن أخرج لمقابلة صاحب المنزل ولا أن أستحضر بناءً بنفسى ولا أن أرسل إليه أم خليل مرات عديدة ، ولم يكن الرجل يحضر بنفسه فى أوائل الشهور ، وإنما كان يرسل الايصالات لى وللجيران مع امرأة من طرفه ويظهر أيضاً أنه كان يتجنب مقابلتى بقدر الامكان لئلا أطلب اليه إصلاح شئ بمنزله الذى هو أدرى به .

---

* صحتها خمس وعشرون سنة ولكن البلاغ الرسمى أخطأ فى هذه العملية الحسابية البسيط

حضرت أم خليل مرتين فى هذا الشهر وبصحبتها نساء أخريات من سكان الحارة من اللواتى كان لهن أولاد أيضا بالسلطة العسكرية فقرأت لهن خطابات أولادهن وكتبت الردود وكانت أم خليل تفخر عليهن بتقديم هذه الخدمة اليهن ، وكنت فى أثناء جلوس النساء على باب المنزل أكلمهن وأنا مطرق برأسى إلى الارض لا أنظر اليهن إلا قليلا ، وذلك ليزداد الاعتقاد عندهن بأنى رجل طيب . وكنت فى أوقات الصلاة أصلى كثيراً وأرفع صوتى عند أدائها كى يسمع الجيران .

[المذكرة الثالثة]

نوفمبر عام ١٩١٩

خرجت فى هذا الشهر ثلاث مرات فى الليالى المظلمة لمدة وجيزة وكنت عقب العودة إلى المنزل فى كل مرة أشعر بخدر شديد فى الأرجل لا ينتهى حتى يمر وقت طويل وذلك ناشىء عن قلة الحركة .

لما كنت مدعيا أنى من أهالى الفيوم وكانت الفيوم مشهورة بين الناس بمحصولات خاصة كالفواكه والدجاج والحبوب رأيت أننى لو اشترى ليلا ما أستطيع من هذه المحصولات وأبعث نهاراً بشىء منها إلى بعض الجارات باعتبار أنها وصلتنى هدية من الفيوم لكان من شأن هذا العمل أن يزيد فى

اعتقاد الناس أنني من الفيوم حقا ، ويجذب قلوبهم نحوى ، ولا يجعلهم يفكرون كثيراً فى أمر عدم خروجي من المنزل وفعلا فى إحدى مرات خروجى ليلا خاطرت و وقفت أمام أحد البقالين البعيدين عن المنزل واشتريت منه عدسا ثم اشتريت فريكا من غيره . وفى اليوم الثانى أخبرت أم خليل أن ابن عمى زارنى فى الليلة الماضية وأحضرلى هدية ، ثم ناولتها شيئا من الصنفين لها ولغيرها وكنت أحيانا أذكر لها أن أحد أقاربى كان عندى أو أنه سيزورنى عما قريب ولا أذكر ذلك إلا فى الليالى التى يخيم فيها الظلام في أرجاء الحارة ولم يكن بداخلها كهرباء ولا كانت النساء يطلن جلوسهن أمام الأبواب فى ليالى فصل الشتاء وكثيراً ما كنت أعمد إلى باب المنزل فأفتحه برهة ثم أقفله إيهاما بدخول الناس عندى . وقليلا ما كنت أخرج من المنزل وقت الغروب فأسير حتى إذا ما انتهيت إلى أول الحارة قفلت أدراجى عائداً إلى المنزل ، ولا أبغى من ذلك إلا أن ترانى أعين الناس .

كانت أم خليل تقوم بغسل ملابسى وكانت تأخذها إلى منزلها وبطبيعة الحال تخلطها بملابسها وربما بملابس غيرها أيضاً مما لا علم لى به ولا تأتى بها إلا فى اليوم التالى وكنت إذا فحصت هذه الملابس التى يقال عنها إنها نظيفة ومغسولة وجدت بها قملا كثيرا وكان ذلك مما يزيد في آلام معيشتى وكانت هذه المرأة بعينها هى التى تطهو لى طعامى إذا احتجت إلى ذلك وكانت تقوم بطهو الطعام لى فى حللها الصدئة وهذا ما كنت أجزع منه وتقل شهيتى بسببه وقت تناول الطعام ولم يكن موقفى يسمح لى بأن أشير أمامها عن قرب أو بعد إلى شىء يمس عاداتها أو أحوالها الخاصة بالاصلاح والتعديل لأن سوء النية يسارع إلى خيالات هذه الطبقة إذا خاطبهم أى شخص يعتقدون أنه أغنى منهم ولو قليلا عندما لا يكون موقفه أمامهم موقف ذى السلطة عليهم وعلى ذلك إذا أنا فهت بنصيحة ما أمامها خشيت أن تنقطع بتاتاً عن الحضور وكلما كان الانسان جاهلا كان إدخال الاصلاح إلى شئونه

من أعسر المهام واستلزم ذلك سياسة فى القول ترمى إلى مخاطبة الشعور بعيداً عن العقل .

لم أكن أرغب فى مقابلة أحد من سكان الحارة لم يرنى من زمن بعيد لأن شعر رأسى ولحيتى أصبح كثاً بلا نظام ولا ألبس فوق الرأس إلا عمامة قديمة ولكن على حين غرة طرق سمعى صوت المليجى صاحب المنزل وهو يتكلم فى الحارة فجريت إلى لقائه وعدت بوعد منه أن يرسل لى بنّاءً لتقوية حافة الجدران المتخلخلة من أثر الرياح ، وقد أنجز وعده وأصلحت الجدران وسدت بعض ثقوبها وكان المليجى هذا بينما يماطل سكان منازله الأخرى فى عمل الاصلاحات ولا يرعى لهم خاطراً إذا به يسعى في كل مناسبة لكسب رضائى ويمدحنى فى غيابى أمام أهل الحارة وكل ذلك كى أستقر فى منزله ولا أنتقل منه لأنه منزل إذا تركه الساكن فيه فهيهات أن يرضى به مخلوق ومما لاريب فيه أن كلمات الحمّار التى فاه بها أمام المليجى فى أول مرة التقيت به (كما هو موضح بالمذكرة الاولى) لم تذهب سدى بل تركت أثراً طيباً بخصوصى فى ذهن الرجل وكان لمدحه فى شخصى أمام سكان الحارة وهو الرجل الذى يمتلك فيها عقارا كثيرا أثر عملى يعود علىّ بالفائدة ومع أن المليجى لا يذكر هذا المدح على كل حال إلا ليرجو من ورائه غرضاً شخصيا وهو كسب رضائى فالسامعون لا يلتفتون إلى هذه المآرب ويأخذون الكلام حسب ظاهره .

المذكرة الرابعة

ديسمبر عام ١٩١٩

لم يكن عندى كتب أتسلى بقراءتها كما لم يكن هناك إنسان أستطيع أن أتحادث معه إلا دقائق معدودة لا تغنى فتيلا فى بحر الأربع والعشرين ساعة ورغم أن النفس كانت مشبعة بالآمال ومسرورة من خيبة البوليس الخيبة الكبرى إلا أن الوحدة التامة والمنزل غير الصحى وعدم الحركة والمعيشة غير المألوفة كان أثر ذلك كله على حساب جسمى الضعيف البنية وكانت النتيجة أن قل مقدار طعامى

كنت أتمنى أن يحضر إلى منزلى كثيرات من نساء الحارة لقراءة الخطابات وكتابة الردود لأن ذلك العمل كان يخرق نطاق العزلة التى ضربت أطنابها حولى ولكن الأمر لم يكن على ما أشتهى إذ أن عددهن كان قليلا وما يصلهن من الرسائل كان أيضاً كذلك وكان مجيئهن إلىّ إما فرادى وإما جماعات وكن يجلسن على باب منزلى ريثما أقرأ الخطابات وأكتب الردود ولا يطلن الحديث لشغفهن بالقاء الخطابات فى صندوق البريد بأسرع ما يمكن ما دام أنها قد كتبت ولذا لم يكن لأحاديثهن تأثير يذكر فى تخفيف وطأة العزلة وقد تعلمت من تعدد تحرير الرسائل لهن كيف أجعل أسلوبى جذاباً فى نظرهن وكيف أجعلهن يعتقدن أننى أهتم لأمورهن الاهتمام كله وذلك بسيرى على سنن ميولهن عند قراءة الخطابات كأن أكرر القراءة مراراً وأعيد القول كلما طلبن ذلك ولا أرد لهن طلباً وتلك هى ميولهن عند الاستماع لشئ يقرأ ومن الغريب أن هناك أسلوباً خاصاً قد ألف العامة

جميعهم استعماله فى محرراتهم ولا تطمئن قلوبهم إذا حاد الكاتب عنه . ومن أمثلة ذلك أنهم يبدءون الخطاب بالعبارة الآتية (بعد السؤال عن صحتكم وصحة سلامتكم التى هى غاية القصد وبلوغ المراد من رب العباد آمين) ثم يعقب ذلك على الفور أسماء أشخاص ويلحق بكل اسم منها جملة (وسلموا لنا على) وتكرر هذه الجملة بعدد مرات الأسماء ثم تذكر المطالب والأخبار وتكرر الفكرة مرات عدة وبمثل هذا الأسلوب يكون الكاتب كاتباً عبقرياً فى نظرهم وينال المكانة السامية فى قلوبهم

وكان مما يحدث أحياناً أن ترسل إحداهن لولدها داخل الخطابات تمائم صغيرة واهمة بناء على تأكيدات دجالين مشهورين بالقاهرة يطلقون عليهم اسم المشايخ أن هذه التمائم تشفى من جميع الأمراض وتحمى ابنها من فتك المدافع والسيوف وقد لقيت هذه العقائد منى اهتماماً خاصاً للبحث فى كنهها منذ ذلك الوقت اهتمام من يجد للعثور على أى موضوع يقدمه مادة لدولاب الفكر الذى إن لم يجد ما يشغله سحق نفسه بنفسه وقد رأيت الفرصة سانحة لدراسة عقلية العامة عن كثب وأعنى بهم أولئك الذين جمعوا بين الجهل والفاقة وقد استطرق البحث إلى سائر أحوالهم الاجتماعية والاقتصادية

أتت إلى أم خليل يوما وقد علت وجهها أمارات الحيرة وقالت لى إنها ستكف عن المجىء إلى منزلى وإن هذا اليوم هو آخر يوم تأتى إلى فيه فاستوضحت الخبر منها باهتمام زائد فذكرت لى أن نساء الحارة يعيرنها بالدخول فى منزل رجل أعزب وأنها بناء على ذلك قد وطدت العزم على عدم المجىء بتاتا فهدأت روعها وقلت لها إننى كابنها ولا يهمها كلام يصدر من أحد غيرى وأن العيش والملح يخونانها إذا اهتمت بكلام غيرى وتركتنى لأننى أفضلها عن أية واحدة أخرى وأننى من الآن فصاعدا سأزيد فى أجرتها اليومية وبعد خروجها أدركتُ أن إشاعة غناى جعلت نساء الحارة يعتقدن أنها

أصبحت فى بحبوحة من العيش من جراء خدمتها لى وأنها تختلس ماتشاء من النقود يوميا عند شراء لوازمى ولا مراء فى أن من علق بنفسه عيب خاص سولت له نفسه بغير عمد أن يصم الناس كافة بهذا العيب المعين ولا يستطيع أن يرى الحياة إلا فى مرآة تعكس عليه دخائل نفسه وعلى ذلك لما كان كل نساء الحارة لا يتأخرن عن سلب غيرهن إذا استطعن إلى ذلك سبيلا كانت وجهة نظرهن نحو أم خليل هى أنها لابد مختلسة شطراً من النقود التى تتناولها من يدى لشراء الحاجيات ولما كان سلوكها على هذا النحو مقرراً فى أخيلتهن سألت كل واحدة نفسها لماذا لا تسعى فى طرد أم خليل من هذه النعمة السابغة لتستولى وحدها على تلك الخيرات العميمة . فلما اتحدت وجهات النظر أفضت كل واحدة إلى أختها بما يكنه صدرها فأتمر الجميع بتلك المرأة ونصبن لها الشراك وكانت الخطة المدبرة هى أن يرشقنها بنبال الكلمات القارصات تلك التى تمس الوتر الحساس فى أفئدة أمثال تلك المرأة فيوغرن بذلك صدرها ويحرجن مركزها فتمتنع عن الحضور ويخلو بذلك لهن الجو

أقول لما أدركت ذلك اهتممت للأمر كثيرا لأننى إذا لم أقم على الفور بتهيئة الجو بشكل يرضى أم خليل فأنها لامحالة متخلفة عن المجيء إذا دام الأمر على هذا النحو لما أعهده فيها من التصرفات ولو تم ذلك للحقنى ضرر بالغ لأنها امرأة قد بلغت بحق المقام الأعلى فى أمانتها وحنانها وإذا حل غيرها محلها فمعنى ذلك أن يد الخيانة استطاعت أن تنشب أظفارها فى نقودى وهى كل ما أملك من العضد والسند فى محنتى هذه .

والآن كيف أقضى على هذه الرواية التى تمثل فى الحارة . إن الأمر يقتضى العجلة ويدعو إلى عدم نقض السياسة التى أترسم خطاها مذ وجدت فى هذه الحارة وهى أن أرضى الجميع وأوجد لى جوا من المدح والثناء وأبعد عنى العداء .

وأخيرا انتهى الرأى الى خطة أضمرتها فى نفسى لأنفذها كلما سنحت

الفرصة بذلك واستمرت أم خليل تأتى يوميا ولـكنها لاتدخل المنزل بل تترك المياه على بابه وأنا الذى أحملها الى الدور الثانى وبعد أيام قليلة حضرت امرأة لقراءة خطابها وهنا سنحت الفرصة لتنفيذ مابيت الرأى عليه فلما نادت المرأة وكررت النداء قلت لها أنا مشغول الآن ولم أنزل اليها فذهبت وعادت بعد قليل ونادت ثانية فرددت عليها من فوق بأنى مشغول ولا أستطيع النزول فذهبت على الفور الى أم خليل ورجتها فى الحضور معها وما أن حضرت معها أم خليل ونادت حتى نزلت مسرعا ورحبت بها وأديت المطالب بكل عناية وبعد أيام أخرى حضرت امرأة غيرها لقراءة خطابها أيضاً ونادت فعرفت صوتها ولم أرد عليها فتوجهت من فورها الى أم خليل وبحضورها معها تم المطلوب على خير مايرام فعرف أولئك النسوة بطريقة عملية أن لأم خليل حظوة عندى لايعادلها شيء آخر وأنها السكرتير الخاص لي وأنهن بناء على ذلك محتاجات لاسترضائها كى تؤدى لهن هذه الخدمات المجانية التى يدفعن لأجلها نقودا إذا ذهبن لأى واحد من الـكتبة العموميين كما كن يفعلن سابقا وكان لأم خليل الفضل وحدها فى إحضارهن إلىّ من بادىء الأمر فعقلن السنتهن فى حناجرهن وبدلا من ترامى الألفاظ عليها حين سيرها تبدلت الحال وأصبحن يتقربن اليها ويقلن لها سلمى لنا على سيدنـا الشيخ ولما شعرت أم خليل بأنى أرفع من شأنها وأنهن يحتجن اليها أصبحت تتدلل وتفخر عليهن وتتباهى بمجيئها إلىّ وشيئا فشيئا تغيرت نفسيتها وصارت تدخل المنزل وتحمل المياه الى أعلاه وعادت الأمور الى سابق عهدها .

(المذكرة الخامسة)

يناير عام ١٩٢٠

ضعفت صحتى كثيراً من جراء الوحدة والصمت التام حتى كنت أرجو من الله أن يمن علىّ بواحد يتكلم معى على أن يأخذ لنفسه طعامى وشرابى ولكن لاحيلة فى ذلك مطلقاً إذ بينما أريد أن أتكلم مع الناس إذا بى أريد فى الوقت عينه عدم الكلام مع أحد لئلا يفرط منى فى أثناء الحديث ماتضرنى عاقبته وبالاجمال كان الوقت معقداً وحالتى مهددة بضرر صحى خطير واستمرت صحتى تتقهقر وشهيتى إلى الطعام تتضاءل حتى أصبح يكفينى من الطعام فى الوجبة الواحدة عدد قليل جداً من الزيتون أو بيضة واحدة فاذا زدت على ذلك فى أى وقت صباحاً أو ظهراً شعرت كأننى أصبت بتخمة .

خرجت فى هذا الشهر أربع مرات ليلا وكنت أبحث فى الأزقة فى أثناء سيرى عن أى شحاذ لأعطيه مليما كى يقف للكلام معى قليلا وكانت مشاغلى فى المنزل لاتتعدى قراءة الصحف والتأمل فى نقوش ورق النقد وفحص حالة المنزل حتى أننى عددت به من أشكال وأنواع الحشرات والهوام مايربى على سبع عشرة وكان شغفى بشراء الصحف كبيراً لأنى أجعلها سلوتى طوال النهار وحين اقتراب ميعاد مرورها أمام منزلى مساء كنت أنصت لنداء الباعة إنصاتاً شديداً وكثيراً ما كان سمعى يخدع ويخيل إليه تماماً أن الأولاد ينادون . الأخبار . الأخبار . وهى جريدة الوفد الكبرى وقتئذ فأتأهب للنزول ثم أنتظر طويلا وطويلا أنتظر وأخيراً ينتهى الانتظار

إلى غير جدوى ويكون الأمر كالسراب يحسبه الظمآن ماءً فلا أولاد هناك ولا جرائد وكان انخداع أوتار السمع هذا أحد مضايقاتى.

اشتدت برودة الجو واشترت لى أم خليل أقمشة أخرى وفصلتها عند الخياطة.

(المذكرة السادسة)

فبراير عام ١٩٢٠

شهر المحاكمة غيابياً

عقدت محكمة جنايات الاسكندرية جلساتها فى غضون هذا الشهر للنظر فى قضية الاعتداء على محمد سعيد باشا رئيس الوزراء الذى استقال فى نوفمبر عام ١٩١٩

جاء فى جريدة الوقائع المصرية (وهى الجريدة الرسمية) الصادرة فى يوم الخميس ١٥ جمادى الأولى عام ١٣٣٨ الموافق ٥ فبراير عام ١٩٢٠ عدد ١١ ما يأتى:

طلب حضور متهم

نحن رئيس النيابة العمومية عن الحضرة السلطانية بمحكمة الاسكندرية الأهلية الكائنة بشارع رشيد نكلف المحضر بأن يدعو محمد شكرى الكرداوى عمره ٢٦ سنة طالب طب بالآستانة سابقا مولود ومقيم بالمنصورة وغير معلوم له محل إقامة الآن بالقطر المصرى إلى الحضور فى جلسة الجنايات التى ستنعقد فى المحكمة المذكورة فى يوم الأربعاء ٢١ جمادى الأولى عام ١٣٣٨ (١١ فبراير عام ١٩٢٠) الساعة ٩ أفرنكى صباحا لمحاكمته بمقتضى المواد ٤٠ و ٤١ و ١٩٤ و ١٩٦ و ٤٥ و ٤٦ عقوبات فى قضية لأنه اشترك فى الجريمة الموجهة إلى سيد على محمد فانه مع علمه بالجريمة و إتفاقه مع الفاعل

الأصلى على ارتكابها رافقه من كفر الزيات إلى الاسكندرية يوم الجمعة ٢٩ أغسطس عام ١٩١٩ الموافق ٣ ذى الحجة عام ١٣٣٧ وأرشده عن منزل المجنى عليه (صاحب الدولة محمد سعيد باشا) ووصفه له وأرشده عن الطريق الذى يمر منه ووصف له السيارة التى يركبها وأعطاه آلة الجريمة وهى القنبلتان * فساعده بذلك على ارتكاب الجريمة فوقعت بناء على ذلك فى يوم ٢ سبتمبر عام ١٩١٩ بجهة شارع جناكليس بقسم الرمل باسكندرية.

هذا الاعلان نشر فى الجريدة الرسمية فى عام ١٩٢٠ ، ولم أطلع عليه إلا فى عام ١٩٣٣ . وقد بدأت المحكمة جلساتها فى يوم ١١ فبراير ١٩٢٠ ثم تأجلت إلى يوم ٢٣ فبراير عام ١٩٢٠ وبلغ عدد شهود الاثبات فى القضية ٢٥ شخصاً .

جلسة المحاكمة

انعقدت المحكمة فى يوم الاثنين ٢٣ فبراير عام ١٩٢٠ (الموافق ٤ جمادى الثانى عام ١٣٣٨) وكذلك فى يومى ٢٤ و ٢٥ منه بمحكمة الاسكندرية برياسة عبدالحميد باشا رضا وعضوية حافظ بك لطفى والمستر كرشو وجلس فى كرسى النيابة محمد زكى الابراشى بك

المحامون

عن المتهم الأول الشيخ سيد على محمد . . . الأستاذ احمد مرسى بدر

عن المتهم الثانى الغائب محمد شكرى الكرداوى .... الأستاذ محمد حسيب

ولكنه لم يترافع لغياب المتهم الثانى المنتدب عنه

---

* قرر المعمل الكيماوى بأن الذى كان فى السلة تحت العنب قنبلتان ألقيتا على رئيس الوزراء وذكرت النيابة أمام قاضي الاحالة وأمام محكمة الجنايات أنهما كانا قنبلتين والشيخ سيد الذي ألقى السلة على رئيس الوزراء خيل اليه أنهما قنبلتان كذلك ولكنى أنا الذى ملأت السلة بعد حشوى القنبلة أقرر الحقيقة الان بأن الذى كان داخل السله قنبله واحدةفقط فرقعت مرتين وسمع لها صوتان متواليان وكان ذلك مصادفة ولم يكن مقصودا

عن المتهم الثالث الشيخ محمد محمد خليفه . . . الأساتذة احمد وجدى بك ومحمد العرارجى افندى ومحمد أبو شادى بك

كانت جريدة وادى النيل اكثر الجرائد اهتماما بنشر ما دار فى أثناء المحاكمة من المرافعات بالتفصيل وذلك لوجودها بمدينة الاسكندرية على مقربة من المحكمة وسننقل هنا ما جاء باعدادها الصادرة فى أيام ٢٤ و ٢٥ و ٢٦ فبراير عام ١٩٢٠ وكذلك بأعداد المقطم والأهرام وهذه الأعداد محفوظة الآن بدار الكتب الملكية بباب الخلق تحت طلب القراء .

ترافعت النيابة فى الساعة ٨ من صباح يوم ٢٤ فبراير عام ١٩٢٠ وجاء ضمن أقوالها ما يأتى :

عن المتهم الثانى الغائب : أنه سافر إلى الأستانة ثم عاد إلى مصر واعتقل عام ١٩١٥ ثم أفرج عنه واتهم بتدبير مؤامرة سياسية ثم أفرج عنه وأخيرا أعيد اعتقاله وبقى معتقلا إلى يوم ٢٥ اكتوبر عام ١٩١٧ ، وقال عن أخلاقه أنه كان شديد الحرص قليل الكلام ، لايتعرف بأحد ولا يطلع الغير على حقيقة أعماله .

هو الرأس الذى اقترح الجريمة ودبرها ، فأحضر القنابل بدليل اعتراف المتهم الأول ولكن اعترافه يدلنا على أنه لم تكن هناك صداقة قديمة بينه وبين المتهم الغائب ، بل كل ما هناك هو مقابلته صدفة قبل وقوع الجريمة بزمان يسير على أن ارشاد المتهم الاول إلى اشتراك الثانى لم يكن واضحا بجلاءلولا مابذله رئيس نيابة المنصورة من الهمة فقد قال المتهم إن أحد شركائى هو محمد شكرى فقط ولم يذكر باقى اسمه وذلك ناتج من شدةحرص الكرداوى على اخفاء اسمه ويدلنا على وجود شكرى الكرداوى بالاسكندرية فى يوم ٢٩ اغسطس عام ١٩١٩ شهادة اسماعيل ومحمود البرعى واعتراف المتهم الأول .

ولخصت جريدة المقطم أقوال النيابة فى عددها الصادر فى يوم ٢٥ فبراير عام ١٩٢٠ كما يأتى (هذا المتهم الغائب قبض عليه فى عام ١٩١٥ فى ابريل بتهمة الاعتداء على المرحوم السلطان حسين كامل ثم أفرج عنه واعتقل ثانية سياسيا وظل فى الاعتقال الى ٢٥ اكتوبر عام ١٩١٧ فأخذ يتاجر ثم جاء الى الاسكندرية للمعالجه . وأخذ يصفه أخلاقيا بأنه شديد الحرص وأنه لم يحادث أحدا أو يبح بشىء يثبت وجوده وكان يقول للمتهم فى القطار أثناء السفر الى الاسكندرية أكتب وصيتك ونحن ننشرها على الشعب المصرى مع رسمك ولذلك ذهب المتهم الاول إلى المصور) هو محمد على خالد افندى المصور بالاسكندرية

قالت الاهرام فى يوم ٢٥ فبراير عام ١٩٢٠ : من أخص صفات المتهم الثانى الغائب الكتمان والحرص فانه كان يكتم كل مايفعله حتى عن شهود الاثبات وكان قليل الكلام ، أراد عند تدبير الحادثة أن ينزل إلى الاسكندرية ولكن لم يشأ أن يدع أحدا يعرف شيئاً عن أعماله ، وقد كان فى حادثة الاعتداء هو المدبر للجريمة وهو صاحب القنابل ومدير الحركة ويرشد الجانى إلى آخر مايستدعيه الارشاد حتى ارتكاب الجريمة .

دفاع حضرات المحامين

ملخص مرافعة الاستاذ احمد مرسى بدر (نقلا عن جرائد وادى النيل)

إن واجبى هو الدفاع عن المتهم الاول وهو واجب شاق لانه اعترف بكل شىء ولكنه واجب مقدس بحكم المهنة وبحكم أن العامل الذى دفعه على ارتكاب هذه الجريمة إنما هو عامل شريف متأثر بعاطفة حب الوطن فلو أن هذه الجريمة كانت من الجرائم العادية لكنت أكتفى بطلب الرأفة ولكنها جريمة سياسية وقعت فى ظروف مخصوصة وفى أوقات عصيبة انقلبت الامة فيها رأساً على عقب وتطورت أفكارها وإذا قيل إن المتهم أخطأ فى

ظنه أن خدمة مصر لاتكون إلا باغتيال الوزير فقد كان الرأى العام يرى انه لايحق لمصرى قبول هذه الوزارة لافرق فى ذلك بين القاضى ووكيل النيابة وغيرهما .

ملخص مرافعة الاستاذ احمد وجدى بك المحامى

(نقلا عن جرائد وادى النيل)

زادت صفحات التحقيق عن ٩٠٠ وسألت النيابة ٦٠٠ شخص ثم قال يجب أن ينظر إلى الظروف والأفكار التى كان منساقاً بها المتهم الأول فما هو حظ هؤلاء الشبان الذين يرتكبون الجرائم اليوم ؟ هل يريدون جاهاً ؟ هل يريدون مالا ؟ كلا فانهم يخدمون مبدأ يعدونه حقاً ، ويضحون لأجله بارواحهم بصرف النظر عما إذا كانوا مخطئين أم لا . لقد كنا ننتظر أن تنظر النيابة إلى هذه القضية بغير العين التى نظرت بها ، ولكن للأسف لم نجد لذلك أصلا ومع ذلك فان العقاب الشديد ليس هو الدواء فاذا أردتم انقطاع الجرائم فارجعوا الى أسباب الجرائم وانتزعوها وهناك يرجع الأمن إلي البلاد. ثم قال ذكرت النيابة أن الخلاف فى الآراء السياسية لايكون مؤدياً إلى القتل وأن الصحافة كفيلة بان تقوم بالدفاع فليكن ذلك أعطونا صحيفة واحدة حرة ونحن نكتفى بذلك ففى هذا اليوم نفسه أقفلت جريدتان يوميتان . ثم قال. تقول النيابة إن المتهم كان يشتغل بالسياسة فى الحركة الأخيرة وكان يخطب فى الجوامع ومَن من الناس لايشتغل بذلك؟ وهل بعيد أن يكون شخص مثل الشيخ خليفة زعيما لأهل بلده فى المطالبة بحقوقهم المهضومة .

أنظروا إلى قادة حركتنا اليوم . أنظروا إلى هذا الوكيل الجالس فانه كان يقود الحركة السابقة وكان من ضمن المضربين فهل يعد مسئولا عن كل حركة فى البلد . إنه لو صح الأمر لخشينا على أنفسنا لانه ليس بيننا نحن المحامين من لم يشتغل بمثل هذه الحالة.

ملخص دفاع الاستاذ محمد العرارجى المحامى

(نقلا عن جرائد وادي النيل)

بدأ كلامه بلفت نظر المحكمة إلى نقطتين وهما (أولا) مجئ شكرى إلى منزل خليفة فان النيابة قالت إنها بحثت عنه فى كافة فنادق كفر الزيات فلم تقف له على أثر وكان الواجب عليها أن تبحث عن شخص غريب بات فى كفر الزيات لأن شكرى الرجل الحريص كما تقول النيابة لا ينام فى فندق ويقول عن اسمه الحقيق (ثانياً) أن الشيخ خليفة قال فى مذكراته إنه فى يوم ٢٩ مايو عام ١٩١٩ ابتدأ حياته السياسية الحقيقية فانه كان يقصد بذلك اشتغاله بمسألة جمعية العمال كما شهد بذلك الشهود

ملخص دفاع الاستاذ محمد ابو شادى بك المحامى

(نقلا عن جرائد وادى النيل)

ان للرأى العام تأثيرا فوق كل تأثير فالرجل اندفع إلى ما عمل بقوة الرأى العام وقد قال لي أحد الوزراء الذين رفضوا مركز الوزارة إنه قال حين سؤاله عن سبب رفضها إنه لم يجد مساعدة من الرأى العام . صدقونى إن الحركة القائمة فى البلد أحيت الاموات فان المترافع أمامكم اليوم ـ يعنى نفسه ـ قضى عليه الطبيب ألا يترافع ومع ذلك فانى كنت أذهب إلى الازهر وأخطب وقد ذهبت إلى رفح وطالما أكلت من عيشه ولكن ذلك لا يمنعنى أن أخدم بلادى.

النطق بالحكم

صدر الحكم فى الساعة الحادية عشرة صباحا فى يوم ٢٥ فبراير عام ١٩٢٠

قال الرئيس : يجب على الجمهور أن يقابل الحكم بالسكوت لا بالاستحسان ولا بالغضب . ثم قال

حكمت المحكمة غيابيا بالنسبة لمحمد شكرى الكرداوى وحضوريا بالنسبة لباقى المتهمين .

أولا — بالأشغال الشاقة عشر سنوات على الشيخ سيد على محمد

ثانياً — بخمس عشرة سنة على محمد شكرى الكرداوى « الغائب »

ثالثاً — ببراءة محمد محمد خليفه

بعد النطق بالحكم هتف الجمهور لمصر بالحرية والاستقلال وحدثت فى غرفة الجلسة مظاهرة سلمية صغيرة

حيثيات الحكم

جاء فى جريدة وادى النيل الصادرة يوم الجمعة ٢٧ فبراير عام ١٩٢٠ ما يأتى

جاء فى حيثيات الحكم ما يأتى

حيث أن المحكمة ترى من ظروف الدعوى معاقبة هذين المتهمين (سيد على محمد ومحمد شكرى الكرداوى) بالمادة ١٧ من قانون العقوبات مع التفرقة بينهما لانه ظهر للمحكمة أن المتهم الثانى محمد شكرى الكرداوى هو الذى جرأ المتهم الاول لارتكاب الجريمة وأحضر له آلة الهلاك وأرشده الى كل ما أوصله لتنفيذها وأن سيد على محمد لحداثة سنة انقاد لكل ارشاداته وحيث أن الادلة المقدمة على إثبات التهمة على المتهم الثالث محمد محمد خليفه لم تكن كافية لادانته ترى المحكمة براءته عملا بالمادة ٥٠ من قانون تشكيل محاكم الجنايات .

المذكرة السابعة

مارس عام ١٩٢٠

خرجت فى هذا الشهر أربع مرات ليلا وكانت العادة تستدرجنى لافسح دائرة التجوال زمانا ومكانا فذهبت أسرح الطرف فى حى السيدة سكينة باحثا عن دكان حلاق يكون صغيرا ، فعثرت على دكان قبالة مسجد السيدة سكينه قد أخنى عليه الدهر وكان هذا هو الذى أستطيع أن أجلس فيه ساعة من الزمن بقليل من الحذر ، فدخلت فيه ولأول مرة منذ سبعة أشهر أنظر فى مرآة لأرى نفسى وأخلع عمامتى لأقص شعر رأسى ولحيتى وناهيكم بمنظر الشعر الذى نبت فى خلال شهور سبعة بغير نظام أو تنسيق . ولعمر الحق إن منظرى فى المرآة لم يعجب صاحبه وبدأ (الأسطى) ابراهيم الحلاق يتولى عمله فى نور ضئيل ويجود بالكلام الكثير ثم يصمت حينا بعد حين ليعرف هل مللت من الحديث أم أرغب فى المزيد فيزيد . وما درى أن صوت مقصه ونبرات صوته يقعان فى نفسى موقع الماء القراح فى جوف ذى الغلة الصادى وأين لى مذ سبعة أشهر أن أرى أنيساً يتجاذب معى أطراف الحديث فأنصت له وينصت لى مدة نصف ساعة !! ولهذا السبب قد أصبحت ألفاظ هذا الحلاق التى تثقل على السمع ولا تساوى نقيراً هى فى أذنى أنا وحدى أمتع النغم وأجمله .

حقا إنه حلاق بلدى بكل معانى الكلمة ما ان يفاتحه الذى يحلق بكلمة واحدة حتى ينطلق لسانه من عقاله كما تنطلق اسطوانة الحاكى فى مجراها الذى رسم لها ولكن إلى غير وقوف . ولاشك أن مثل هذا الحلاق غير مرغوب

فيـه ، ولـكن أعجب العجب أنه هو بعينه الذى يناسب حالتى ، والذى أبحث عنه فلا أعثر عليه ، ولو كان من الميسور أن أذهب إليه كل ليلة للتكلم معه لفعلت ولـكننى صرت أذهب إليه مرة واحـدة فى الشهر على الاكثر حذر المفاجآت التى أخشاها كثيراً . وقد أخبرته فى أول الامر عنـد بدء العمل أننى كنت مريضاً لاأخرج من المنزل وأن هذا هو أول يوم شفيت فيه ولذا يرانى لم أحلق رأسى منـذ أمد طويل وأريد منه أن يقص لحيتى مع ترك قليل منها .

كان بجوار منزلى شرقا وغربا منزلان صغيران أحدهما كائن بنفس العطفة والآخر يفتح بابه على الحارة وبينى وبينه نافذة صغيرة فى أعلى الجدار وكنت دائم الانصات لمـا يدور من الأحاديث بين سكان هذين المنزلين كى أكون على بينة من اعتقاد الناس فى أمرى وهؤلاء الناس يرددون فى أحاديثهم كل ما يجول فى خواطرهم أو يتصل بأسماعهم بأصوات على الدوام مرتفعة دون أن يلحظوا مداها ، وأحاديثهم لا تخلو أحيانا من ذكر اسمى مقرونا بشىء ما وإذا خلا هذان المنزلان من السكان كما كان يحصل أحيانا أصبح الجو موحشا وحشة تامة وإذا عمرا كان لى من جراء ذلك بعض التسلية وبعض الفائدة أو الضرر .

كان من المقرر عندى أن الناس يلاحظون أننى لاأخرج من منزلى رغم كل ما أذيعه عن نفسى ولـكنى لا أعلم على وجه التحديد إلى أى مدى يكون ذلك مادة لأحاديثهم وموضوعاً لاهتمامهم . إنى لا أرضى أن أهيم فى بيداء الحدس والتخمين وأريد برهاناً مادياً يكون أمامى كالمثقال يضعه الانسان فى الميزان فيزول الشك أمام اليقين وذلك لأن العامة كثيراً ماتمر أمام أبصارهم حوادث ناطقة ولـكنهم يمرون عليها وهم عنها معرضون ، وقليل هم أصحاب البصر والفـكر ، وكان يوجد فى مسألتى بصفة خاصة شىء من شأنه أن يثير العجب عند كل من يسمع به ولولاه لمـا فكر إنسان فى موقفى بتاتا ولمـا

خشيت شيئاً أصلا . وهذا الشيء هو أنى رجل وحيد ملازم لبيتى ولا أخرج منه وقد جرت العـادة أن المرأة هى التى لاتخرج من منزلهـا . أما الرجل فدأبه الخروج ، وكنت على يقين من أن هذه النقطة المخالفة عادات الناس هى منحدر الخطر إذا لحقنى يوماً من الأيام ولـكن ماذا أعمل لقد كنت مكتوف اليدين بلا ناصر ولا معين وما عملتـه هو جهد المقل ولو كان هنـاك فرد واحد يعرف أسرارى ويرضى أن يساعدنى لأمكن تأجير منزل آخر فى جهة أخرى بعيدة وبتركى هذا المنزل وانتقالى إلى جهة بعيدة يزول شبح هذا الخطر بتاتاً وتتغير الظروف والأحوال ثم إلى أن يبدأ الناس يلاحظون علىَّ شيئاً يخالف العادة أكون قد انتقلت إلى جهة أخرى وهكذا دواليك ، ولـكن مع الأسف لم يكن لى أحد بهذا الوصف، ولا أستطيع أنا وحدى أن أستأجر منزلا فى جهة أخرى لأن البحث عن المنازل لا يكون إلا نهاراً وأنا لا أجرؤ على الخروج نهاراً . وحدث فى يوم من أيام هذا الشهر بينما كنت أسترق السمع لحديث الجيران أن عرفت يقيناً أن الناس يتحدثون فى علة عدم خروجى من منزلى وعدم رؤيتهم لأحد من الخارج يزورنى . نعم إنهم كانوا يتكلمون لمجرد الكلام ولا يرمون من وراء ذلك إلى إيصال الأذى أياً كان مقداره ولـكن هذه بذور تزرع وإذا لم تجتث من أصولها استفحل ضررها . فلما سمعت ذلك اهتممت للخبر أيما اهتمام وتجسم شبح الخطر أمامى وعرفت أن الاشاعات التى أذعتها عن طريق أم خليل من أنى أخرج كثيراً ويزورنى كثيرون قد أفادت ولـكن إلى حين فان مرور الزمن الطويل جعل الواقع يصطدم بهذه الاشاعات فيقضى على سلطانها ، وكذلك جلوس نساء كثيرات على أبواب منازلهن فى الحارة طوال اليوم مع معرفتهن التامة بكل من يدب على أرضها وتدخلهن فى ما يعنى وما لا يعنى كان مصدراً لاشاعات عدم خروجى من المنزل .

والآن ليس من الصواب ، وقد بدأت العقول تتحرك أن

يحتال الانسان على العقول بنفس الطريقة التى بليت ، وإنما الصواب أن يبادر الانسان إلى سد الطريق على العقول قبل أن يتسع الخرق على الراقع وذلك بأن يلجأ إلى طرق الاقناع ويحشد براهين جديدة من النوع الذى اصبح جديراً بالموقف الجديد .

ليس للموقف علاج سوى أن أدعى حرفة من شأن صاحبها ألا يكون عليه حرج لو اشتغل بمنزله من غير أن يبرحه ولو وفقت إلى شىء من ذلك واشتهرت به لأصبح عدم خروجى من المنزل أمراً طبعياً فى نظر الناس وكان أمامى مثل لذلك فى نفس الحارة وهو أن بجوارى منجداً يشتغل بمنزله مع عدة أفراد ولا يفكر فيهم أحد مطلقا فلو كنت على علم بالنجارة أو النساجة أو التطريز أو التنجيد لاقتفيت أثره بلا أدنى خطر ولكنى لا أعرف شيئا من ذلك وهيئتى العامة ليس فيها سيما الصناعة ، وإنما غلب عليها مذ أقمت بهذه الحارة طابع الفقهاء والأزهريين ، وبهذا عرفت بين الناس وخطت ملابسى طبقا لهذا الزى . وقد عضد هذا المظهر كثرة سماع الناس لى وأنا أؤدى فروض الصلاة فى أوقاتها ، وعلى ذلك قد فكرت طويلا على أجد حلا يتلاءم مع مظهرى وملبسى ، وأخيراً انتهى التفكير بأن أدعى أننى شيخ أكتب التمائم الشافية للأمراض والجالبة للأرزاق وأستحضر الأرواح وما إلى هذه الأعمال . ومن المعلوم أن جل من يشتغلون بهذه الأمور لا يفارقون منازلهم وإنما تشد اليهم الرحال . ولقد جرأنى على المغامرة فى هذا الضرب من الادعاء أننى كنت طوال هذه المدة أدرس عقلية العامة ومنشأ أوهامهم وكيف يؤثر فيهم هؤلاء الدجالون ، حتى استوفيت كثيراً من النظريات فى هذا المنحى ، وهذه النظريات هى رأس مالى الوحيد لهذا النوع الجديد من العمل ولا أستطيع بطبيعة الحال أن أسبق الحوادث بالتفاؤل بحسن النتيجة أو التشاؤم منها ، وإنما أرى أن هذا العمل الذى

عقدت النية عليه هو الطريق الوحيد الذى لا ثانى له لسلوكه مضطراً أو مختاراً على السواء . وبناء على هذا العزم خرجت ليلا واشتريت مصحفا وسبحا طويلة من جهة السيدة زينب واستحضرت فحما وبخورا من أحد العطارين . ولما بلج الصبح أطلقت البخور زمنا طويلا حتى تأرج فى كل مكان . وقد تكرر اطلاق البخور فى منزلى عدة مرات حتى انتهى هذا الشهر

قد أصبت بأرق طويل فى أثناء النوم وفقدان للشهية وامساك لا أعرف كيف أتخلص منه ، وذلك من جراء التزام الصمت الطويل وسوء المسكن غير الصحى وعدم الخروج كما هو معروف .

المذكرة الثامنة

ابريل عام ١٩٢٠

بينما أنا جالس وإذا بالباب يقرع على غير ميعاد ففتحته فدخلت امرأة تسمى زينب أم عطيه من سكان الحارة لم يسبق لها أن خاطبتنى فى أمر جل أو هان ، ولكن صوتها كان يدوى أحيانا فى أنحاء الحارة وكنت أعرفها عن طريق صوتها . قالت هذه المرأة بصوت خافت يا سيدنا الشيخ ! قد سمعت أنك تسحر وتكتب ولى عندك أمر هام لو أعطيته من عنايتك لأعطيتك كل ما تطلب من نقود فقلت وما هو . قالت : كنت متزوجة من رجل حداد اسمه محمود يشتغل بشارع سوق السلاح وقد طلقنى منذ عام والآن قد وصل إلى على أنه يسعى للاقتران بامرأة أخرى اسمها نفيسة فأرجوك أن تقرأ عليه

عدية يس وتحيل الخدام عليه كى يوغروا صدره من جهة تلك المرأة فيتركها وينقلب إلىّ فيعيدنى إلى عصمته ثانية ، فأظهرت لها أنى على أتم استعداد لخدمتها وأنى أخدم الناس بغير مقابل لأنى أهب هذه الاعمال لله سبحانه وتعالى ولا أبغى من ورائها جزاءً ثم وطأت كتفى لها كى تتجرأ على الحديث وهو ما يتمناه الطرفان . أما من جهتى فقدرأيت الفرصة سانحة لأرفه عن نفسى قليلا بالمحادثة معها وأشق حجاب العزلة الذى يكتنفنى ولذا رغبت فى الكلام معها طويلا وقد أنار لى هذا الحديث بعض خطوط السير التى سأسلكها في المستقبل مشتغلا بما وطدت العزم عليه فانى وإن كنت قد أكثرت من إطلاق البخور فى المنزل إلا أن المسائل الروحانية التى كان مزمعا الاشتغال بها والتى كان من الضرورى أن يعلم الناس عنى أننى إخصائى فيها كانت غير معروفة عندى أنا نفسى ولما يقع الاختيار عليها نصا فلما طلبت المرأة إلىّ ان اقرأ لها عدية يس أخذت عنها فى الحال هذا اللفظ كمن يقيد جملة هامة فى مفكرته كى لا ينساها مدى الزمن وأصبحت عدية يس هذه رأس موضوع مناسب لاتخاذه ضمن قائمة الموضوعات التى سأدعى أننى ماهر فيها وتردد ذكر العدية كثيرا فى الحديث مع هذه المرأة بغير أن يكون لى سابق علم بماهية عدية يس أو شروط قراءتها لدى العامة وكان الموقف يدعونى إلى ان اظهر لها بسرعة انى على علم تام بهذه الامور تاركا التفكر فيها بامعان إلى وقت الخلوات الطويلة

أما المرأة فلشدة ثقتها فى قدرتى تلك الثقة التى حلت فى نفسها على أثر ما سمعته من الاشاعات ـ وهكذا جميع العامة فى سرعة التصديق كالأطفال يصدقون ما يشاع بلا دليل ـ لم تخف عنى شيئاً من معلوماتها بل أتت عليها إلى نهايتها وقد كفتنى بنفسها مؤونة البحث فى بعض النقط الهامة وذلك بقولها فى آخر الحديث هل أحضر البخور إلى منزلك أم إلى منزلى فقلت لها وهل بمنزلك أحد

فقالت ليس عندى إلا أختى شفيقه وابنها الصغير وهو ينام عقب المغرب فقلت حسناً سأحضر أنا إلى منزلك بعد صلاة العشاء. فقالت وهل ستحضر فى العشر الليالى كلها أم فى هذه الليلة فقط فأدركت فى الحال أنها تعرف أن عدية يس يلزم لها عشر ليال فقلت نعم سأحضر فى العشر الليالى كلها ثم انصرفت عقب ذلك وكلها آمال واسعة تنطق بها أسارير وجهها.

ولعمرى لقد خيل إليها أن زوجها أصبح فى قبضة يدها ووقفت أنا وحدى أتأمل كيف أنها أسندت إلىّ هذه الكفاية العظيمة التى بدت لى من ثنايا ألفاظها ويلوح لى أن سكان الحارة لما استنشقوا رائحة البخور خيل إليهم أنهم اكتشفوا ذلك السر العظيم الذى هم فيه مختلفون وهو سر عدم خروجى من المنزل وما دمت أنى لم أعرض بضاعتى عليهم فى غضون الشهور الطويلة الماضية فقد أصبح من الثابت لديهم أن السر والبركة اللتين أحملهما لا بد وأن أمرهما أعظم من أن يناقش فيه لأن الشىء فى نظر العامة كلما غمض وأبهم وأبعد عن الأنظار حل فى قلوبهم محل الاكبار وربما وصل إلى محل التقديس وقالوا فيه ما شاءت أوهامهم من المبالغة . ألا تراهم يؤكدون ويبالغون فى قدرة الموتى أكثر مما يبالغون فى قدرة الأحياء، ويخترعون للحوادث أسباباً تمت إلى العفاريت وهى الكائنات غير المنظورة أكثر مما يجعلونها تمت إلى الكائنات المنظورة ويعظم البعيد فى نفوسهم أكثر من القريب، والشاذ أكثر من السائر على قواعد. وجرياً على هذا الاتجاه الفكرى لما اتصلت الاشاعات بأم عطيه هرولت إلىّ مسرعة وكلها ثقة بقوة ما عندى من أسرار الخدام والجن والعفاريت والسحر إلى آخر ما هو معروف ومتداول فى أوساطهم على الخصوص.

وفى الميعاد المضروب توجهت إليها وبيدى المصحف وكل ما أرمى إليه من المغانم هو الخروج من عزلتى برهة من الزمن وإطالة الكلام معها بقدر الاستطاعة وأن تتداول على الألسن أن مهنتى هى الاشتغال بالمسائل الروحانية

وعند وصولى إليها وجدتها قد استحضرت لى الفحم والبخور وكانت أختها موجودة معها ولها ابن صغير نائم ففتحت المصحف حيثما اتفق وقرأت فيه وهى لا تعرف بالطبع ماذا أقرأ ، يالها من فرصة سعيدة !! إنى بين مناظر عائلية ! إننى أتكلم الآن !! صرت أتكلم مرة وأصلى أخرى على سجادة أحضرتها خصيصاً لى وآونة أطلق البخور وأنشد أناشيد تركية كنت حافظاً لها مذ كنت بالاستانة عام ١٩١٣ وهكذا إلى أن مضى من الزمن نحو ساعتين قمت على أثرهما وخرجت ثم أعدت الكرة فى نفس الميعاد إلى أن انتهت العشر الليالى وكنت أود لو استمرت الحال على هذا المنوال ولكن المواعيد المقررة فى ذهنها اضطرتنى إلى الانقطاع عقب الليالى المذكورة .

[المذكرة التاسعة]

مايو سنة ١٩٢٠

أبدأ هذه المذكرة بتحليل خيالات العامة نحو قدرة الأعمال السحرية على تغيير السنن الطبيعية للكون والكلام على منشأ تصديقهم لهؤلاء السحرة أو المشايخ المباركين كما يعبر الناس عنهم ، ليرى القارىء صفحة من الحياة داخل الحارات الضيقة المنبثة فى عموم البلاد ويلمس بيديه معمل الأكاذيب الذى يبنى صرحه أولئك الدجالون الذين ينفثون سموم خرافاتهم بين طبقات العامة فتتوارث الأجيال تلك الخرافات . ومرور الزمن يثبتها فى أذهان العامة لعدم مناقشتهم ما نشئوا فيه ولبعد تلك الأقوال عن مصادرها الأولى ونسيان أسبابها حتى ليخيل لبعض الأذهان أن بعضها آت عن طريق الدين والدين منها براء .

والآن إذا ذهبنا نظر من الناحية العلمية إلى ما يسمونه فى بلادنا فى وقتنا هذا بالأعمال السحرية وجدنا أنها حركات وأقوال تبدى للناس بمهارة من مصادر عليمة بمبلغ عقلية العامة ، فتملك هذه الآراء على الناس مشاعرهم وتستهوى ألبابهم ، وليس ما يسمونه بالقوة السحرية منبعثا من الأقوال وحدها وإنما من اقتران الأقوال ببعض العقول . فالعقول وأوهامها واستعدادها الوراثي وضآلة مداركها هى التى تكسب الأقوال التى تسمعها قوة وسلطانا يسميان سحراً وعند ما تقف العقول المفكرة بسبيل تحليل تلك الأقوال تجدها أضحت هباءً منثورا .

إن العامة يرتبطون بالحياة بأربطة عدة نسجتها أوهامهم الخاصة وأوهام أجدادهم من قبل ولا تطيب لهم الحياة إذا كانت كلها عقلا وكلها منطقا ، وإن دراسة هذه الأوهام التى تؤلف عنصراً هاماً فى تكوين العقل غير الراجح ، هى دراسة من ألذ الدراسات التى يتلقاها الانسان لا عن الكتب ولكن عن الحياة العملية نفسها . ومن الظروف العجيبة فى حياتى أنني بعد أن كنت طالب طب أصبحت أرى نفسى رجلا من المشايخ المباركين وفقهاء الأزقة ذوى اللحى الطويلة والسبح الكبيرة ، يلتمس الناس منى الدعوات ويتلقون عنى التنبؤات ، وكان من عمل تلك الظروف أن حببت إلى نفسى دراسة أوهام العامة عن كثب ، حتى استطعت أن أضع يدى على النظرية التى سرت على ضوئها فنلت شهرة طبقت أرجاء الحى على سعته ، وأصبحت يداى تقبلان يمينا ويسارا وأنا سائر فى وضح النهار أو فى غسق الليل وعرفت عند الناس بطول الباع فى الأعمال الروحانية والقدرة على مخاطبة الجن ومزاولة السحر بغير أن يكون لذلك وجود فى عالم الحقائق .

وإنى أجمل لحضرات القراء تلك النظرية التى هى سر خضوع العامة فى أمورهم الخاصة لمن يقبض على زمامها وهى كما يأتى :

(كل فكرة واضحة بينة تشبه ما ألفه الناس فى أعمالهم اليومية ويسهل

الحصول على مطالبها فهى فى نظر العامى أو العامية من عمل الانسان وبناء على ذلك تفقد رهبتها وتهبط قيمة القائل بها ، وكل فكرة مبهمة كثيرة التعقيد ممعنة فى الغرابة شاذة لا يرى الناس أثرها فى حياتهم العادية ، ومن الصعب الحصول على مطالبها فهى فى نظر العامة من وحى الجن حقيقة ، ولها منهم بناء على ذلك كل تجلة وكل احترام ولقائلها الطاعة والخضوع وهو العلامة المحقق والفهامة المدقق صاحب السر والاتصال بسكان ما تحت الأرض أجمعين) .

ولتوضيح معنى ما تقدم نضرب من الأمثال ما فيه الكفاية فنقول :

أولا — إذا أردت أن تجعل العامى يعتقد فيك أنك من كبار المتصلين بالجن وأردت تكليفه باحضار قبضة من التراب مثلا للتظاهر باستخدامها فى الأعمال الروحانية لنجاح مسألة سرية هامة أفضى إليك بها فلا تقل له عد منزلين ابتداء من منزل معين وأحضر لى التراب من أمام المنزل الثالث فان تلك المسافة هي فى نظره قصيرة والقيام بقطعها ذهاباً وجيئة مسألة فى غاية البساطة وما يغشى الفكرة من البساطة والسهولة لا يجعلها تحل فى قلب العامى محل الاعجاب والتقدير . ولكنك إذا قلت له عد أربعين منزلا بلا زيادة ولا نقص ثم أحضر قبضة من التراب بيدك اليسرى من أمام المنزل الواحد والأربعين على شريطة ألا يراك أحد عند التقاطها وإلا فسد مفعولها وجدت هذه الفكرة بما حوت من تهويل وشروط ومبالغات وما اشتملت عليه من إظهار أوامر وإخفاء أسبابها قد أودعت فى ذهن العامى أن فى ذلك كله سراً يعلو على الأفهام ، وأن عليه أن يعمل بما أمر ، وليس له أن يمس أى جانب من جوانب الفكرة بالبحث والمناقشة ، وإلا أصابه ما لا يوصف من الأرزاء والبلايا . وناهيكم بعمق التأثر النفسانى الذى يحل به عند البدء بتنفيذ الفكرة فانه سيضطر أن يقطع فى المسير مسافة طويلة وسيشعر بالتعب فى ضبط عدد المنازل ومراجعة العدد ثانية خشية الوقوع فى الخطأ ، وسينتظر طويلا بعد

ذلك حتى تسنح له الفرصة التى يشعر فيها أن عيون الرقباء كلها غافلة عنه ولا يوجد أحد يراه وذلك طبقاً للشروط التى قيلت له وكم يساوره فى تلك اللحظة من الوساوس والظنون ما يفقده الاطمئنان على توفر هذا الشرط ثم تراه على حين غرة يخطف قبضة من التراب خطفاً ويلتفت يمنة ويسرة كأنه قد سرقها . ومع أن الفكرة بمحتوياتها كلها هراء فانها بما تجلبه له من التعب الشديد توحى إليه أخيراً وحياً غامضاً مبهماً أنها حقاً من أفكار الجن والشياطين وأن النصر أصبح منه قاب قوسين أو أدنى وأن الشيخ الذى يدبر له الأمور هو شيخ لا مثيل له فى الاولين والآخرين .

وهكذا لا تتفق مع خيالات العامة إلا كل فكرة بعيدة عن القانون الطبيعى للحياة . أما النظام والقواعد والأسباب والمسببات والعقل والمعقول فكل ذلك لا يهضمه العامة هضما كافيا .

ثانياً — إذا قلت له أحضر صنفا من أصناف الفواكه فلا بد من مراعاة فصول السنة ، فاذا كنت فى فصل الشتاء فاطلب اليه أن يحضر لك فاكهة الصيف كالخيار والبطيخ ، وإذا كنت فى فصل الصيف فاطلب اليه أن يحضر لك فاكهة الشتاء ، كالقصب والبرتقال ، فانه فى سبيل الحصول على تلك الأصناف سيلقى مشقة عظمى وتلك المشقة هى أكبر الأسباب التى تزيد من اعتقاده فى صواب ماأمر باحضاره وتجعله إذا ماحصل عليها يشعر براحة قلبية تخيل اليه أن أمانيه أصبحت دانية القطوف .

ثالثاً — إذا أردت أن تطلب منه دجاجة لاستخدام رأسها فى الأعمال السحرية فلا تقل له أحضر لى دجاجة أيا كانت فان شراء أية دجاجة أمر من أسهل الأمور ، ولكن اخترع له من الالوان والاوصاف ما يجعل الحصول على تلك الدجاجة شيئا من أصعب الاشياء كأن تقول له أحضر لى دجاجة جسمها كله أسود ورأسها منمق بالابيض وهكذا إلى آخر ماهنالك من الأوصاف النادرة الوجود .

رابعا — إذا أردت أن تقول لامرأة أحضرى بضعة لقم من الخبز الجاف لغرض من الاغراض السحرية فقل لها أحضرى لى مثلا سبع لقم من سبع فاطمات فانها بناء على ذلك الشرط ستعمد إلى البحث عن سبع بنات كل بنت منهن اسمها فاطمة ثم تتناول من يد كل بنت كسرة من الخبز، ولا يكون ذلك الخبز إلا جافا وعلى الارجح لن يتفق لها هذا العدد من البنات المسميات بهذا الاسم فى منزل واحد أو حارة واحدة وستبحث طويلا قبل أن يتم لها الغرض، وبخاصة إذا اخترت لها من الاسماء ما يندر التسمي بها. وهذا البحث الطويل الشاق هو الذى يجعل النفس تتردد بين معارج الامل ومهابط اليأس فاذا ما ظفرت بالشروط المزعومة ذهب بها الخيال إلى أن الحصول على المراد أصبح أمرا لا مفر منه. ويلاحظ أن هذه الفكرة لا تطلب إلا من امرأة لانها هى التى تستطيع أن تمر على النساء فى بيوتهن بخلاف الحال عند الرجال.

خامسا — إذا أردت أن تطلب عظمة فلا تطلب عظمة خروف أو عجل فان ذلك موجود عند كل جزار، وإنما اطلب عظمة خنزير أو جمل فوجود الآخيرين أقل من وجود الأولين وإذا طلبت أظفارا فلا تطلب أظفار حمام أو عصفور وإنما أطلب أظفار نسر أو صقر واطلب جلد نمر أو فيل وقلب ذئب أو ثعلب ولا تطلب قلب خروف أو جلد شاة.

سادسا — إذا أردت أن تؤلف بين خصمين أو تقرب بين قلبين أحدهما نافر من الآخر فاطلب إحضار شيئين متناقضين كرأس قط ورأس فأر، أو رأس كلب ورأس ذئب، أو رأس حدأة ورأس كتكوت، أو قطعتى قماش من أثر كل من الحبيب ومن يحبه وبلف النقيضين فى خرقة واحدة من القماش أو وضعهما فى حق صغير من الحديد وإطلاق البخور على هذه اللفافة مع قراءة كثير من العبارات المحفوظة ثم الأمر بدفنها فى مكان خاص أمام

المنزل أو داخله يصبح من المعقول جداً فى أذهان العامة أن هذا البخور الذى أطلق وهذه الألفاظ التى قيلت ستنشئ بقوة ماتتضمن من الأسرار فى جو الحوادث حدثاً يطابق هذا الرمز المادى المحفوظ داخل اللفافة

وبنفس هذا الاتجاه وهذه الروح نشأت وتغلغلت الخرافات التى وطدت الأيام سلطانها فى أدمغة العامة وإنى أذكر للقراء طرفاً من الخرافات الشائعة بين الناس على سبيل المثال لا على سبيل الحصر فانها لاتعد ولا تحصى.

(ا) وضع القرط فى الأذن اليسرى للطفل كى يطول عمره

(ب) كتابة التمائم المختلفة لتعلق على صدور الأطفال والحيوان

(حـ) لبس المرأة التى يموت أطفالها خلخالا من حديد فى الساق اليسرى كى تطرد الشياطين الذين يخنقون أطفالها

(ء) شحاذة ملابس أو نقود من الطرق أو من الجيران ليكتسى المولود بهذه الملابس المشحوذة أو يشترى له ملابس بالنقود المجموعة وبهذه الطريقة يزعم أهل الطفل أنه سيعيش بخلاف إخوته الذين سبق موتهم

(هـ) رسم الصلبان على درج المنازل لفك طلاسم السحر

(و) دخول العروس ليلة زفافها إلى منزل زوجها حاملة بيدها قلة ماء عليها خميرة ولا تخطو أول خطوة فى منزلها إلا برجلها اليمنى وتمر من تحت يد حماتها الممدودة. وكم من مرة طلقت عروس سبق لها أن أجرت تلك المراسم ليلة زفافها إلى منزل زوجها، ورغم ذلك لا تتزعزع عقيدة العامة من فوائد هذه الأعمال وأشباهها.

وهكذا إلى ماهنالك من مئات الآراء وألوفها التى يسهل اختراع أمثالها كل يوم متى كسب الانسان ثقة الناس به، وعرف النظرية التى يطبقها فى مثل هذه الأحوال. فانه لا يكفى أن يكون الانسان ماهراً فى اختراعاته، بل لا بد له بجانب هذه المهارة أن يكون موضع ثقة لدى الناس كى تتعطل

العقول عن وظيفتها عند ما يبدر منه قول أو فعل . ويكفى الفرد أن يفتى برأى من الآراء وأن يصيب هذا الرأى نجاحاً ولو مرة واحدة حتى ينال الثقة والشهرة فى دوائر العامة وتنظم له قلائد المديح مالم يكن ينتظرها قبل البدء فى هذه السبيل ، فلو أخفق بعد ذلك مرات فإن العامة يؤولون كل إخفاق بتأويل شتى تقلل من قيمة الاخفاق محتجين بسابقة النجاح التى أظهرها فى أول الأمر ورسخت فى قلوبهم حتى صارت كالصخر يدفع مايهاجمه من أمواج الشكوك .

والآن فكر معي جيداً أيها القارىء الكريم فى هذه الآراء بأسرها ، ألا تجدها مصبوغة بصبغة واحدة ، وهى الامعان فى الغرابة وعدم ظهور السبب المعقول فى القدرة التى ينسبونها إليها وبعدها عن الحياة المألوفة ، والتعب فى الحصول على ما تأمر به . إذا اتضح لك ذلك فاعلم أن هذا الابهام الذى يحوطها جميعاً هو المظهر الضرورى الذى يمهد لها فى أذهان العامة طريقاً تنحدر منه إلى مكان اليقين . وذلك لأن الجاهل يعتنق الآراء جملة ومبهمة ، ولو أنها فى نظره ليست مبهمة ، بل هى المعقولة إلى أبعد حدود المعقولات ولا يطيق صبراً على تحليل الأفكار أو سماعها مرتبة مرحلة بعد مرحلة أو المناقشة فيها بهذا النظام . ولو أنه سمع هذا التحليل لاعتبره خرقا وسخفا . ولا عجب فى ذلك فهو لم يدخل المدارس فى طفولته ولم يعتد حل المسائل الحسابية بطريق السير فيها خطوة خطوة وحفظ باقى دروسه بطريق المناقشة والسؤال والجواب . ومن هذا تتضح ميزة التلميذ على غيره ، فالتلميذ فى كبره يكاد ينسى معظم دروسه ، ولكن يبقى له شىء واحد هو الأثر الخالد معه ، وهو عادة مقابلة شئون حياته بالتحليل والمناقشة الهادئة حتى يصل إلى نتائج مرتبة ترتيباً محكما .

والعامة يعزون كل مصائبهم إلى الفقر وحده ، أما العلم فلا يرد لفظة على ألسنتهم ولا يتعلق مدلوله بأدمغتهم ، وذلك لأن حواسهم عرفت الفرق جلياً

بين وجود المال وعدمه، ولكنها لم تتذوق العلم حتى تفرق بينه وبين الجهل وهم لهذا مشغولون دائما بخيال الغنى والثروة متلهفون على ذلك، ويقولون لو أنهم أغنياء لدانت لهم السعادة والقوة والمناصب العالية. وكثيرون منهم واسعو الخيال، غير أنهم جاهلون بالعقبات التى تعترض الأمور فى طريق النجاح وبسبب هذا الخيال كان كل ما يمت إلى الغنى بمعنى من المعانى له فى نفوسهم المحل الأعظم. وكان للغموض والصعوبة الأثر الكبير لأنهما من مظاهر القوة والغنى. أما الوضوح والسهولة فليس لهما هذا الشأن، إذ هما من مظاهر الضعف والفقر. وبناء على ذلك فالقصة إذا كانت مملوءة بالحوادث الجسام والقتل الكثير والمال الوفير وبرزت لهم فيها صور أشخاص ذوى شوارب ممتدة ورقاب مرتفعة، وكبرياء وعظمة كقصص عنترة بن شداد والزير سالم وأبى زيد. والفكرة إذا كانت تستبد بهم فتسبب لهم تعبا وإنفاقا كبيرين أو تسمعهم ألفاظا صينية أو هندية أو فارسية أو تركية أو أسماء توابل غريبة فى ألفاظها ولا توجد إلا عند القليل من التجار، كانت هذه القصة وكان هذا الرأى هو الذى يحترم ويقام له وزن.

وأين عند العامى ألفاظ على وفهيم وزكى وابراهيم من ألفاظ شمهورش وأرغاموش ومريوش وكمبورش. الأولى اعتاد سمعها فهى بسيطة وواضحة وقريبة وغير مؤثرة ولو أنك أسرعت فى ذكرها مئات المرات لما حرك لها ساكناً. أما الثانية فلم يألفها فهى إذن غريبة وبعيدة وغير مفهومة ومؤثرة، وهو لذلك يرتجف عند تكرار ذكرها ويخاف من بطشها الموهوم وسلطانها المزعوم، وهى عنده صاحبة السر الخفى والمطلعة على ما شرد وما ورد.

ولنعد إلى آراء ومطالب المشايخ المباركين أو السحرة فنقول إنه بالرغم من المشاق التى يتجشمها العامة فى سبيل الحصول على ماتطلبه منهم هذه المطالب الغريبة المعقدة فان الآمرين بها محبوبون لدى طائفة كبيرة من الناس ومطاعون منهم إطاعة عمياء وهم أقرب إلى قلوبهم من العلماء والأغنياء. وإذا

سئلنا هل فى طبيعة النفس الانسانية مايؤدى إلى حب هؤلاء السحرة غير أنه حب وضع فى غير موضعه وأسند إلى غير أهله : لأجبنا بأن لكل موضوع فى الحياة مرحلة طويلة يسير فيها تحت إشراف عقل صاحبه ثم ينتقل هذا الموضوع إلى مرحلة أخرى تشرف عليها عقول آخرين وتظل النتيجة خيرها وشرها لاتهم إلا صاحبها الذى بدأ بها ويظل صاحبها يهيم بمعرفة أخبارها التى هى بالنسبة اليه الغيب الذى لايعلمه ولكن يعلق عليه الآمال. ولما كان من غرائز الانسان حب الخير لنفسه واستعجال وقوع هذا الخير أصبح يتمنى لو يسيطر على مرحلة الغيب فاذا لم يأت اليه الخير سراعاً فلا أقل من أن تأتى اليه أنباؤه سراعا فيحس بوقوع الخير مجسما فى مخيلته ويسير بعد ذلك على نور الأمل ، وهنا يخرج اليه أناس يقولون له إن بامكاننا أن نجعلك تسيطر على هذا الجزء من غيبك ونجعلك تدير دفته كما تشاء بوسائل نعرفها نحن ولا تعرفها أنت ، ومن ثم كان يحب هؤلاء الذين يفسحون أمامه طريق الآمال ويستعجلون له أنباء الخير إن لم يكن الخير نفسه . ويصدق الانسان كلامهم ويظل يعمل بنصائحهم ويسميها أوامر فلما لا يجد من ورائها طائلا لايقطع صلته بها بل يغير الشيخ بشيخ آخر لأنه لا يحب أن يقف مكتوف اليدين لا يسيطر على مرحلة الغيب التى تدبر له فيها شئون ذات بال وبجانبه أقران يحسنون له ذلك ويشجعونه على إتيانه ولو إلى حين . وصغار العامة يشعرون فوق غريزتى حب الخير واستعجال الخير بضعفهم وأنهم محتاجون فى هذه الدنيا إلى القوة ، والقوة لا تأتى إلا بالواسطة ، والدجالون هم وسطاؤهم الذين يقولون إنهم ينيرون طريق العمل الحازم والنصر المؤكد والغنم السريع . وليت هذه الطرق كانت هى الوسائل الطبيعية لحل مشاكل الحياة ولكنها من مبتدعات الخيال والأوهام التى يأنس بها العامة . وحب العامة للشواذ والاستثناءات غريب ممعن فى الغرابة ، والشواذ فى نظر المتعلم هى القواعد فى نظر العامة ، والعكس بالعكس . والعلم وحده هو الذى يسند

المسببات إلى أسبابها الحقيقية . والجهل يبتدع لها أوهاماً وخيالات .

ولكل امرىء ناحية من نواحى اعتقاداته لم يمسها قط بالتحليل والمناقشة ولا يخطر له على بال أن يشرع فى ذلك أو أنه إذا شرع فيه فسيكون نصيبها التحوير فى قليل أو كثير منها وتضيق دائرة تلك النواحى فى الشخص كلما زادت معارفه وخبرته فى الحياة ، وأقول تضيق ولا أقول تمحى ، ومما يتصل بذلك أن ترى الجاهل إذا اشتد اعتقاده فى دجال ما حسب أنه ملك أعنة الحقائق وأن كل ما سوى ذلك باطل ، فاذا أسمعته وقتئذ أن من يسميه بالشيخ المبارك ما هو إلا دجال نصاب ضحك منك وأنكر عليك ذلك ورماك بالبلاهة والغباوة أو الكفر . ومن ألطف ما يكون تلك الدهشة التى تعروه بعد فوات الأوان حينما يفيق من أحلامه اللذيذة ويتأكد أنه كان مخدوعا فى هذا الشيخ وأنه هو الغبى الأبله . . . !!

ويقابل الانسان الكثيرين فى المدن والقرى من محترفى العرافة ومدعى معرفة الغيب بواسطة النظر إلى فنجال القهوة وأوراق الكتشينة والسبحة والكف والرمل والودع الخ وهؤلاء جميعاً يستدلون بالآثار . والخطوط . والعلامات . ومواقع الأوراق . والفراسة . وهى كلها مسائل ظنية وليست يقينية وهم يطبقونها على كل طائفة من الناس اشتركوا فى الاسم وإسم الأم أو كانت لهم ظروف متشابهة وكل مايصدر عنهم إن نجح أو فشل لا علاقة له بالخاتمة سوى رابطة الصدف العمياء .

ولنبحث قليلا فى هذه الشئون فنقول :—

أولا — أما أن هذا العمل له صلة بالصلاح والتقوى والعبادة فلا . لأن العبادة الحقيقية يشترط فيها العلم التام بحقائق الدين وهؤلاء فى الواقع لايعلمون حقائق الدين ولا يتعبدون وليسوا المثل الأعلى للانسان الكامل كما وصفته كتب الأديان وكل مايوجد فى أذهان العامة عنهم ماهو إلا أثر من آثار الدعاية التى يذيعونها فتجد فى الأذهان مكاناً سهلا وكل مايأتون به

يأتى به وبأ كثر منه كثيرون من عبدة النار والحيوان من الهنود والفرس قديماً وحديثاً فليس لهذا إذن علاقة بالدين والصلاح

ثانيا — لنفرض أنهم على صلة حقيقية بالجن والشياطين كما يزعمون ولنبحث عن غرضهم الحقيق من كشف الغيب فاذا فعلنا هذا وجدنا أن السبب الوحيد لذلك هو بلا شك جمع المال والتكسب من هذه الصناعة بدليل أن من لايدفع لهم نقوداً لايذكرون له شيئاً فاذا كان الأمر كذلك أى أنهم يعملون لجمع المال والجن يشدون أزرهم وينيرون لهم طريق المجهولات ويأتون إليهم بالأخبار من أقاصى المعمورة لهذه الغاية وهى جعلهم من الأغنياء كان بالامكان أن يختصر الجن الطريق ويأتوا بكنوز الذهب من مخابئها إلى بيوت هؤلاء. فيصبحوا من أكبر الأغنياء في العالم. أو أنه ما دام فى قدرة هؤلاء الجن المتصلين بهم أن يعلموا الغيب كما يعتقد الناس فمن السهل أن يوعز الجن إليهم برقم الورقة الأولى الرابحة فى يانصيب إحدى الجمعيات الكبرى وبشرائها يصبحون من الظافرين ويصل الربح إليهم من أقصر طريق وأسرعه وما كانت هناك ضرورة لهذا التعب والعناء وإعلان هؤلاء العرافين عن أنفسهم وانتظار ورود الزبائن إلى منازلهم .

ثالثاً — هؤلاء العرافون حصروا الغيب المتعلق بالفرد والجماعة داخل نطاق قواعد وأصول مبنية على الأسباب والنتائج حتى جعلوه فى ظاهره علماً كباقى العلوم ، ولكنهم كانوا بعملهم هذا كمن يحصر الطير السابح فى الفضاء فى قفص ضيق الرحاب . وليتنا نستطيع أن نجعل للغيب علماً قائماً بذاته محكم الأصول جامعاً للشتات لا تضطرب نظرياته مهما أعدنا تطبيقها ! فهذا لا يكون إلا أخطر حادث فى تاريخ الانسانية ، إذ أن نظمها ستتغير تغيراً كاملا ولن تكون هناك حاجة إلى التعليم أو النشاط أو الحذر مادام مستقبل الأمور سيكون معروفا موثوقا به قبل وقوعه . والوصول إلى قواعد ونظريات لهذا العلم محال استحالة مطلقة لأن المفروض أن علم الغيب هو علم

الغرض منـه معرفة ما هو فوق مجهودات العقول البشرية ، ومعرفة ما تعجز العقول جميعاً عن الوصول إليـه بطرقها المعهودة . وعنـد ما تنتهى مراحل التفكير فثم مبـدأ علم الغيب ، وحيث أن العلوم هى نتاج المجهودات البشرية وثمرات القرائح لا غير . فعلم الغيب إذن لن يصل إلينا عن طريق المدارك الانسانيـة وإنما عن طرق هى أعلى من ذلك منزلة وأكثر منها إحاطة بأسرار الـكون وتغلغلا فى مساتير الطبيعة وما وراء الطبيعة .

وليت شعرى أى الأشياء تتعلق بالغيب ! إنها علوم النفس والاجتماع والقانون والاحاطة بأسرار البوليس وأسرار القضاء ومايتكلم به الأفراد كل فى مخدعه أو بعيـداً عنه ، وما تـكنه الصدور ، والالمام بأسرار السياسة والحرب وأسعار البورصات وقرارات اللجان السرية والحالة الجوية . وتفاعل ذلك كله وأكثر منه بعضه فى بعض هو من مشتملات علم الغيب . وهلا رأيت ما هو أبعث على الضحك من أن ذلك كله يعرف بطرق هى نهاية فى البساطة والضعة ! هى النظر فى فنجان ، أو رص أوراق ، أو قعقعة أحجار .

زعموا أن ذلك له صلة بالوحى أو الأرواح أو الجن . والوحى ينفى أن ذلك سيكون فى متناول البشر . كما سيأتي فى الآيات الـكريمة التى سنذكرها ، وقد برهنا فيما سبق ذكره أن هؤلاء المنتشرين فى المدن يشتغلون بهذه الأمور ليسوا متصلين بجن ولا شـياطين ولا بأشياء يمتازون بها عن سائر النـاس ، وعقولهم خلو من العلوم والمعارف ، فأصولهم وقواعدهم هى إذن أمور ظنية ونجاحها هو الاستثناء وفشلها هو القاعدة . فلا عجب أن نراهم ينزلقون إلى هاوية النصب والاحتيال وارتكاب الجرائم كلما استطاعوا إلى ذلك سبيلا ، لأن الـكذب والطمع وسذاجة الناس يستدرجهم إلى هذا المنزلق .

رابعا — هناك أشخاص يصدرون تقاويم سنوية ويكتبون فى أواخرها حوادث يتنبأون بوقوعها وهؤلاء الناس يدعون أن بامكانهم معرفة الغيب مما يسمونه علم اليـازرجة وعلم الأحكام ، وعلى ذلك يهرع إليهم كثير من

الناس ليستخرجوا لهم طالعاً لمناسبة من مناسبات حياتهم فى مقابل دفع مبلغ من المال . ولسنا نطيل القول فى هؤلاء الناس فقد اختبرت شخصيا كثيرين من مشهوريهم فوجدتهم على مالا نحب ولا نرضى . وليس للغيب ضابط حتى أنه يعرف بالحساب والجبر والكلام الموزون ، فان ادعى هؤلاء أيضاً أن لذلك علاقة بالدين والأرواح والجن كما يعتقد فيهم بعض الناس فأمامهم الآيات الكريمة الواضحة فى معناها وضوحا تاما وهى (وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو) سورة الانعام (قل لا أملك لنفسى نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون) سورة الاعراف . وجاء فى سورة سبأ فى سياق الحكاية عن سيدنا سليمان ما يقطع بأن الجن لا يعلمون الغيب فقد قال تعالى (فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين) . وفى الحديث الشريف (كذب المنجمون ولو صدقوا) .

فليطرحوا تلك الفكاهات ظهريا رحمة بعقول الناس وقطعاً لدابر الأوهام والخرافات التى ما أن تعلق الشرق بها حتى هوى إلى حضيض الجهل والضعف . وختاما لهذا البحث النظرى وجب علينا من الوجهة الاجتماعية مناهضة تلك العقائد الضارة واقتلاع بذورها من خيالات الناس بتاتا ، لأن تعلق الناس بالأهام وتعطيل عقولهم عند دراسة مسائل الحياة ، كل ذلك من آثار ذيوع هذه الخزعبلات وتمجيدها فى الماضى وانصراف الناس عن تدبر آيات القرآن تدبراً عميقاً ، ولو تدبروا لعرفوا أن القرآن مجد العقل الانسانى وجعله أشرف شىء فى الوجود ، وأبان للناس أن الحياة سائرة على سنن لا تبديل لها ولا تحويل ، وهى العقل والايمان والعمل . ولكن هذه الحقائق فى بلادنا قد طمس الجهل آثارها فى ميدان العمل وخاصة عند العامة فاتخذ الفريق الأكبر من السكان تهريجات الدجالين والمنجمين كأنها رأس القواعد

ودستور الحياة ومناط التصرف فى الأمور المعيشية والصحية فوجب والحالة هذه تكذيب ذلك تكذيبا باتا واستئصال شأفته من العقول وتزويد الناس بحقائق الحياة كما هى لينفسح المجال للعلم والتفكير والارادة .

وإنى أرى من المناسب أن أنقل هنا لحضرات القراء ما دبجه براع الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده فى كتابه القيم تفسير جزء عم شرحاً لعقيدة السحر فى نظر الدين الاسلامى فقد جاء فى عرض كلامه فى تفسير قوله تعالى (والنفاثات فى العقد) ما يأتى :

« على أن نافى السحر بالمرة لايجوز أن يعد مبتدعاً لأن الله تعالى ذكر مايعتقد به المؤمنون فى قوله (آمن الرسول) الآية وفى غيرها من الآيات ووردت الأوامر بما يجب على المسلم أن يؤمن به حتى يكون مسلماً ولم يأت فى شئ من ذلك ذكر السحر على أنه مما يجب الايمان بثبوته أو وقوعه على الوجه الذى يعتقد به الوثنيون فى كل ملة بل الذى ورد فى الصحيح هو أن تعلم السحر كفر فقد طلب منا أن لاننظر بالمرة فيما يعرف عند الناس بالسحر ويسمى باسمه وجاء ذكر السحر فى القرآن فى مواضع مختلفة وليس من الواجب أن نفهم منه مايفهم هؤلاء العميان فان السحر فى اللغة معناه صرف الشئ عن حقيقته قال الفراء فى قوله تعالى (فأنى تسحرون) أى أنى تؤفكون وتصرفون. سحره وإفكه بمعنى واحد. وماذا علينا لو فهمنا من السحر الذى يفرق بين المرء وزوجه تلك الطرق الخبيثة الدقيقة التى تصرف الزوج عن زوجته والزوجة عن زوجها وهل يبعد أن يكون مثل هذه الطرق مما يتعلم وتطلب له الأساتذة ونحن نرى أن كتباً ألفت ودروساً تلقى لتعليم أساليب التفريق بين الناس لمن يريد أن يكون من عمال السياسة فى بعض الحكومات وقد يكون ذكر المرء وزوجه من قبيل التمثيل وإظهار الأمر فى أقبح صورة أى بلغ من أمر مايتعلمونه من ضروب الحيل وطرق الافساد أن يتمكنوا به من التفريق بين المرء وزوجه وسياق الآية لا يأباه وذكر الشياطين لا يمنعنا

من ذلك بعـد أن سمى الله خبثاء الانس المنافقين بالشياطين قال (وإذا خلوا إلى شياطينهم) وقال (وإن الشياطين ليوحى بعضهم إلى بعض) وسحر سحرة فرعون كان ضرباً من الحيلة ولذلك قال (يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى) وما قال إنها تسعى بسحرهم قال يونس تقول العرب ماسحرك عن وجه كذا أى ما صرفك عنه ، . . .

وإنى أرى الاكتفاء بهذه المقالة فى هذه المذكرة ولنعد بحضرات القراء من القسم النظرى إلى القسم العملى وهو صلب حكاية الاختفاء نفسها التى أرصد هذا الكتاب لها فأقول : إن أم عطية التى عرفها القراء أتت إلىّ فى أوائل هذا الشهر وشكت إلىّ حالها قائلة إنها قلقة جـداً على النتيجة وإنها قليلة النوم ولم تر شيئاً فى الجو يبعث على الطمأنينة ولكن لم يبد منها خلال كلامها ما يدل على أنها ترتاب أقل ارتياب فى قدرتى التامة على إرغام مطلقها على ردها إليه وإنما هى تعزو بطء النتيجة إلى عـدم اهتمامى بأمرها لعـدم تقديمها نقوداً إلىّ فأكدت لها أنها مخطئة فى ظنها وأننى لا أعمل هذه الأشياء إلا خالصة لوجه الله الكريم وسواء عندى أنالنى من ورائها فائدة أم لم ينلنى ثم سألتها كم من الزمن مضى منذ طلاقها فقالت مضى عام فقلت احمدى ربنا مادمت مطلقة منذ عام فهل تريدين أن تظهر النتيجة الحسنة فى أيام قلائل فطلبت إلىّ بالحاح أن أقرأ لها العدية مرة ثانية وقالت إنها لا تريد أن تتعبنى ويمكنها أن تحضر الفحم والبخور إلى منزلى فوافقت على ذلك وأحضرت ماتعهدت به وبعد عشرة أيام حضرت ثانية وقالت إنها لم تشعر بأية نتيجة فقلت لهـا هل عندك شئ من أثره فقالت نعم عنـدى منديل من مناديله ثم ذهبت وأحضرته فأخذته ودخلت إلى غرفتى وأقفلت الباب علىّ وأطلقت البخور وتلوت أناشيد تركية بصوت عال ثم مزقت طرف المنديل سبع مزق وجعلت عقدة فى طرف كل مزقة وأعدت إليها المنديل قائلا لها أن تضعه فى قدح مملوء بالزيت إلى النصف وتضع القدح طوال الليل عند رجل السرير

فى الجهة التى كان ينام عليها وأن تحضر القدح إلىّ فى الصباح ثانية وعلى ذلك أحضرت إلىّ قدحاً بهذا الوصف فى اليوم التالى فأخذته منها وأمرتها بالعودة بعد ساعة لأخذه وفى أثناء غيابها لم أعمل شيئاً سوى إلقاء المنديل فى المرحاض وعند حضورها أعطيتها القدح وكان به بعض الزيت قائلا لها أن تطلى بالزيت الجزء الأسفل من عمود السرير فى الجهة التى كان ينام عليها وبعد ذلك كانت المرأة تتردد على منزلى كثيراً لما ألمّ بها من القلق الشديد فعقدت العزم على أن أخترع لها أشياء كثيرة من هذا القبيل وأحضرت خيطاً وقماشاً استعداداً لأن آمرها بمثات الأوامر حتى يضطرها تراخى الزمن الطويل إلى الامتناع عن المجىء من تلقاء نفسها ولم يكن يدور بخلدى ما أعدته لى الأيام من نجاح قريب وأخيراً بعد مقابلات عدة أمرتها باحضار عظمة جمل فتغيبت يومين ثم أحضرت العظمة فأخذتها وصعدت إلى غرفتى العليا وأغلقت الباب وأطلقت البخور ثم كتبت عليها أبجد هوز حطى كلمن الخ . . وخطت عليها قطعة من القماش ثم نزلت وأعطيتها لها وقلت لها لا تأخذيها إلا بيدك اليسرى دائماً واخرجى من منزلك فى الصباح قبل شروق الشمس وتوجهى إلى البحر واقذفى بها فيه دون أن تتلفظى بأية كلمة ثم عودى إلى منزلك ولكن من طريق غير الطريق الذى ذهبت منه إلى البحر وعلى ذلك حضرت إلىّ فى نحو الساعة العاشرة من صباح اليوم التالى وأفادتنى بما عملت فقلت لها إن شاء الله يتم كل شىء على مايرام . وكان من أغرب الحوادث أن أتى مطلقها إليها من تلقاء نفسه بعد أيام قليلة وفاتحها فى أمر ردها إليه وأخبرها أنه عدل عن كل زواج إلا بها !! ولا أدرى ماذا طرأ عليه من الظروف حتى تم بالفعل ما كانت المرأة تحلم به حلما ولا تعده إلا من الأمانى الكاذبة . وناهيك أيها القارىء بما كان لهذه الحادثة وقتئذ من الأثر الذى حلق فى آفاق الجهة بأجمعها والشهرة التى بلغت عنان السماء وذهبت النساء تبالغ فى مدحى شأنهن فى أكثر الأشياء وكان مما ساعد على المبالغة أن سكان الحارة لم يلحظوا علىّ أدنى نظرة

سوء إلى بنت أو امرأة أو علموا عنى كلمة لخش أو شيئا من هذا القبيل وهم الذين لاتخفى عليهم خافية مما يجرى فى أرجاء الحارة ولم أكن أنظر إلى النساء إلا مطرقا برأسى إلى الأرض وكانت هذه الأخبار فى مجموعها داعية إلى اعتقاد الناس الجازم بأنى من المشايخ الصالحين وانتشرت بينهم حكاية أهلى وأطيانى وصارت عندهم عقيدة ثابتة ولم أكن أغير منها كلمة واحدة طوال مدة إقامتى بالقاهرة

[المذكرة العاشرة]

يونيو عام ١٩٢٠

قدمت إلىّ أم عطية هدية من الملابس وهى عبارة عن عباءة وكوفية وطاقية وصديرى فقبلتها كأحسن تذكار وعلى أثر نجاح حكايتها أقبل كثيرون من سكان الحارة على منزلى لأخذ ما يسمونه (بالأحجبة) لشفاء الرأس أو البدن أو المحبة بين الزوجين . وما دامت الأيام قد دفعت بى إلى هذه السبيل فقد قررت أن ألبس لكل حالة لبوسها ولو قليلا ، فأكثرت بناء على ذلك من لبس السبح فى رقبتى ومن ترديد ألفاظ التقوى وذكر أسماء الأولياء المشهورين عند الناس فى طيات الأحاديث بدرجة كبيرة .

ولما كنت أتمنى أن تقف الحال عند حد الشهرة الحسنة دون أن يحضر زبائن كثيرون خشية أن يكون بينهم من له بى معرفة قديمة فيلحقنى عن

طريقه ضرر ، لم أكن أشجع الناس على الحضور إلى منزلى وكنت أعتذر لكثيرين بالمرض ، وكان هذا الاعتذار يسبب كره بعض الناس لى .
وللقارىء الكريم أن يتصور دقة الموقف ، إذ بينما أنا فى مسيس الحاجة إلي أنيس يزيل عنى ألم الوحدة التى اشتدت أواصرها وأحسست بأخطارها تمتد إلى الجسم والعقل إذا بى لا أرحب بهذا الدواء الناجع وأبقى على هذا الداء الدفين الذى أرهبه كالشر المستطير خشية أن يكون الدواء ذا مفعولين يقتلع عللا ويبذر أخرى ، وحسبي من ذلك شهرة تذر الرماد فى أعين رجال البوليس إذا ما سكن أحدهم فى الحارة فتلهيه هـذه الشهرة عن التفكير فى أحوالى . ويقول الناس فى أمثالهم « صنعة فى اليد أمان من الفقر » وأقول أنا فى أمثالى « صنعة فى اليد أمان من القبض » . .

كان الاعتقاد فى صلاحى وتقواى شاملا أرجاء الحارة ، ولكن هذا لم يمنع وجود بعض المفكرين من سكان الحارة رأوا أن اشتغالى بعمل التمائم والتبخير ليس خالصاً لوجه الله كما كنت أقول ذلك فى أحاديثى ، بل طبقوا علىّ القاعدة الموجودة فى أذهان النابهين من الناس بحق ، وهى أن هؤلاء المدعين للبركة والولاية ومعرفة الغيب هم أشخاص نصابون لهم أغراض خفية وللقراء الحكاية الآتية :

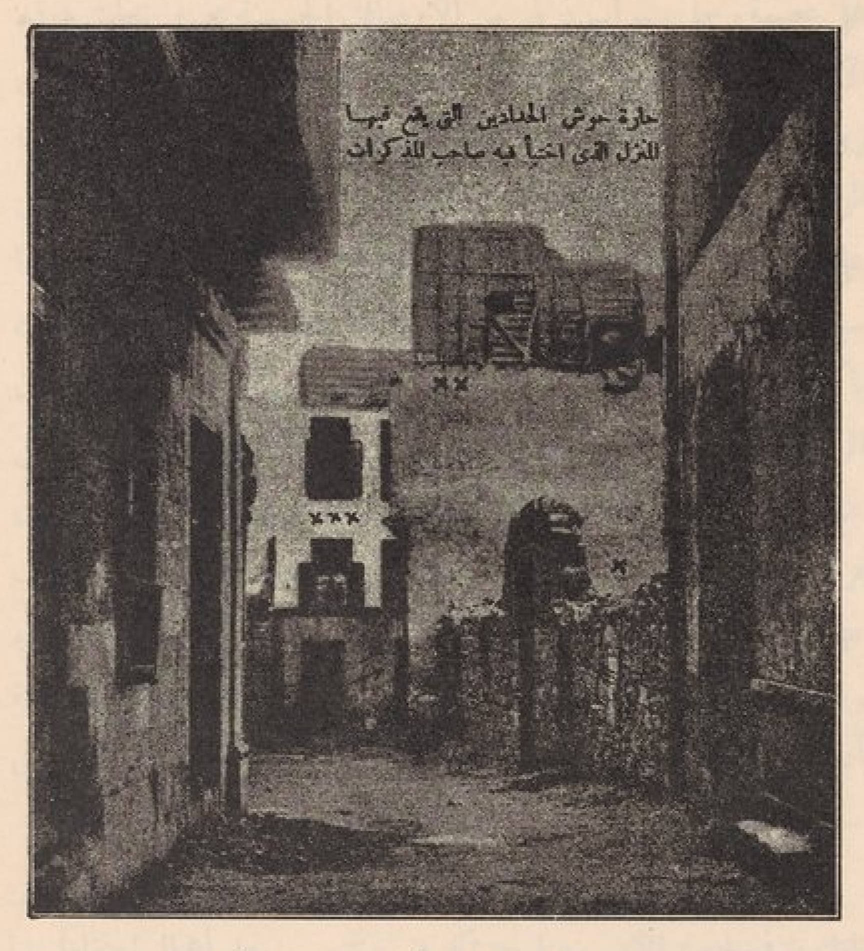
كان يسكن بالمنزل رقم ١٢ بالحارة وهو المنزل الملاصق للجدار الشرقى لمنزلى رجل اسمه محمـد افندى على كان براداً بورشة التراموايات بشبرا واستغنت عنه الشركة على أثر إضراب العمال فى عام ١٩١٩ فافتتح له ورشة خلف مسجد السلطان حسن الواقع أمام القلعة ولهذا الرجل ابن اسمه أحمد اسمعه يقول إنه طالب بمدرسة الهياتم الصناعية .

سلم علىّ هذا الرجل مرة فى أول شهر سكنت فيه بجواره ولم يقابلنى بعدها حتى حضر إلى منزلى فى هذا الشهر من تلقاء نفسه وأدار بوجهه فى

غرفتى ، ولما لم يجد بها إلا أثاثاً تافهاً قال هذه حال المجاورين ثم جلس على الحصير وقص علىّ حكاية طويلة ملخصها كما يأتى :—

يسكن معه بمنزل واحد بالدور الواقع تحته مباشرة شخص ضرير يدعى الشيخ محمد عبد الفتاح وهو فقيه مشهور بجهة القلعة ولهذا الفقيه أخت كان يراها محمد افندى على كثيراً ويهيم بحبها وأخيراً طلب يدها من ذويها فرفضوا أجابة طلبه ، ويظهر أنهم فعلوا ذلك لما يعلمونه من أن هذا الرجل متزوج وله أولاد كثيرون من زوجته هذه ، ولا بد أنه عائد يوماً ما إلى قديمه بعد أن يطفىء نار الشوق والهيام .

أما الرجل فان تباريح الهوى قد أضنت فؤاده وأنسته الزاد والمأوى ، فهو يهجر مصنعه ويلزم عقر داره طويلا ولا شغل له سحابة نهاره سوى الصعود والنزول على درج المنزل ماراً بجدران الحبيب على غير جدوى ، وقد لحظت زوجته ذلك جيداً وأصبحت في شك من أمره مريب ، وساءت حالة الزوجية وأصبح الطلاق أمراً لا محيص عنه ، ولكنه رغم ذلك ما برح يفكر فيما يكون وراء الطلاق وهل هذه الخطوة تؤدى به إلى نيل المرغوب أم إلى إفلات العصفورين من يده ، وأخيراً اهتدى به التفكير إلى حيلة شيطانية يضمن بها حسن العواقب فى حالة إتمام الطلاق بينه وبين زوجته الحاضرة . وقد لجأ إلى منزلى لنسج شباك تلك الحيلة فصارحنى القول بأنه يهيم بحب تلك البنت وأنه يريد أن يضمن الحصول عليها قبل طلاق زوجته منه وأن كل حيله قد نفدت ولم يبق فى جعبته سوى حيلة واحدة لا يمكن تنفيذها إلا على يدىّ وأنه فى سبيل ذلك يعدنى بدفع جنيهين أحدهما مقدم وذلك فى حالة قيامى بدورى بمهارة فائقة ، ثم سرد تلك الحيلة قائلا إنه على يقين من أن أهل تلك البنت يعتقدون أنى شيخ مبارك كبير المقام وأنهم يرسلون إلىّ بآثارهم لمعرفة مستقبلهم ، فيمكننى بأية وسيلة أدبرها أن أستحضرهم للاستعلام منى عن مستقبل البنت وعندئذ أخبرهم بأنها مكتوبة



(مدخل حارة حوش الحدادين بقسم الخليفة)

× المنزل الذى تسكن أم خليل فى غرفة منه .

×× الغرفة الواقعة فوق السطح ، تسكن فيها زينب أم عطيه .

××× المنزل الذى يسكن فيه محمد افندى على والشيخ محمد عبد الغنى .

+ إلى الداخل توجد العطفة الساكن بها الشيخ سليمان صاحب المذكرات .

على عصمة رجل ، ثم أسرد لهم من الأوصاف الجسمية بحيث تنطبق هذه الأوصاف عليه تمام الانطباق وأؤكد لهم فى غضون الكلام أنه لا مفر من زواجها بالرجل صاحب هذه الأوصاف وأنها ستكون سعيدة حقاً بهذا الزواج . فلما انتهى كلامه وعرفت أغراضه أطرقت برأسى وقبضت بيدى على لحيتى قليلا ثم قلت له أنت لك زوجة وأولاد منها فاعلم أن مشروعا كهذا سيجر عليك ذيول المصائب لأنك ستصبح صاحب أسرتين وأنا أدرى منك بأحوال النساء وحكاياتهن ، فاعدل عن رأيك واستعذ بالله من الشيطان الرجيم إراحة لفكرك واقتصاداً لمالك . ثم مازلت أضرب على الوتر الحساس عنده وهو مستقبل أولاده حتى عاد الرجل إلى رشده ، ويظهر أن الرجل كان فى قرارة نفسه على شىء من التردد ، فلما قويت عنده جانب العقل إلى حد التغلب على جانب العاطفة صرح لى بأنه أقلع عن رأيه ، ومن ثم كبرت أنا فى نظره واعتقد أننى لست من المشايخ النصابين ، وقد ظفرت منه بعد ذلك بمساعدة أدبية هى أثمن من المال وهى أنه أصبح يكيل لى المدح الكثير على مسمع من سكان الحارة ويبعد عنى أعدائى ويزورنى أحيانا .

أما زوجة هذا الرجل فانها عند ما رأته يتردد على منزلي أساءت بي الظنون فى بادىء الأمر وصارت تكرهنى وتتجسس على أعمالى اعتقاداً منها أنى سأكون عليها لا لها ، وظلت تكرهنى مدة طويلة ويصلنى نبأ كرهها إلى أن تبددت أوهامها وتبدلت ظنونها بعد حين ، والحقيقة التى وقفت عليها فيما بعد هى أن هذه البنت كانت تتودد إلى هذا الرجل فى فاتحة الأمر فظن أنها تريده بعلا لها وهام بحبها ولكنها لم تكن تقصده هو بالذات وإنما كانت تظن أنه يرضى عنها فيأخذها لابنه أحمد ، ولكن الأمر انتهى بالجفاء التام بين الأسرتين وانتقلا إلى جهتين بعيدتين .

(المذكرة الحادية عشرة)

يوليو عام ١٩٢٠

زادت نسبة الخروج ليلا فى هذا الشهر إلى مرتين فى الأسبوع وكانت كل مرة لاتزيد على نصف ساعة وكنت إذا أبصرت أحداً من سكان الحارة سائراً فى أية جهة من الطريق الذى أكون سائراً فيه استوقفته وسرت معه قليلا وذلك كى يعلم الجميع أننى لا أبقى فى المنزل باستمرار وقد غيرت طريق سيرى فبدل أن كان غالبا فى شارع الصليبة من ميدان المنشية إلى ميدان السيدة زينب أصبحت أتجه مراراً نحو مسجد السيدة عائشة وكنت أنتهز الفرص فى بعض الأحاديث فأروى للناس أننى أخرج ليلا لأقابل زبائنى الذين يعطوننى آثارهم ويخبروننى باحتياجاتهم وأمضى نهارى نائما لأرى الخدام فى أثناء النوم فيخبروننى بمستقبل الناس ومطالبهم ولم أعود أحداً ممن يحضرون للاستعلام عن شىء أن يسأل فيجاب على الفور بل كان عليه أن يترك الأثر يومين ثم يحضر وذلك بحجة أننى أبخر فى مدى اليومين وأرى فى المنام جواب مايسأل عنه والحقيقة أننى كنت أخشى الخطأ من الاجابة السريعة وأمضى اليومين فى التفكير فى الأمر إلى أن أنتهى إلى رأى قاطع أقوله فاما خطأ وإما صوابا ولم تكن فترة الأحاديث بينى وبين الناس طويلة بل لم تتعد بضع دقائق لأن أغلبهم كانوا يحضرون لأخذ تميمة صغيرة لتعليقها على صدور الأطفال أو على رءوس الكبار لتمنع عنهم الأمراض وكان موقفى أمام العامة وخرافاتهم زمن اختفائى لايسمح بمناقشة أحد كائنا من كان فى أضرار هذه الأوهام العالقة بالأذهان أو التلميح بقدر كبير أو

صغير ضد أية عقيدة من عقائدهم بل على العكس كنت مضطراً لمجاراتهم في وجهة نظرهم للظروف التي يعرفها القراء .

فى هذا الشهر كانت الأعراض التى تنتابنى من جراء عزلتى فى منزلى لاتزال وطاتها تشتد ولم يؤثر فى حالتى الصحية تبادل الأحاديث بينى وبين بعض الناس أى تأثير لأن الفترات القصيرة التى كنت أمضيها فى الكلام مع الناس كانت كالقطرة فى بحر الساعات الطويلة التى تتوالى بعضها فى إثر بعض دون أنيس أو على الأقل دون نافذة أطل منها على شارع ما فأشهد مناظر متجددة وكان الحبس الانفرادى الذى يكاد يكون تاما فى الستة الأشهر الأولى على الخصوص كأنه مقدمة كافية لأن تجعل نسبة الأضرار الصحية التى تلحقنى فيما تلا ذلك من الشهور أكبر وأسرع خطى منها فى أثناء الشهور المذكورة بل كان لها من الآثار السيئة ما يصعب التخلص منها بعد أعوام طويلة ورغم الراحة القلبية والسرور من ازدياد الشعور الوطنى فى البلاد ومن فشل البوليس فى خطته التى رسمها للقبض عليّ فان الجسم كان كأنه شيء مستقل عن النفس أراه يتأثر بفعل المؤثرات المادية التى تكتنفه وليس بينها إلا كل قاس عتيد ، ولذلك كان الأرق ليلا والامساك نهاراً يستبدان بمعيشتى وكان الداء الأكبر الذى يهددنى كالسيف المصلت فوق الرأس هو عدم وجود من أتكلم معه فى أكثر من تسعة أعشار وقتى فاذا وفقت إلى حل للنقطة الأخيرة بأى وجه من الوجوه البعيدة عن رقابة البوليس كان ذلك إيذاناً بالنجاة من الخطر الأكبر على الجسم والعقل ولهذا لم يعد التوانى فى حل هذه العقدة من المصلحة فى شيء وأمسى البحث عن دواء سريع حاسم هو الشغل الشاغل فى أغلب الأوقات.

(المذكرة الثانيـة عشرة)

أغسطس عام ١٩٢٠

كان أحد سكان الحارة يحترف أيضا بكتابة التمائم ويلبس عمامة خضراء وهو متزوج من أخت صاحب المنزل وقد تردد هذا الرجل على عطفةمنزلى كثيرا فى هذا الشهر بحجة أنه يريد أن يتكلم مع جارى والحقيقة أنه يبحث عن فرصة ينتهزها للتعرف بى وظل كذلك إلى أن تقابل معى وفى نهاية الحديث عرض علىّ أن يشترك معى فى أشغالى لما سمعه من حسن السمعة فتظاهرت بالموافقة ثم أغفلت شأنه ولم أفتح له الباب حين حضوره فامتنع بعد ذلك عن الحضور من تلقاء نفسه .

لم أهمل كتابة الخطابات لنفسى وإلقاءها فى صندوق البريد ليلا بين حين وآخر وكذلك شراء الجبن والبيض والفريك وإعطاء بعض الجيران هدية منها على أنها واردة إلىّ من بلدى الفيوم وهكذا استمرت أيضاً تلك النغمة القديمة بجانب النغمة الجديدة التى تضاءل كل شئ بظهورها .

كانت العطفة التى بها منزلى لاتضم أيضا إلا منزلا صغيراً آخر وكان هـذا المنزل الثانى يحوى دورين وبكل دور تسكن أسرة صغيرة وحـدث فى هذا الشهر أن خلا الدور الأعلى من السكان فأوجست خيفة من هذا الخلو خشية أن يسكن به خفير أو بوليس سرى .

وفى اليوم الثانى سكن به آخر وعلمت أن اسمه الشيخ سيد ابراهيم احمد وصناعته رئيس عمال بمصلحة التنظيم فهدأ روعى ثانية وكان ابراهيم المليجى الخشاب

صاحب هذه المنازل لا يفتأ يذكر اسمى لكل من يسكن حديثا بجوارى مقرونا بالمدح والاعجاب وذلك كى ينقل إلى سمعى هذا المديح فلا أهجر منزله الذى لا يسكن إلا نادراً وقد مال هذا الساكن الجديد بناء على ما سمعه إلى التعرف بى عقب سكناه مباشرة ولكنى تجنبت الاختلاط به قدر الطاقة مدة طويلة.

أعدت النظر فى هذا الشهر كرة أخرى فى أمر الانتقال إلى منزل آخر لوضع حد لحياة العزلة ولكن الرأى انتهى إلى غير قرار حيث كان التفكير مشوبا بالتردد وكنت لا أنفك أخشى عاقبة الخروج من المنزل نهاراً للبحث عن مسكن آخر ولم يكن هناك من يساعدنى فى ذلك على أنه لو كانت هناك شقة قريبة معدة للايجار لسهل الأمر ولكن أزمة المساكن كانت مستحكمة الحلقات.

المذكرة الثالثة عشر

سبتمبر عام ١٩٢٠

تردد جارى الجديد الشيخ سيد ابراهيم على منزلى، وصار يطيل جلسته معى ويكثر من الخوض فى المباحث الدينية ، وكنت أجيبه إجابة الواثق وذلك نتيجة انهماكى فى سكون هذه الوحدة فى قراءة الكتب الدينية المشتراة من جهة السيدة زينب وإذا حان وقت الصلاة وهو موجود بالمنزل أقام الصلاة ليأتم بى فى صلاته، وكم كان يلين القول ويسعى دائما لكسب

ثقتى به والنزول على إرادتى إذا ما طلبت اليه أن يقضى لى حاجة . كل ذلك وأنا على حذر من أمره ولكنه حذر غير ظاهر ، وقد استغلقت علىّ أغراضه الدفينة وأمهلت الأيام عساها تفسر لى ما خفى واستتر ، وظل الرجل يعالج الظروف والمناسبات فى إبان كل حديث حتى تهيأت له الفرصة بعد مقابلات عدة متوالية فاقتنصها فى التو والحين ، وما أسرع ما رأيت الرجل يكشف لى عن خبيئه فذكرنى بالمتاعب التى يقاسيها الأعزب فى معيشته بلا أنيس ولا رفيق فى حالتى الصحة والمرض فأنصت إليه طويلا فى صمت ، ولما آنس منى الاصغاء إلى كلامه رمى عن قوس رغباته في لطف ودهاء ، فقال أظن ياشيخ سليمان أن الحديث الشريف يقول إن الزواج نصف الدين فياحبذا لو غيرت نظام معيشتك لتدخل السرور على نفسك وإنى لأرى أن اختيارك لزوجة تؤنس وحشتك هو أمثل طريقة ترفه بها عن نفسك وتجمع بها بين زهدك الكبير فى متاع الدنيا وبين راحتك الضرورية فى منزلك فأجبته بالموافقة على وجهة نظره وأخبرته أننى عما قريب سأشرع فى تنفيذ هذا الرأى وذلك إما بالخطوبة من بلدتى الفيوم أو من القاهرة فقال حسنا تفعل ويقول الناس اخطب لبنتك ولا تخطب لابنك ، وإنى أخبرك على سبيل الأحاطة بالشئ ليس غير ، أن لى بنتا ليست بكرا ولكنها صالحة جدا ، ثم تأوه طويلا وقال ولولا أقارب زوجها الأول لما فرط فيها البتة وهذه ياشيخ سليمان يكون سعيدا حقا من يتزوجها فاذا رأيت أن تخطب من القاهرة وخاطبتنى فى أمرها فستجدنا جميعا على أتم استعداد لخدمتك ، ثم واصل الحديث ذاكرا أن ثقته التامة بى مردها إلى ما سمعه من اجماع الناس على إطرائى وإلى ما رآه بنفسه مما لا يخفى على إنسان ، وأخيرا انتهى الحديث إلى أنى سأعمل استخارة فى أمر الزواج واختيار الزوجة وما سيأمرنى به الخدام فى الرؤيا سأعمل به وأفيده عنه .

ويظهر أن الشيخ سيداً قد ضاق ذرعا عن كتمان سره فافشاه لأهل منزله ففى اليوم الثانى شعرت بيد تخبط على حديد نافذة الغرفة وسمعت صوتاً ينادينى فلبيت النداء ، وإذا بزوجة الشيخ سيد تكلمنى من وراء حجاب وعلى مقربة من نافذتها التى تقع عمودية على جدار نافذتى . .

رأت هذه المرأة أن زوجها قد خرج إلى عمله فى الصباح الباكر فانتظرت إلى الساعة العاشرة وأنشأت تتحدث إلىّ بحديث حداها إليه نفس ملؤها الحزن والأسى وصدر يخفى وراءه الاشفاق من خطر داهم يوشك أن يقع فلا يصيبن إلا عقدة صلاتها بزوجها .

بدأت المرأة تتكلم فى رفق وحنان ولبست لى ثياب الصديق الأعز . ثم ما زالت توغل فى الحديث بدهاء وحنكة حتى تبسطت فى سرد تاريخ حياة زوجها مع إخفاء مراميها البعيدة فى حلل من الألفاظ الخادعة ، ومن قصتها هذه عرفت أن الشيخ سيد من بلدة اسمها الرملة بجوار بنها وأنه سبق له التزوج بامرأة من بطره غربية وأقام معها مدة طويلة فى منزل صغير يمتلكه بأطراف شبرا بعزبة بلال ورزق منها ببنتين إحداهما تزوجت ثم طلقت ، وهذه هى التى يريد أن يزوجنى بها ، والأخرى صغيرة السن وأنه أخيراً طلق زوجته المذكورة وباع منزله ثم بحث عن الزواج للمرة الثانية وانتهى به المطاف إلى الاقتران منذ مدة قصيرة بهذه التى تكلمنى وكانت قبل إتمام العقد تقيم بمنزل أحد أقاربها بجوار القلعة منذ أن توفى زوجها الأول ولم تعقب منه ، وأخيراً بعد زواج الشيخ سيد بها بحث عن شقة خالية بالقرب من القلعة إلى أن انتهى البحث بالسكنى بجوارى ، وعند ما وصلت إلى هذه المرحلة من الأخبار سكتت برهة وأنا أستزيدها من الرواية ، فاستأنفت الحديث قائلة يقيناً أنت تعرف كل هذا فقلت كلا ! فقالت : ألم يخبرك بشىء من هذا فأجبت بالنفى . فقالت وهى تتكلف الضحك : لقد عرفت كل مادار بينكما وأتيت لأشرح لك حقيقة الأمر شفقة عليك وإسداء للنصيحة لأنك

غريب مثلى . ثم قالت إن الشيخ سيداً يريد أن يزوجك من ابنتـه لا حباً فى شخصك وإنما بغية أن تكون ابنته بجواره فلا يضطر أن يذهب إلى شبرا لرؤيتها ، وأيضاً كى يعولهـا رجل آخر فلا تطالبه بالصرف عليها لأنها على وشك أن ترفع دعوى هى ووالدتها عليه ، فاذا زوجها يكون قد أبعدها عن والدتها وجعلها فى صفه ، وهـذا ربح كبير له ، وهو يتمنى لو تدوم العشرة بينكما ليستفيد من غناك إذا ما كشر له الدهر عن نابه يوماً ما كما يقول . أما ابنته هـذه فى الحقيقة يا شيخ سليمان فلا تليق أن تكون زوجة أحد لأنها شريرة بمعنى الكلمة ، وقد طلقها زوجهـا الأول بعد أن شجر بينهما من الخلاف ما أقام الدنيا وأقعدها ، وبعد أن جردته من كل ما يمتلك فى سبيل إشباع نهم والدتها ، وهذا علاوة على أنها قبيحة المنظر ، ويمكنك أن تطلب منه رؤيتها أو تستدعى إحدى قريباتك من الفيوم لرؤيتها قبل الاقدام على الزواج بها . ثم قالت فى النهاية إنها تنصحنى نصيحة خالصة لوجه الله ألا أقع فى حبائل هذا الرجل وابنته وإنه إن كانت هناك ضرورة ملحة للزواج فهى الكفيلة بالبحث عن كل ما أطلب، ثم ختمت الحديث بقولى لها إننى لم أبت الرأى فى أمر الزواج وإننى الآن أبخر لعمل استخارات فى هـذا الموضوع وسيكون قرارى مبنياً على ما تأمرنى به الاستخارات .

وقد استمر الشيخ سيد يتردد بعدذلك على منزلى بين حين وآخر وهو لا يدرى شيئاً عن مؤامرات زوجته ضد ابنته من طليقته ، أما زوجته فكانت كل يوم تتجاذب معى أطراف الحديث في الموضوع وتعيد ما ذكرته لى من قبل وتقيم صرحا عاليا من العقبات فى سبيل رغبات زوجها وتوصينى عند كل مرة ألا أذكر شيئاً عن أحاديثها معى لزوجها ولم أستطع فى أول الأمر أن أعرف بالضبط علام تثير هذه الضجة ولا كيف أميط اللثام عن كنه تلك الدعاوى التى تساق أمامى بسخاء ولـكن مهما كان الأمر فانها تركت فى نفسى أثراً زاد فى حيرتى وكنت كلما خلوت إلى نفسى للتبصر فى العواقب رأيت فى الجو

برق المتاعب يومض ورأيت قدمى تنزلق إلى هاوية لا يعلم لها قرار ولكن حياة الوحدة من جهة أخرى وضرورة التخلص من بأسها بأى شكل من الأشكال كانت هى المحور الذى تدور عليه رحى الذهن على الدوام . وأخيراً أخذت أقارن بين أوجه النفع وأوجه الضرر المنتظرة من جراء هذه المغامرة المزمع الدخول فى حومتها فأيهما أراه أقوى حجة أسلك سبيله بلا تردد وعلى ذلك كانت أوجه النفع كالآتى :

أولا — حالتى الصحية فى أشد الحاجة إلى رفيق يقيم معى على الدوام .

ثانياً — هذا الرفيق لا يمكن أن يكون إلا زوجة .

ثالثاً — تقضى ظروف الحال ألا تكون هذه الزوجة بكراً بل ثيباً ، وذلك لأن البكر تتطلب حالتها بموجب العادات السائدة عرساً ليلة الزفاف وهو الأمر الذى يضطرنى إلى الخروج إلى الأسواق ومقابلة مختلف العمال والعروس ليلة عرسه يظل طوال الوقت هدفاً لتساؤل الناس عن صنعته وأقاربه وأحواله ولا يعلم على وجه التحقيق ما قد يقع من الظروف والطوارئ وبخاصة فى أفراح العامة حيث يكثر الشجار والمنازعات التى تكدر صفو الليالى . وميدان هذا بعض مشتملاته لا أستطيع بمحض رغبتى أن أزج بنفسى فيه . أما إذا كانت العروس ثيباً فلا حاجة إلى تلك المظاهر كافة وخصوصاً لدى الفقراء فان الأمر لا يعدو حضور المأزون مع اثنين من الشهود وقد لا يزيد الامر عن هذا العدد مع القليل من النفقات .

رابعا — زواجى ببنت هذا الرجل يجعله يستقر نهائيا فى بيته الحالى فلا ينتقل منه وهذا يضمن لى عدم سكنى الخفر والعساكر بجوارى تلك السكنى المحتمل وقوعها نظراً لوقوع الحارة خلف قره قول الخليفة .

أما أوجه الضرر فتتلخص فيما يأتى :

أولا — اننى أجهل جهلا تاما أخلاق هذه الأسرة وأسرار طلاق هذه

السيدة من زوجها الأول ولا أعلم على وجه اليقين ما هو الباعث الذى دفع الشيخ سيد إلى مفاتحتى فى أمر الزواج بابنته مخالفا بذلك عاداتنا المألوفة، وهل هذا الباعث هو طمع فى مالى على أثر ما سمعه من سكان الحارة أم يرجع إلى الأسباب التى ذكرتها لى زوجته على غير علم منه، وما سر هذه الحملة الشعواء التى أثارت وتثير زوجته غبارها. نعم هى زوجة أب ومن العامة، ولكن أنى لي أن أكذبها فى كل ما تقول.

وقد كانت أيام دراسة هذا الموضوع وتمحيص أوجه النفع مع مقابلتها بأوجه الضرر لتقرير أى الجهتين أرجح وزناً، أياماً مفعم جوها بعواصف الأفكار المتضاربة وأنواء الريب والشكوك.

أجل لقد كانت فكرة الزواج فى مقدمة الحلول التى كانت ترد على الخاطر منذ شهور مضت ولكننى كنت أتصور أن الخطر جاثم فيها إذ أنها تبهظ عاتق الانسان وتزيد من قيوده فى الوقت الذى يرجو أن يكون خفيف الحمل لا تربطه بسكنى هذه الحارة إلا روابط واهية حتى إذا ما دق ناقوس الخطر لسبب من الأسباب يوماً ما ركن الانسان إلى الفرار منها غير آسف عليها ووجد طريقه سهلا معبداً.

ولقد كانت فى الحارة بنات كثيرات وكانت سمعتى الحسنة شفيعاً لى إذا أنا تقدمت لأقاربهن جميعاً بلا استثناء، ولكن كان هناك أمران لا بد من وقوع أحدهما أو كليهما إذا كنت أنا البادىء بالطلب. أولهما تعريض نفسى للأسئلة الدقيقة عن بلدى وأهلى وما يدرينى لعلهم يخاطبون الجهة التى أرشد عنها للاهتداء اليهم وعند ذلك يتسع الخرق على الراقع. وثانيهما ضرورة الخروج إلى الأسواق والتزيى بالأزياء الجديدة إذا كانت العروس بكراً، وكلا الأمرين غيرمرغوب فيه. ولذا كنت أسدل على الدوام ستاراً كثيفاً على هذا الحل وأتوجه للبحث عن غيره، ولكن الايام حبالى يلدن كل عجيبة وهاهى ذى الظروف قد ساقت إلىّ فى أشد الاوقات حاجة إلى حل مسألة

العزلة من يعرض عليّ حلا فيما دون أن يرهقنى من أمرى عسراً أو يسألنى عن أهلى سؤالا . لقد أصبح إنقاذ حياتى وعقلى بهذا العرض فى يدى ومن تدفعه النيران من جانب ألقى بنفسه إلى الجانب الآخر ولو كانت به نافذة . لقد قررت أن أتزوج ولم يكن هناك من تتوافر فيها الرغبات سوى أسرة وبنت واحدة وهى بنت هذا الرجل وليس هناك مجال للبحث والاختيار فإما هذه وإما لا وعلى أثر ذلك قابلت الشيخ سيد ابراهيم وأخبرته أننى عملت استخارات عدة وأن النتيجة كانت حسنة جداً وأننى توكلت على الله وعزمت على مصاهرته وفى يوم الأربعاء ٢٢ سبتمبر عام ١٩٢٠ الموافق ٩ محرم عام ١٣٣٩ تمت التمهيدات نهاراً وفى المساء حضر الشيخ على محمد الشبينى المأذون الشرعى بقسم الخليفة والشيخ عمر عمر والحاج اسماعيل قاسم من سكان الحارة كشاهدين وعقد العقد ودخلت بالعروس فى ذات الليلة وما أن تنفس الصباح حتى أذيع الخبر فى أرجاء الحارة وأقبل الكثيرون للتهنئة ولما كان من الآمال التى يخفيها الكثيرون فى نفوسهم أن يزوجونى ببنت من بناتهم الأبكار عرت الناس دهشة وسرى بينهم التساؤل عن سر نجاح هذا الجار الجديد وكيف أننى أرضى بالزواج ببنت ثيب مع وجود الكثيرات أمامى من الأبكار . وبعد أيام طويلة تنوسيت الحكاية وانتهت من ألسنة الناس

[المذكرة الرابعة عشرة]

اكتوبر عام ١٩٢٠

كانت عادة الشيخ سيدابراهيم أن يمضى جل أوقات فراغه فى المنزل ولما كان يعلم عنى عدم الرغبة فى الخروج من منزلى دون أن يعرف لذلك سببا أو يظهر ميلا لمعرفة السبب اعتاد آن يزورنى كثيرا ويقضى معى أوقاتا طويلة ولم يكن الرجل بالأمى القح بل كان على علم تام بالقراءة والكتابة وكان حديثه عذبا مسليا وقد تطوع من غير كلفه أن يشترى لنا بنفسه أو بواسطة أحد عماله حاجاتنا من الخارج وذلك على اثر انقطاع أم خليل عن الحضور إلى منزلى بتاتا بعد الزواج وكان أحد عماله يجيد مهنة الحلاقة ويمر على منزله وقت الحاجة إليه فأصبح يمر أيضا على منزلى وبهذه الخطة اكتسبت فى هذا الشهر فوائد منها تخفيف حياة العزلة (أقول تخفيفا وليس محوا. لأنى لا أزال أجلس فى المنزل ليلا ونهارا ولا أبرحه أما نفس الآثار السيئة التى خلفتها العزلة للصحة فى الشهور الماضية فلا تزول إلا رويدا رويدا) والحلاقة التى كنت أحسب لها ألف حساب عند ما يحل ميعاد الذهاب إلى دكان الحلاق. وسأل الشيخ سيد مرة عن سبب شراء الجرائد بكثرة فقلت له ألا تراك تدخن كثيراً، أليست هذه عادة لا يمكنك الفكاك منها، ألا ترى أن عادتك هذه لا أثر لها عندى فبمثل ذلك ترانى قد اعتدت شراء الجرائد بكثرة فبدلا من أن أصرف النقود مثلك فى شراء الدخان أصرفها فى شراء الجرائد ولكل إنسان عادة لايتذكر منشأها ولا يستطيع إغفالها وكان سياق الحديث يفسر لى غرضه إذ يريد أن ينصحنى بالاقلال بغية الاقتصاد فى مالى

وليس لشكوك أخرى ولا عجب فى ذلك فقد كان ينتهز كل فرصة ليجعلنى أعتقد أنه يعطف علىّ ويهتم بأمرى كثيرا وكنت أنا من جهتى أنتهز كل فرصة لأجعله يعتقد أن عدم خروجى من المنزل يرجع إلى شدة الصلاح والتقوى فكنت أقول له فى غضون الحديث إن البعد عن العالم عبادة وإن الشوارع مباءة المعاصى والمنكر وإننى لا أريد أن أنظر إلى تهتك النساء فيها واستغفر الله العلى العظيم من ذلك . ولا جدال فى أن ذهنى شغل بالتفكير والحذر بعد الزواج أكثر من ذى قبل نظراً لاطلاع آخرين على حياتى الداخلية وتأكدى من أن حركاتى فى الداخل سيذاع أمرها فى الخارج إما عمداً وإما عفواً .

[المذكرة الخامسة عشرة]

نوفمبر عام ١٩٢٠

لما سكن الشيخ سيد إبراهيم بجوارى سمعتْ زوجته زينب بنت ابراهيم مرسى من رأس الخليج تلك الشائعات التى حلت فى قلوب الناس محل العقائد بصدد مكانتى فى عالم السحر والكتابة وإعادة المطلقات إلى أزواجهن وكان أمامها مثل حى هو إعادة أم عطية إلى طليقها بعد أن فرق الدهر بينهما فراقاً ظن أنه حليف الأبد ، ذلك الحادث الذى أصبح مضرب الأمثال وملاك الأدلة إذا ما احتدم النقاش بين متحاورين . سمعت المرأة بكل هذا فتأثرت به وصدقته أتم تصديق فلما دار الفلك دورته واتصل بها أن زوجها يسعى لتزويج ابنته بهذا الذى بيده أن يجمع بين قلبين متنافرين ويباعد بين قلبين

متحابين كما تعتقد بذلك اعتقاداً راسخاً أطار هذا الخبر صوابها وخشيت لو تم الأمر لتمخضت النتيجة عن شر وبيل تاعس لا بد لاحق بها وتصورت النتيجة على الصورة الآتية وهى أن زوجتى الجديدة تعمد إلى إيغار صدرى ضد امرأة أبيها وتوصينى خيراً بأمها فأعمل جاهداً بواسطة السحر على استعادة أمها لأبيها ثانية بعد أن يطلق امرأته زينب وما أدراك ما سحرى فى نظر غيرى من سكان الحارة جميعاً : إن هو إلا سحر لا يطيش له سهم ولا يأفل له نجم . أقول تحت تأثير هذا الوهم ، نشطت المرأة زينب إلى نصب الفخاخ وإيقاظ الفتن فى الوقت المناسب قبل أن يسبق السيف العذل وهى تلك المرأة ذات الذهن الخصيب التى شبت وسط المكر والخبث فحلبت شطرى الأيام بغير علم أو تهذيب وإن تعجب فاعجب إلى النهاية التى ليس بعدها نهاية من وجود امرأة أمية بهذا الدهاء وبعد النظر لا تضطرب ولا تلتوى عليها سبل التفكير وإذا سمعتها حين ترمى عن أغراضها فى طيات الحديث حسبت عالماً جهبذاً من علماء النفس يضع الخطط عن دهاء وحرص. عانت تلك المرأة فى سبيل إحباط مشروع الزواج ما عانت وذلك بالنيل من بنت زوجها والكيد لها عند محادثتى من النافذة فى غيبة زوجها . وأخيراً لما رأت أن مجهوداتها آلت إلى الفشل وأن الزواج قد تم بالفعل لم تفتر لها عزيمة ولم يدب فى قلبها يأس بل واصلت السير فى طريقها ودأبت على نسج شباك الشقاق ولما أصبح من العسير أن يخلو لها الجو فتتحادث معى كسابق عهدها قبل أن تحضر الزوجة إلىّ بات التأثير كله منصباً على الزوجة لأنها هى التى تذهب إليها فى بعض الأوقات فى منزلها فلا تدعها تعود إلى زوجها إلا بعد أن تحشو ذهنها بسوء القالة مما لا أعرف كنهه وإنما ألمس نتائجه وقد وقعت زوجتى فريسة فى يدها وهي الأضعف إرادة والأقل تفكيراً فدبت عقارب السوء بيننا فى عنفوان الأيام ولكن أنى لزوجتى أن تعرف الأغراض الخفية وقد عرفتها إحدى الجارات الساكنة فى الدور الأول بمنزل

الشيخ سيد فأفضت إلىّ بأن زينب ترتجف ليل نهار خشية أن يسود حسن التفاهم بيني وبين زوجتى فلا أنفك أسحر لوالدتها حتى أعيدها إلى مطلقها. هذا وصف موجز لما عليه زينب من الصفات ولم يكن زوجها الشيخ سيد أقل منها معرفة بسياسة الكلام ومحاولة خلب العقول وكان يتصف بصفة قلما يظفر بها كبار المتعلمين وهى شدة ضبط النفس عند مجابهة أشد ما يثير الانفعال. أما ابنته فكانت على عكس أبيها مسلوبة الارادة عصبية المزاج لا تصلح للجو الهادئ ذلك الذى رميت إليه من وراء الزواج والذى هو العلاج الوحيد لأعصابى المجهودة وحالتى المتهدمة.

أما إذا جاء الجو عاصفاً قاصفاً على عكس ما نأمل كان الزواج ضغثاً على إبالة ولا يزيدن صحتى إلا سوءاً ووبالا.

وبالاختصار لم يعد خافياً عنى فى هذا الشهر أنى أصبحت بين رجل وابنته وزوجته الأولى وزوجته الثانية. أربعة هم واسعو الحيلة فى تدبير المؤامرات بعضهم ضد بعض وضد من يبغون من ورائه نفعاً وغنما.

وهذه الصورة الاجتماعية ليست فريدة من نوعها فى أوساط العامة بل كثير عددها وكأن العامة بينهم وبين القناعة والاخلاص ثأر فهم يريدون أن ينتقموا من الدهر الذى وضعهم تحت آصار الفقر يرزحون وهذه بعض الدوافع نحو الاجرام ونحو الانقضاض على الأغنياء كى يهبطوا درجة ويرتفع الفقراء درجات فيتلاقوا عند نقطة أو تنقلب الحال وهذه الدوافع اللاشعورية فى نفوسهم تفسرها أفعالهم ولا تفسرها أقوالهم.

(المذكرة السادسة عشرة)

ديسمبر عام ١٩٢٠

شخص يدعى حسين محمد افندى من خريجى مدرسة الفنون والصنائع ببولاق ويتخذ له محلا لمبيع وتصليح الكلوبات ووابورات الغاز والأدوات الكهربائية بأول شارع شيخون بقسم الخليفة يحمل دائماً فى أحد جيوبه ساعة ذهبية لها مكانة كبيرة فى نفسه ويقدر ثمنها بأربعين جنيهاً .

ذهب هذا الأفندى فى يوم من أيام هذا الشهر إلى دكان حلاق على قيد أمتار من دكانه وخلع معطفه وعلقه على حمالة الملابس وجلس على كرسى الحلاقة حتى انتهى الحلاق من عمله ثم قام بعد ذلك ولبس معطفه ثانية وخرج مشيعاً بأجمل وداع وما أن خطا صوب دكانه بضع خطوات حتى رغب إلى معرفة الزمن فرفع يده إلى جيبه لاخراج الساعة وكانت دهشته او قل ذهوله عظيما إذ أنه لم يعثر على الساعة فى جيبها الخاص فتهافت على سائر جيوبه بحثاً ومسحاً وتقليباً فلم يجد لها أثراً فعاد أدراجه مسرعاً إلى دكان الحلاق وهناك سأله عنها بلهفة الحيران فلم يتلق جواباً يشفى حيرته وقد أباح له الحلاق عن طيب خاطر أن ينقب فى نواحى المحل ودفائنه ودخائله ومدسوساته بكافة مايراه من الوسائل فقام بذلك وانتهى البحث إلى غير جدوى ثم تذكر الحلاق أن جاره (المكوجى) دخل دكانه فى أثناء الحلاقة وأقام برهة من الزمن ثم خرج فذهب الجميع إليه وفتشوا أيضاً جوانب دكانه فلم يظفروا بطائل فعاد حسين افندى إلى دكانه يتعثر بأذيال الندم . وما لبث أن ثارت عواطفه فأجهش بالبكاء وعلا صوت نحيبه فتزاحم الناس بالمناكب

على باب دكانه يستقصون الأخبار ويزودونه بأشهى الآمال. وبينما الجمع على هذه الحال من الهرج والمرج وإذا بالمرأة أم عطية التى يعرفها القراء قد حضرت إلى الدكان وبيدها وابور غاز لاصلاحه فاقتحمت صفوف الناس ودلفت إلى الدكان وألمت بما هنالك من الأخبار وسرعان ماخفتت من أجلها الأصوات واشرأبت إليها الأعناق عند ما انطلق صوتها الرفيع فى الفضاء راجحاً على كل جلبة وصياح قائلة طب نفساً وقر عيناً وهيا بنا إلى الشيخ سليمان وهو شيخ مبارك يقيم بحارتنا كلمته لاتنزل إلى الأرض وبركته لاتحد بحد وهذا هو الذى يأتى إليك بساعتك سواء أكانت فى سابع أرض أو فى سابع سماء فكفكف الرجل دمعه وانطلق معها لايلوى على شىء ولحق بهما قريب له يسمى محمد فهمى وصناعته براد بالقلعة واقتفى بعض الناس أثرهم على بعد منهم .

كان وقت الأصيل والشمس آذنت بالرحيل وزوجتى بمنزل أبيها وأنا جالس فريدا أحظى بساعة من ساعات الصفو والهدوء ، وليس ثمة على صفحة الخيال ما يشغل البال ، وعلى حين غرة تلبدت سحب الجو حينما قرع الباب بشدة ونادت أم عطية بأعلى صوتها قائلة « ياشيخ سليمان » أناس يسألون عنك ، فتشاءمت بهذا النداء ورجحت الشر على الخير ولما كان لا مفر من النزول اصطبرت وكتمت ما بنفسى ونزلت على مهل وما كدت أفتح الباب حتى أشارت أم عطية بيدها وكررت العبارة نفسها وقالت كلم ياشيخ سليمان ، أناس يسألون عنك فرفعت بصرى ، وإذا بشابين أنيقى الملبس أحدهما يرتدى معطفاً فوق جلباب وتبدو عليه سيماء القوة ، والآخر يرتدى معطفا فوق بذلة ، فأيقنت أنهما من رجال البوليس السرى وأنى بلا ريب قد وقعت بأيديهما فقابلتهما بابتسامة متكلفة ورحبت بهما ودعوتهما إلى الدخول ، والغريب من أمر الموقف أنهما لم يردا على ابتسامتى بابتسامات مثلها بل نظرا إلىّ متفرسين فى وجهى متلهفين على رؤيتى ،

ووجوههما حزينة كئيبة ساهمة وأسرعا فى الدخول إلى منزلى كمن يضن بالوقت على الضياع وكان وراءهما على بعد منهما جمهور من الناس فاعتقدت من كل هذه الظروف المفاجئة أنهما سيفتشان منزلى ثم يلقيان القبض علىّ فصعدت معهما متجاهلا الموقف وقد انقطعت أم عطية عن الدخول وذهبت إلى سبيلها . ولما دخلا إلى غرفتى قدمت لهما الكراسى وما أن جلسا عليهما حتى بدأ أحدهما يتكلم فقال أنا محمد فهمى براد بالقلعة وهذا قريبى حسين افندى محمد المتخرج فى مدرسة الفنون والصنائع ثم طفق يسرد الحكاية وما كدت ألم بطرف منها وأعرف أن أم عطية هى التى أتت بهما للغرض المعروف حتى هدأت نفسى وانقلبت مظاهرى رأسا على عقب واستويت فى مجلسى ورفعت رجلا فوق أخرى وامتدت يدى تداعب لحيتى بأطراف الأنامل ، وأصبحت أشير برأسى متثاقلا ، وأبسمل ، وأحوقل ، وأنشأ الاثنان يتبادلان الشرح والتفصيل ، ومن غريب الأمر أن إلقاء أم عطية الخبر أمامهما بيقين ثابت فى بادىء الأمر لم يجعلهما يفترضان الشك فى أمرى فيخفيا عنى بعض الأخبار على سبيل الامتحان لمقدرتى بل جعل اعتقادهما فى مقدرتى راسخا كالطود فقصا على مسامعى أخبارا كثيرة وقد تركتهما يتكلمان دون أن استوضحهما غامضا أو استزيدهما شيئا ، فما أطالا القول فيه قبلته كما هو وما اختصرا فيه قبلته كما هو أيضا ، وذلك كى لا يستنتج أحدهما غرضا بعيدا لا أتمناه ، ولما قربا من النهاية أخرج حسين افندى منديلا من جيبه كأثر له وأعطاه لى وذلك طبقا للتعليمات التى أرشدته اليها أم عطية فى أثناء الطريق ثم قال إنه يعدنى وعدا أكيدا باعطائى جنيهين بعد العثور على الساعة فقلت على العين والرأس وكن مطمئنا غاية الاطمئنان وسأرسل فى حضورك بعد يومين إن شاء الله ، ثم خرجا مزودين منى بالدعوات الصالحات ! وأغلقت وراءهما الباب ومرت لحظة أغرقت فيها فى الضحك والتعجب إلى النهاية !!

عدت إلي غرفتى فرحا بما انتهت به هذه المسألة ، ولكن الفرح لم يكن كاملا إذ شعرت بالعبء الذى ألقي على عاتقى من جديد وأمضيت نحو نصف ساعة غارقا فى بحار التفكير مقلبا الموضوع على كافة وجوهه ومحللا الحكاية وكانت مراحل التحليل كما يأتى :—

شئ كان فى جيبه وهو متأكد من ذلك ثم فقد هذا الشئ بعد قليل فأغلب الظن ألا يعدو الأمر أحد اثنين إما أن يكون هذا الشئ قد سقط من جيبه الى الأرض فى أثناء سيره فى الشارع فالتقطه إنسان ومضى به إلى حال سبيله ، وإما أن تكون يد قد نشلته من جيبه متعمدة ذلك ، ففى الحالة الأولى لا سبيل لى الى عمل شئ معين يفضى إلى نتيجة حسنة فلا يسعنى والأمر كذلك إلا إغفال هذا الفرض وفى الحالة الثانيـة يمكن تتبع الأمكنة التى كان معطفه بها بالضبط لعلنى أظفر بموطن شبهة فأحصر التفكير فيه فاما مصادفة عجيبة ، وإما وعود تصدر منى تتلوها وعود ، إلى أن ينقطعوا عن المجئ فتنتهى المسألة بسلام .

والآن كان معطفه بدكان الحلاق وكان قبل ذلك بدكانه هو فاذا أنا اتهمت الحلاق فقد فتش دكانه تفتيشاً دقيقاً ولم يعثر به على شىء فماذا أنا فاعل به بعد ذلك ؟ وإذا أنا اتهمت (المكوجى) جار الحلاق فقد فتش دكانه أيضاً تفتيشاً دقيقاً ولم يعثر به على شئ فماذا أنا فاعل به بعد ذلك ؟ فلم يبق أمامى والحالة هذه مجال للتفكير إلا فى الفرض الباقى وهو احتمال أنه كان قد خلع معطفه وهو بدكانه قبل الحلاقة ثم لبسه ثانية استعداداً للتوجه إلى دكان الحلاق وفى هذه الفترة نشلها أحد الزبائن أوأحد عماله. وهذا الفرض محتمل الوقوع ولكنه ليس مؤكداً ولم يكن واضحاً فى الحديث فى أثناء سرد الوقائع عما إذا كان قد خلع معطفه فى دكانه قبل الحلاقة أم لا وقد عرفت منه أن بمحله عاملا يشتغل معه ولكن لم أستطع أن أعرف هل هو فرد واحد

فقط أم معه آخرون وكل هذه الثغرات لم أحاول ملئها منه فى أثناء الحديث بل نزعت جل الوقت إلى الصمت مع الانتباه وذلك للأسباب التى ذكرتها آنفاً وأخيراً رأيت أن أستدعى أم عطية وأتحادث معها أولاً عسانى أستطيع أن أجمع منها معلومات أخرى أو أعرف منها شيئاً عن النقط التى أريد أن أستوضح غوامضها فنزلت من منزلى بعد أن أوصيت نفسى أن أكون حريصاً فى أثناء محادثتى مع أم عطية فلا أدعها تدرك عن قرب أو عن بعد شيئاً مما أضمره وفضلت أن يكون الوقوف عند حد المعلومات الناقصة خيراً من التبسط والاستبحار فى الأسئلة المباشرة التى تفتق أذهان الناس ثم أرسلت فى طلبها فحضرت وهى تبتسم ولما كانت شاعرة بما سيدور حوله الكلام تكلمت فى الموضوع من تلقاء نفسها فوقفت مصغياً لكلامها إلى أن سنحت لى فرصة للاستعلام منها عن عدد عمال المحل فقلت أظنهم كثيرين فقالت كلا يوجد واحد فقط فتابعت الأسئلة فى الحال ببساطة المظهر وبالطريقة غير المباشرة جاعلا غرضى الخفى معرفة أوصاف هذا العامل فقلت لعل هذا العامل هو الذى كان ساكنا فى هذه الحارة منذ شهرين فقالت كلا لم يسكن بهذه الحارة قط فقلت هو شخص أبيض وقصير فقالت نعم هو قصير ولكنه أسمر وبعوينة (أى بعين واحدة) فقلت لها أليس هو الذى كان يلبس جلباباً من السكروتة المكواة فقالت كلا هو فى الدكان يلبس بنطلوناً أصفر للركبة وفانلة من فوق ولا أعرف ماذا يلبس فى خارج الدكان ولكنه بكل تأكيد ليس هو الذى كان ساكناً بالحارة وعلى ذلك سكت أنا فى الحال عن الاستزادة من الايضاح وكانت إشارات يدى عند كل سؤال لها تأثير خاص تجعلها لا تستطيع أن تستنتج غرضاً لا أريده من الحديث ولاشارات اليد ونبرات الصوت حين المحادثات تأثير له خطره فى توجيه ذهن المخاطب إلى جهات معينة كما سبق شرحه باسهاب فى مقدمة الكتاب. ثم قلت لها أنا ظننته ذاك الذى كان ساكنا بحارتنا وخفت أن يكون متكدراً الآن من هذا

الحادث كرئيسه فأذهب إليه لأزيل كدره أما وهو شخص آخر فالحمد لله على ذلك وأصبحت هذه المسألة لاتهمنا .

وبعد قليل افترقنا وعدت إلى منزلى وقد ألممت ببعض أغراضى وهى أنه لا يوجد بالمحل إلا عامل واحد ، وكذا عرفت بعض أوصاف هذا العامل . جلست أعيد النظر فى الموضوع ثم خرجت ومررت على دكان حسين افندى سائراً من الشق البعيد من الشارع ثم ألقيت على الدكان نظرة فألفيته مضاءً بكلوب كبير وأشباح الموجودين به واضحة وضوحاً كبيراً ، فرأيت العامل رؤية العين وعرفته إجمالا لأن تفاصيل الوجه لم أستطع التدقيق فيها لبعد الشخص عنى ، وحين عودتى نظرت إلى الدكان نظرة ثانية . وقد صرفت يومين بعد ذلك وأنا أقلب المسألة على جميع وجوهها فلم أجد حلا أستطيع قوله سوى أن أتهم هذا العامل بسرقة الساعة ، فاذا كان هو السارق حقيقة فان بمجرد معرفته أن حسين افندى أعطى أثره لشيخ من المشايخ الكبار الذين لا تخفى عليهم خافية كما قررت ذلك أم عطية على مسمع منه يجعل الخوف والندم والارتباك يسرى إلى قلبه منذ الساعة الأولى فعند ما يلقى فى أذنه أن الشيخ سليمان قال إنه هو الذى سرق الساعة تجده يسارع إلى الاعتراف وإحضار المسروق ويطلب الصفح ، وأما إذا لم يكن هو السارق فانه يبادر إلى الحلف بالله وإقامة البراهين على براءته ، فاذا كانت البراهين قوية فانهم يتجهون إلى جهة أخرى من البحث ويكفون عن المجىء إلىّ وتنتهى المسألة بالنسبة إلىّ عند هذا الحد بسلام . أقول صممت على هذا القول ولم يعد أمامى ما يستحق التفكير فيه إلا نقطة واحدة ، وهى كيف أحول حيلولة تامة دون مشاجرتهما بعضهما مع بعض فى حالة ما إذا اعتقد صاحب الساعة فى قولى اعتقاداً تاماً واتهم العامل اتهاماً شديداً بالسرقة وكيف يكون موقفى إذا أدت مشاجرتهما أو اختلافهما بشكل من الأشكال إلى الوصول بالمسألة الى أماكن البوليس فيذكر اسمى عرضاً باعتبار أننى أنا الذى أرشد إلى أن

العامل هو الذى سرق الساعة أو بأية مناسبة من المناسبات التى يتشعب إليها الاتساع فى التحقيق ولا يمكن معرفتها مقدماً فأستدعى نهاراً لدخول محال البوليس على سبيل الاستشهاد بأقوالى ، وهنا نقطة الخطر الذى لا أسعى إلى درء شيء عنى مثل ما أسعى إلى ذلك .

وبعد الامعان الشديد في كل ما يمكن أن يتصل بالمسألة عن قرب أو بعد أرسلت فى طلب أم عطية فى اليوم الثالث ، ولما حضرت كلفتها باستدعاء حسين افندى وكنت أعددت فى الغرفة السفلى منضدة عليها حبر وقلم وورق ، وفى لمح البصر حضر حسين افندى ودخل وجلس ، فانتظرت برهة ثم بدأت أتكلم فقلت له : أنت لا تعلم كم أنى تعبت لك تعباً شديداً حتى عرفت سارق ساعتك وأنت كنت وعدت أن تعطينى جنيهين فى حالة العثور على الساعة ، فالآن أمامك ورقة أكتب لى تعهداً فيها بدفع جنيهين عقب تسلمك الساعة . فقال : نعم أنا على استعداد تام لذلك ، فأمل علىّ ما تشاء وأنا أكتب ، ثم تناول القلم وكتب ما يأتى وأنا أملى عليه :

(أنا حسين محمد صاحب محل لمبيع الكلوبات ووابورات الغاز بأول شارع شيخون أتعهد بدفع جنيهين إلى الشيخ عبد اللطيف سليمان المشتغل بالأعمال الروحانية بحارة حوش الحدادين ، وذلك فى حالة عثورى على الساعة المفقودة بناء على إرشاداته الخاصة فقط)

وقد أمضى بعد ذلك وناولنى الورقة فأعدت قراءتها ووضعتها فى جيبى وأنا على يقين من أن هذه الورقة لن تقدم إلى محكمة قط ، وأما كونه يدفع أو لا يدفع فهذه مسألة ترجع إلى الظروف . فاذا وقعت ظروف حسنة وأصاب كلامى كبد الحقيقة وكان هو السر الوحيد فى إعادة الساعة ذات الأربعين جنيهاً فأكون فى هذه الحالة جديراً بأخذ الأجر ويكون هو مطالباً أدبياً حتى ولو لم يكن عليه سند ما بأن يدفع ما تعهد به من تلقاء نفسه .

وقد فكرت طويلا فى هذه المسألة ورأيت أنى لا بد أن ألبس لكل حالة لبوسها ، وما دمت أنى ادعيت أن فى إمكانى إظهار المخبآت فلا بد أن آخذ ما يقدم إلىّ وأطالب به ، ولو فى الحالات الكبيرة ، وإلا كونى شيخاً يعيد المسروقات إلى أصحابها دون أن يأخذ شيئاً فهذا أمر يخالف ما اعتاده الجمهور ، وأنا دائماً أمتنع عن عمل كل ما هو مخالف العادة لأنه يضر أكثر مما ينفع . وعلى ذلك بعد وضع الورقة فى جيبى التفت إليه وقلت له أنا بخرت كثيراً ، ونمت طويلا ، وفى كل ليلة من الليالى الثلاث الماضية تظهر لى القرينة وتريني شخصاً مخصوصاً وتشير إليه بأنه هو السارق لساعتك ، فقال بتلهف . ومن هو ! فقلت هو شخص أسمر وقصير وبعوينة ويلبس بنطلوناً أصفر وقصيرا إلى الركبة وحزام جلد فى وسطه ، فضرب على يده وقال نعم عرفته . هذا هو الصانع الموجود بدكانى . فقلت أنا لا أعرف صناعته وإنما هذه هى أوصافه ، وقد أعطى الساعة لشخص وهو يعرفه ، والطريقة الوحيدة الآن لاسترجاع الساعة هى أن تذهب اليه وتكلمه على انفراد ، وأوصيك بشرط واحد مهم جداً أوصتنى به القرينة ولا بد من تنفيذه وإلا أفسدت عليك الأمر ، وهذا الشرط هو ألا تأخذه بالشدة بل باللين والسياسة ولا تخبر البوليس أو النيابة بحال من الأحوال لا قبل مفاتحته بالأمر ولا بعده ولا فى أية حالة من الحالات وكن متسامحاً معه إلى حد النهاية القصوى فقال نعم . أنفذ ذلك ثم قال ولكن أخبرنى عن اسم الشخص الموجودة عنده الساعة الآن وأنا أذهب إليه مباشرة وأثبت له أنها ساعتى وآخذها حتى ولو أدى الأمر إلى دفع شىء من النقود له فكان هذا السؤال صعباً لم أستعد للاجابة على مثله من قبل ولكنى فى الحال أجبته بقولى إن معرفة اسمه أمر ممكن ولكن يحتاج إلى أن أبخر مرات أخرى فأرجوك أن توفر علىّ التعب وأن تذهب وتعمل كما أخبرتك به الآن وأنت ببركة أولياء الله جميعاً ستجد ساعتك وعلى أثر ذلك قام مسرعا وودعته وكانت أسارير وجهه تنطق كأنما كان غريقا

وانتشل وبعد ذلك مضى يومان وأنا لا أدرى عن النتيجة شيئا أصلا ولا أريد أن أسمع عنها شيئا ولا أتمنى إلا أن ينقطع هؤلاء الناس عن المجيء إلى منزلى . أما المسألة نفسها فكان يبدو لى أنه من المدهشات لو اقترنت بالنجاح هذه المرة أيضا وفى عصر اليوم الثالث قرع باب المنزل ففتحته وإذا بحسين افندى يهم بالدخول فرحبت به ودعوته للدخول فدخل وجلس ثم تبسم وأعطانى جنيهين وشكرنى شكراً كبيراً مقرونا بمظاهر الاحترام وقال : الفضل لك ! وكان العامل هو الذى سرقها وقد أحضرها وإن شاء الله ربنا لا يحرمنا من نفسك ومن دعواتك فدعوت له بالخير وأعطيته ورقته التى تعهد فيها سابقا بدفع المبلغ ولم أشأ أن أسأله عما جرى فى ساعة إحضارها وكيف أثر فى العامل لأن ذلك لا يليق من الشيخ وعلى الشيخ أن يعرف ذلك من تلقاء نفسه .

أما أم عطية فقد حضرت إلى المنزل بعد ذلك وكانت هى وغيرها أداة لنشر الحكاية فى الآفاق ولا تسل عما كنت أناله من الاحترام والتبجيل من سكان الحارة نتيجة لهذه الحوادث*

---

* اقرأ فى ذيل الكتاب خطاباً مقدماً من حضرة حسام الدين افندى محمد الموظف بمجلس مديرية المنيا يشرح فيه كيف أنه سمع هذه الحكاية عرضاً من نفس حسين افندى صاحب الساعة المسروقة فى أثناء مأتم والد حسام افندى فى عام ١٩٢٣ وكنت أنا فى هذا الوقت لا أزال مختفيا عن أنظار البوليس لا يعلم أحد عن حقيقتى شيئا وكان حسين افندى تاجر كلوبات وبطبيعة الحال يوزعها على الافراح والمآتم فى أثناء الليالى وتصادف وجوده في هذا المأتم

المذكرة السابعة عشره

يناير عام ١٩٢١

لم أكن أظهر فرحي لنجاحي فى مسألة من مسائل السحر والتمائم أمام زوجتى وإنما كنت أخبرها أن النجاح هذا ماهو إلا مسألة عادية ونتيجة لابد منها لعلو كعبي فى هـذه الأمور وشدة اتصالى بعالم الأرواح والجن. ولكونى أعلم عنها أنها تنقل كل كبيرة وصغيرة من أخبار المنزل إلى الخارج لم أشا أن أدع ذلك الأمر الواقع يمر بمساوئه دون أن يكون لى من ورائه بعض النفع فكنت إذا أردت أن أنشر خبراً من الأخبار الخطيرة فى الحارة فليس أسهل عندى من أن أمثله أمامها تمثيلا متقنا حتى يستقر فى ذهنها حقيقة واقعة ثم أدعها وشأنها فلا تمضى أيام قليلة حتى يصبح الخبر مشاعا بين الجميع ومن ذلك أنى وضعت مرة منديلا تحت وسادة النوم قريبا من رأسها ثم نمنا وفى منتصف الليل استيقظت وبكل سرعة سحبت المنديل دون أن تشعر وعقدته سبع عقد ثم أعدته مكانه ثانية فلما تنفس الصباح قامت منزعجة وأيقظتنى وأخبرتنى أنها وجدت المنديل معقوداً فقلت لها لاتخافى فهذه مسألة كثيراً ماتحصل من كثرة قراءاتى وعلى أثر ذلك انتشر الخبر فى الحارة فلما أعاد والدها ذكره أمامى فى سياق الحديث تظاهرت بأننى لم أكن أريد أن خبراً كهذا يعلم الناس عنه شيئا.

كانت أم الزوجة تقيم بأطراف شبرا وكانت الجارات حين يسألنها عن مهنة ذلك الذى تزوج بنتهـا تذكر لهن أنه شيخ يعمل الأحجبـة ويسحر، فيطلب بعضهن منها مرافقتها حينما تذهب لزيارة ابنتها، وعلى ذلك اشتهرت دون أن أشعر فى نواحى الشرابية وشبرا وكان كثيرات من نساء الجهات

المذكورة يحضرن عندى ، ومنهن امرأة تدعى هدية قالت إن مطلقها طباخ بمنزل سعد باشا زغلول وتريد أن تعمل له عملا كى يردها إلى عصمته فكلفتها أن تصنع عند الحداد حقاً من الحديد يسع رأس دجاجة ، وبعد ذلك أحضرت دجاجة سوداء ليس بها بياض مطلقاً وذبحتها بنفسها وأعطتنى رأسها وبعد تبخير طويل وتلاوة أناشيد تركية عليها وضعتها فى الحق وربطته بدوبار كثير وناولتها الحق لتدفنه أمام عتبة منزلها . وقد استمرت تتردد على منزلى حتى فوجئت بخبر وفاتها بعد شهر تقريباً وبذلك انتهى موضوعها .

[المذكرة الثامنة عشرة]

فبراير عام ١٩٢١

بمنزلى نافذة تطل على عطفة صغيرة وتجاه النافذة المذكورة تقع نافذة أخرى تابعة لشقة أخرى بمنزل له باب من الحارة يمتلكه أيضاً ابراهيم المليجى صاحب منزلى . وفى هذا الشهر سكن بالشقة المشار اليها شخص يدعى سيد افندى خطاب ، وهو وكيل محام شرعى مكتبه بشارع محمد على وكان أخوه معه فى معيشة واحدة وهو عسكرى بوليس وقد مدحنى ابراهيم المليجى صاحب المنزل أمامهما فى غيبتى كعادته ، ليريهما أن لهما جيراناً من الناس الطيبين . .

مرت الأيام وخطاب أفندى يسمع من أهل الحارة بالاجماع ثناء مستطابا على كفاءة الشيخ سليمان فى معرفة المخبآت بواسطة الأثر الذى

يأخذه ثم يرده بعد ليلتين شارحا نية صاحب الحاجة وما يتعلق بها وسمع أيضا حكايات كثيرة وقعت فعلا مع بعض سكان الحارة ورأى كثيرين منهم يقبلون يدى فلما اجتمع له ذلك لم يسعه إلا التصديق التام ولم يرتب فى صحة شيء من هذا على الاطلاق وعمل على التعرف بهذا الشيخ والتبرك به ، ولم يمض إلا القليل حتى كان كل منا يزور الآخر فى منزله . عرفت ميوله وما امتلأت به رأسه فأتيت إليه من هذه الناحية وكلت له من الأخبار الصاع صاعين وما زلت به كل ليلة أسرد على مسامعه طرفاً من أخبار مملكة الجن والشياطين وأن لكل فرد من الانس قرينا من الجن يسير وراءه حيثما سار وهذا القرين هو الذى أستحضرة فى أحلامى بواسطة التعزيمة التى أتلوها مرات عدة قبل نومى حتى راح يردد كل ما أقوله على مسامع الآخرين من أصحابه .

وفى ذات ليلة حضر إلى منزلي وقد انتابه نوع من الفزع وقص علىّ أنه لم ينم ليلته الماضية من شدة مادب فى قلبه من الخوف عقب سماعه بأنباء القرينة ، وأنه يرى فى الظلام أشباح الشياطين كلما دخل فى الحارة أو خرج منها ، وأنه لا ينفك يذكرهم فى غدوه ورواحه فهدأت روعه ، ووعدته بعمل حجاب له فى الغد يطرد الشياطين من طريقه طرداً تاما وفى اليوم الثانى زرته وقدمت إليه حجابا هدية منى ، وطفقت أسرد كثيراً من الحكايات المؤثرة التى وقع بعضها حقيقة وبعضها كان من بنات الخيال وكان أخوه العسكرى حاضراً معنا وهو أصغر منه سنا ويقوم بخدمتنا كلما أشرت إليه باشارة صغيرة ويعتبر نفسه تابعاً لنا وسعيدا لقيامه بخدمتى وتقبيله يدى مع أننى لا أخاف إلا منه ولا أبذل هذا الجهد أو أقص هذا القصص الذى يجعل له رهبة فى قلبهما إلا من أجله ولو كان غير عسكرى لما اهتممت بالتأثير فيهما هذا الاهتمام . وقد تشعب الحديث فأفدتهما بأنى أبخر وأنام نهارا ولا أخرج إلا ليلا لمقابلة زبائنى الكثيرين فى بيوتهم وأننى لا أخبر الزبائن بعنوان منزلى

كى لايحضروا وفودا لأننى لا أشتغل إلا فى الأوقات التى ينبه القرينات علىّ بها وأن هذا هو السبب فى قلة خروجى من منزلى نهارا.

وذات ليلة نادانى خطاب افندى إلى منزله فذهبت إليه ووجدت ثلاثة من الأفندية جالسين عنده، فقدم إلىّ أحدهم وقال هذا محمد افندى البنان سكرتير نيابة الخليفة وهو سيعطيك أثره لترى له نيته. فقلت: على الرحب والسعة. وبعد قليل ناولنى البنان افندى منديله وقال: إننى تزوجت فيما مضى ست مرات وقد تعلق قلبي أخيراً بحب فتاة تسكن فى الشارع الذى أسكن به فتقدمت إلي ذويها بطلب يدها فرفضوا إجابة طلبى، وقد ضاقت بى السبل وحرت فى أمرى، وإنى أتقدم إليك الآن لتنبئنى عما يخبئه لى الدهر، وهل سافوز بها يوماً من الأيام؟ أم ستذهب مجهوداتى أدراج الرياح. وأرجو منك أن تشملنى بعين العطف فتعمل لى عملا يفتح الأبواب المغلقة ويسهل لى كل أمر عسير حتى أنال ما أصبو إليه بفضل مساعدتكم القيمة. فأجبته بأنى سأبذل كل جهدى ولن أدخر وسعاً فى مساعدته باذن الله. ثم قطعنا نحو ساعتين فى سمر، كنت فى خلالها دائم الملاحظة لحركاته ومغزى نظراته وإشاراته نحوى، فلم أجد بينها إلا ما ينم عن استهزاء وسخرية وليست هى التى تبدو من فرد نحو آخر يحترمه أو يلوذ به للاستعانة بمجهوده لنيل أمر خطير يقض عليه المضاجع ويبيت منه مسهداً كما يروى عن نفسه. ثم إن حركات خطاب افندى نفسه لم تكن كما أعهدها منه. ومن هذا الذى رأيت استطعت أن أجزم بأن البنان افندى ليس من الذين يعتقدون فى هذه الأمور. وأخيراً افترقنا وعاد كل منا إلى منزله، وخلوت إلى نفسى أتأمل في الحكاية الجديدة وأحللها مرة أخرى بقدر ما أستطيع، فرأيت قبل كل شىء أننى لم أطلب إليه أن يقص حكاية ما، بل هو الذى بادرنى من تلقاء نفسه بقوله إنه تزوج ست مرات إلى آخر ما قال. ثم إن حركاته المليئة بالسخرية وكل ما تخلل الحديث من نكات وضحك بأصوات عالية كان هو المفتاح الذى

استطعت أن أفتح به ما استغلق من الأمور ، فلا بد والحالة هـذه أن تكون هـــذه الحكاية مخترعة وأن يكون سبب مجيئه إلىّ أنه سمع خطاب افندى يطنب فى مدحى ويؤكد قدرتى على كشف المخبآت فأنكر عليه ذلك ، وقال إن هؤلاء الدجالين كذابون جميعاً ، وربما تراهنا على امتحانى أو جرى بينهما شىء من هذا القبيل ، فاخترع البنان افندى هذه القصة واتفق جميع من حضر معه على التأمين عليها ونوى هو على المنديل نية أخرى أو لم ينو شيئاً أصلا وفرضوا أننى سأتمسك بالحكاية المخترعة التى يقولها أمامى بلسانه وسأرد عليه فيما بعد بما يطابق مجراها فيتضح كذبى بدليل مادى لا ريب فيه . وبعـد مضى يومين حل ميعاد مجيئهما فصممت فى نفسى على أن لا أحيد عما رأيت وفى مساء اليوم الثالث حضر الجميع فذهبت إليهم وعلى وجهى أمارات الغيظ وقلت بلهجة الجد إنك يا حضرة الأفندى لم تنو على المنديل شيئاً أو نويت نية لا تليق أن تنويها لأنى كلما بخرت ونمت رأيت المنديل أبيض لا شىء عليه قط . ثم هممت بالخروج وقد عرتهم دهشة فلم يجاوبوا بشىء ولم يشدد علىّ أحد بالبقاء . وبعـد ذلك أمضيت وقتا طويلا بجوار نافذتى أسترق السمع فلم أسمع ضحكا كما كان يتخلل حديثهم الماضى وصرفوا الوقت هادئين ساكنين مما رجح عندى أننى أصبت المرمى . وكان خطاب افندى بعد ذلك يتردد علىّ كثيراً دون أن يثير ذكرى هذه الحكاية وإنما يسألنى عن علاج لبعض الأمراض ويبدى نحوى احتراما أكثر مما عهدته منه من قبل .

(المذكرة التاسعة عشرة)

مارس عام ١٩٢١

كانت زوجتى من طبقة العامة وأعنى بهم الفقراء الجهلاء. وكانت حين زواجى بها ثيبا وهاتان الصفتان هما شر ماتتصف به زوجة وليسمح لى القارئ أن أقدم أمامه كلمة مختصرة وصفا لطبقة العامة فى مصر وللتكوين العقلى للمرأة الثيب ليستعين القارئ بهذا البيان على تصور موقفى بعد الزواج وإنى أبدأ الكلام بمقدمة عامة لها صلة بدرجات التفكير لدى مختلف الناس ومن المقدمة وما يليها يعلم مقدار ما يعانيه الفرد من الضيق والعنت عندما يعاشر قوما أقل منه عقلا وخلقا وتكون المعاشرة على حد المساواة والمشاركة فى المعيشة.

المقدمة

حب القياس غريزة من الغرائز البشرية وكل مايعرض على الانسان من قضايا الحياة اليومية يمحصه الفكر على ضوء مجموعة الخصائص الحاصل عليها الفرد من علم وعادة ووراثة وأثر للبيئة وتجارب شخصية وليس فى وسع العقل أن يتناول فى تصوراته أبعد مما علم وجرب وتعود ورأى وكل فكرة تخرج للناس عليها فى الغالب الطابع الخفى لنفسية صاحبها ويظهر ذلك جلياً لدى الجهلاء. فان مجموعة المرئيات والمسموعات فى حظيرة معارفهم ضئيلة غير منوعة ولذلك كانت دائرة تفكيرهم ضيقة جامدة على كيفيات لاتتغير ولا يمكن تمرينها حتى تتناول فيما تتناول فروضاً بعيدة المرمى وغريبة عما

ألفوه وكذلك لايقوى خيالهم على تعرف حقائق الحياة كما هى وإنما تتحور الحياة وتتضاءل بهجتها وتنصل صبغتها ولا تزال فى تقهقرها الوهمى حتى تبدو فى مرآة عقائدهم صورة مما يشتهون لا كما هى فى الواقع وكلما زيد لهم فى البراهين لم يجد ذلك فتيلا . وليس لكل مشكلة جديدة لديهم سوى أصل واحد أو غاية واحدة وذلك لأنهم لم يروا فى حياتهم للمسائل المختلفة إلا وجها واحداً من الأسباب ولم يدرسوها إلا من جانب من جوانبها لاغير ولا يتصورون أن الدوافع تتكون غالباً من عدة عوامل متضافرة إذا تخلف أحدها فقد الباقى قوته وهم لذلك خلو من الشك والارتياب إلا قليلا فاذا طرأ عليهم حادث جديد وقيل لهم فى سببه رأى معين تمسكوا بهذا الذى قيل لهم بادىء ذى بدء ولم يستطيعوا بعد ذلك عنه حولا .

طبقة العامة والزواج منها

كانت طبقة العامة فى مصر قبل قرن أقرب إلى التمسك بالدين منها فى الوقت الحاضر ، وكان الحلال والصبر والعفة والقناعة وما إلى ذلك من عناصر الفضيلة يملأ حنايا ضلوعهم ويعوضهم من جانب المعنى ما يعوزهم من جانب المادة . . أما فى عصرنا هذا فقد ولى ذلك عنهم جملة وخمدت نيران العقائد فى النفوس دون أن يستعيضوا عن ذلك بديلا ، لا قليلا ولا كثيراً . فحملوا أوزار الحياة وشعروا بعبئها ثقيلا ، وخيال القناعة والرضا إذا أدبر أصبح هول الخطوب مروعا . والآن إذا فتشت عن نصيب الرجل منهم فى حياته وجدته على الأغلب فقراً مدقعاً ، وجهلا مطبقاً ، وزوجة دميمة الخلق سيئة الخلق ، إذا سار فمن سقط المتاع ، وإذا تكلم فلا يقام له وزن ، وإذا فكر فنحو السجون ، ديدنه الكذب والسرقة والخيانة والعقوق ، وملاهيه صرف ما ادخره على جميع أنواع المغيبات والسموم الفاتكة ، منزله لا يزال مأوى الحشرات الخبيثة ، ومرتع الطيور الدنيئة ، ومحط الأمراض ، ومصدر

العدوى ، وعقائده الخرافية المسيطرة على تصرفاته لا تزال كما هى . فهو يميل إلى إخفاء خير ناله ، أو مال أصابه ، أو قوة أحرزها ، ويود لو يعلم عنه دائماً أنه ضعيف وليس قوياً ، وفقير وليس غنياً ، ومريض وليس صحيحاً . وهو فى كل عمل يبدأ به يرى الفشل والخسران أقرب إليه من النجاح والنصر ، ويحط من قيمة كل شخص علا وارتفع بجده واجتهاده لخروجه على القاعدة ، ويذكر ماضى هذا الشخص ليشفى غليله منه وينقص من قدره فى أنظار السامعين ، ويخيل إليه أن العالم يدور على محور من الصدف العمياء والاضطراب بدلا من دقة النظام وإحكام التكوين ، وكأنما قد تضافرت العناصر الوضعية وهاجمت ذلك المخلوق التعس أينما حل وحيثما ارتحل .

وإذا نظرنا من حيث العلاقة الزوجية وجدنا لطبقة العامة اعتبارات ونظرات خاصة إلى المرأة لم تتولد كلها فى هذا العصر ، وإنما انحدر الكثير إليها من الزمن القديم ، ولم تكن العيوب ناشئة عن تساهل فى الدين ، وإنما عن إهمال الحكومات المختلفة فى تنظيم أمور الزواج والطلاق ، بما يطابق حالات الزمن الذى هم فيه ، كما يحث الشرع عليه ، وكذا عن مغبة الجهل الشديد الذى يجعل المرأة والرجل يستخفان بقيمتهما ، وكذلك عن تقلب الأحوال الاقتصادية ، وكل ذلك ساعد على تكوين اعتبارات ونظرات خاصة ، حتى آل الأمر لدى أكثرية طبقة العامة إلى أن الزوج والزوجة يعتبران ما بينهما من الروابط صله واهية ، عما قريب ينصرم حبلها ويهجر الواحد الآخر . وليست من الحوادث النادرة فى هذه الطبقة أن تعثر على رجل وامرأة تزوج كل منهما فى مدى حياته عشر مرات ، وليس الذنب على الدوام من ناحية الرجل ، وإنما قد تجد بين نسائهم من هن على جانب كبير من الذكاء وقد خبرن الحياة فى دوائرهن الخاصة وأصبح ذكاؤهن منبع شر خطير لهن ولرجالهن ، لأن الذكاء سلك فى سيره طريقا بعيدا عن عوامل الخير ، فأمست أحداث الأيام وطرق التفكير فيها وما

يسمونه بالواجبات ، أمسى ذلك كله مصبوغاً أمام أنظارهن بصبغة الشر من مبدئه إلى منتهاه ، وصرن بذلك مجبولات على الشر ، لا تطيب لهن الحياة إذا كانت صافية الاهاب بعيدة عن الأذى والأضرار والسباب . ويقيني أنه يعسر على الشارع أن يستوعب أسباب الخلاف فى مثل هذه الطبقة أو يؤكد أى الفريقين النساء . أم الرجال . تقع عليه تبعة الطلاق والشقاق أكثر من غيره . ولكثرة الطلاق لدى هذه الطبقة آثار سيئة تنخر فى عظام الهيئة الاجتماعية بأسرها ، وذلك لأن الأطفال يتربون بعيداً إما عن رعاية الوالد وإما عن حنان الأم . وينشئون من نعومة أظفارهم وهم ينظرون إلى الدنيا كأنها موطن شقاق ونزاع، وخيانة وخداع ، لما يقع تحت سمعهم وبصرهم كلما رحلوا إلى منزل الأب وزوجته الجديدة ، أو ارتحلوا عن منزل الأم وزوجها الجديد . وتربية هذا وصفها لا تخرج إلى المجتمع سوى كبار العابثين بنظامه . وبيئة تعمل فيها عوامل الجهل والفاقة وسوء التربية لا بد أن تكون بينها وبين الطبقات الاخرى فرق لا يستهان به فى العادات والاعتبارات ، وحتى فى أساليب التخاطب والتعبير عن الأغراض ، وهى مظهر ما فى النفس من أدب ودعة ، أو جفاء وضعة . فاذا آثر شخص أن يتزوج من طبقة هذه أحوالها بصفة عامة فارضاً أن هذه الزوجة التى سينهض بها من درك الفاقة وسفه الطباع إلى مراقى الغنى ومواطن الآداب ستحفظ له فى قرارة نفسها هذا الصنيع وتحنو عليه حنو الأم على الرضيع . فهذا الشخص لن يجنى من هذا التصرف سوى الاخفاق التام ، لأن كلا من الزوجين سيعاشر الآخر ولكنه لن يستطيع أن يعامله إلا عن طريق القياس على ما فى ذهنه من صور الواجبات نحو الزواج والأسرة والمعاشرة .

ومن العسير أن تنتقل الأغراض والنيات التى ينويها الرجل إلى ذهن المرأة بكامل صورها مهما استخدم فى ذلك ليناً أو شدة ، طالما كانت وجهات النظر من المسائل المحجوبة داخل عقل صاحبها وقد أقيم هيكلها من تاريخ

الشخص الوراثى ومن المؤثرات التى اكتنفته منذ حداثة عهده بالحياة ومن ينشأ على الصغار والضعة وفحش القول يسىء الظن بالحياة وبالناس أجمع. فاذا انتشله من وهدته منتشل لم يرع له ذلك الجميل بل يذهب فى نواحى تفكيره إلى أن هذا العمل ليس إنسانيا محضاً بالغا ما بلغت حقائقه، وإنما يطوى تحته غرضا دفينا من الأغراض الشخصية. وما حكم بذلك إلا قياسا على ما عنده من القواعد الراسخة فى أعماق ضميره وليس من ناحية التفكير الحر الصائب فذلك لا يقوى عليه إلا كبار المتعلمين.

إن المثل القائل «اتق شر من أحسنت إليه» يُرى جلياً عند هؤلاء الناس فكثيراً ماترى التى يسوقها الحظ من الطبقات الفقيرة إلى نيل نعمة بشكل من الأشكال تنقلب بشعورها ضد من أسدى إليها هذه النعمة تغطية للموقف ونفوراً من الاعتراف بحقيقة ذلها وضعفها ثم تصبغ هذه المكابرة بصبغة عملية فترية بعد إذ أصبحت ترفل فى النعم أنها ليست حديثة العهد بالنعم وإنما هى ربيبة بيت النعيم وترى جيرانها أنها هى العظيمة وترى رفيقاتها السابقات أنها علت عليهن كثيراً. وحتى قد يمتد طيشها إلى حمى والديها فتتجاهلهما قليلا. كل ذلك تنزع إلى إثباته ظلما للحقيقة وطمعا فى المزيد ولما كانت تشعر شعوراً خفيا أن هؤلاء جميعا على علم تام بأصلها وأنه ليس ثمت مايبرر ذلك الادعاء فى نظرهن تبادر إلى ملء تلك الثغرة باستعمال القوة ولكن ماذا تملك من أنواع القوى؟ إنها تتكبر وتظهر العظمة والغطرسة فتمد يدها بتكلف، وتخرج الألفاظ بشدة، وتنأى بجانبها عن بعض الناس. فاذا آنست منهن حسداً لها وأسمعنها مالا تطيقه راحت تتواضع قليلا وتظهر لرفيقاتها أنها هى التى هبطت ولم ترتفع، وهى التى تعبت ولم تسترح، ثم تسوق لهن البراهين على ذلك بأن تحكى لهن أخباراً كاذبة عن زوجها وأحواله، وتشكو منه مر الشكوى توهما منها أن ذلك يحمل السامعات على تصديقها وإنهاء غيرتهن منها ومحو صورة ماضيها من لوحة ذاكرتهن ونقش صورة جديدة

ناصعة البياض، ولكن هيهات أن يتحقق حدسها فتجد المخاصمات والمنازعات والدسائس متواصلة لاسبيل إلى إيقافها عند حد وويل لمن يقع تحت سلطة رجل من غمار هذه الطبقة المحرومة من التهذيب والتعليم أعطى رياسة من نوع ما كبعض العساكر والخفراء فانه يلاقى تحكما وجفاء وصلفا وسبب ذلك نزعة فى النفس شبيهة بما وصفت آنفا فى نسائهم ومن هذه الطبقة يؤخذ الخدم إلى بيوت الأغنياء ويعهد اليهم بملاحظة الأطفال والعناية بهم، وهذا العمل هو أحد الأسباب الكبرى لتسرب فساد التربية إلى كثير من أولاد الكبراء.

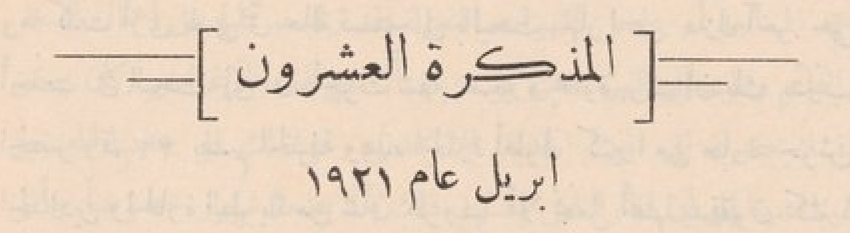
المرأة الثيب :

يطلق الناس على البنت أنها عذراء ، ويعنون بذلك أنه لم يدخل بها رجل ما ، ويعتبرون ليلة الزفاف أنها الليلة الفاصلة بين عهدين مختلفين، والواقع أن المسألة الجسمية وحدها لا تكفى لانتقال البنت من عهد إلى آخر ، فاذا رأيت بنتا عذراء دخل بها زوج ثم حدث أن مات هذا الزوج بعد يومين فان البنت تبقى فى الحقيقة والجوهر عذراء رغم أنها فى الظاهر ومن الوجهة الجسمية أصبحت ثيبا لأن المعوّل الأكبر هو على ما يتركه الزواج فى نفس البنت من الآثار التى تغير كيفية تصورها للمعقولات وتفسيرها للحوادث وتعدل من طباعها وعاداتها وقوة صبرها وتحمل بعدها عن أقاربها واندماج شخصيتها فى شخصية فرد آخر وكل ذلك يستلزم وقتا طويلا حتى يتم ازدهاره ، وتفصيل ذلك أن البنت حين تعاشر أول رجل معاشرة طويلة وتبادله سراءه وضراءه تتأثر به تأثرا شديدا وينطبع فى نفسها كل ما تراه منه من أخلاق وعادات وتفسير للأمور وظروف تحيط به وبأهله جميعا فلا تلبث حتى تقيس بغير أن تشعر كل الرجال وكل الأحوال على المقياس الذى دارت حوله معيشتها مع أول زوج لها إن خيرا فخير

وإن شرا فشر ، وبخاصة إذا كانت هى صغيرة السن سهلة الانقياد وكان هو أكبر منها سنا وأوسع خبرة وهذا القالب الجديد الذى يصب فيه عقلها هو الذى يخطو بها حقيقة من مرحلة البكارة والطهارة إلى مرحلة التثيب ذات اللون والمشرب والذوق الخاص . فاذا حدث أن كان الزوج الأول فظا غليظ القلب جاهلا فاسقا ، ثم طلقت منه فانه اذا تزوج بها بعد ذلك نبى من الأنبياء فلن تستطيع جاهدة ما جهدت أن تنزع من نفسها تلك الخيالات والاعتبارات الأولى التى أصبحت لها كالقاموس يرجع إليه اللغوى كلما استبهم عليه الكلام ، بل أشد من ذلك لأنها سرت فى مجموعها العصبى واحتلت خلايا المخ فهى تنبض فيها مع الدماء سواء بسواء وستقيس كل التصرفات التى تنالها من زوجها الجديد ومن جميع أقاربه وأصحابه بما كان ينالها سابقا من زوجها الأول وستكون مخطئة أرادت أو لم ترد وسيجد زوجها الجديد نفسه بغتة حيال تأويلات ما أنزل الله بها من سلطان دون أن يتنبه لمنشأ ذلك وحيال منغصات ومثيرات للعواطف ونكران للجميل يعتقد بينه وبين نفسه أنه برىء من ذلك كله أو أكثره ، وهذا الذى وصفته قد تخف وطأته أو يتلاشى بتاتا من نفس المرأة إذا كان الزوج الأول شخصا مهذبا طيب الأرومة وترملت منه بسبب الوفاة لا غير ، ففى هذه الحالة لا تتولد فى نفسها الكراهية للحياة ولا يدب فى ذهنها سوء الظن حيال الرجال كافة .

والآن ليتصور القارىء مما ذكرته ماذا تكون حال المرأة الثيب إذا كانت من طبقة العامة ؟ فهذا هو ما تفضل الدهر علىّ به فى بعض أيام الاختفاء فلقد استطعت أن أتزوج وكنت قبل الزواج أبنى قصورا فى الهواء عن احتمال انتهاء أيام المتاعب والأمراض والوحدة وعن حلول البهجة والمساعدة والمعاونة فهل تحقق كل ذلك أو بعضه ؟ كلا ! فقد كان هناك فارق عظيم فى الأمانى والأغراض ووجهة النظر وكأن الزوج إذا

تعلم وجب أن تكون الزوجة أيضاً متعلمة وذلك ركن له اثر كبير فى المعاشرة ليكون هناك أمل فى حصول التفاهم والوفاق . دع عنك ما يجب أن يكمل معيشة الزوجين من الميول القلبية فان الأحوال التى كانت تكتنفنى لم تكن تعتبر ذلك نقصا إذا ما أعوزها وكان أهم ما أبحث عنه من وراء الزواج علاجا يشفى أعصابا قد أضنتها أحداث الأيام ومناظر عائلية تعمر طللا باليا قد أقفر منها وما كان أحوجنى إلى طائر السلام يرفرف بأجنحته فيملأ جوانب المنزل هدوءا وراحة ولكن بعد أن جربت الزواج من هذه الأسرة عرفت أنه شر قد أضيف إلى قائمة المتاعب التى لا تزال الأيام تتمخض عنها ولكنه شر لابد منه وكأنما الاختفاء كان اختفاء مع الأشغال الشاقة ! !



المذكرة العشرون

ابريل عام ١٩٢١

كانت وزارة عدلى يكن باشا فى أول عهدها على وفاق مع زعيم الأمة سعد زغلول باشا وقد وصل إلى حكومة مصر تبليغ من حكومة انكلترا لتأليف وفد رسمى لمفاوضة انكلترا فى أمر عقد معاهدة رسمية بين البلدين والغاء الحماية الباطلة فرأيت أن نشاط البوليس لابد أن يصيبه كلال فى مثل هذه الظروف ولو إلى حين وأنه لا ضرر والحالة هذه إذا بدأت أخرج من منزلى نهارا كل يوم ولو قليلا ولقد هممت بالخروج عند الساعة العاشرة صباحا

فى يوم من أيام هذا الشهر وما كدت أخطو بضع خطوات بعيـــدا عن الحارة حتى فوجئت بأمر خطير لم يكن يدور بخلدى إلى تلك اللحظة وذلك أن بصرى لم يستطع مواجهة نور الشمس الوهاج طويلا وسرعان ما أظلمت الدنيـا أمامى إذ ترقرق الدمع فى المقـل واختلطت صور الكائنات بعضهـا ببعض فعدت أدراجى إلى المنزل مسرعا ومن هــــذه اللحظة يبدأ تاريخ شعورى بضعف بصرى الذى لن أبرأ منه وتاريخ استعمالى لنظارات العيون ولا عجب فقـد مضى عشرون شهرا متتاليـة وأنا مقيم بمنزل حظه من النور قليل وأشعة الشمس تطوف على جدرانه ولا تدخل إلى فنائه وأنا لا أغادره إلا نادرا وفى جوف الليل .

خرجت ليلا واشتريت نظارة سوداء ومافتئت عندخروجى نهاراأضعها على عينى تارة وأبعدها تارة أخرى حتى قلت الدموع واستطعت التحديق فى الشمس يوما بعد آخر بغير نظارة حينما أريد ذلك واعتدت الخروج كل نهار نحو نصف ساعة أسير فى أثنائها متجولا فى شوارع قسم الخليفـــة وما كدت أرى نفسى فى حالة تسمح لى بالبحث نهارا عن منزل آخر حتى أخذت فى البحث إلى ان أجرت شقة صغيرة بحارة رشوان بك بدرب الحصر رقم ٢٦ بقسم الخليفة وهذه الحارة أطول كثيرا من حارة حوش الحدادين والحارة الطويلة من شأن ظروفها ألا تجعل أهلها يدققون كثيرا فى أحوال الساكن الجديد

المذكرة الواحدة والعشرون

مايو عام ١٩٢١

تم النقل الى المنزل الجديد فى أول يوم من الشهر وقد ودعنى معظم سكان الحارة الأولى آسفين على الفراق سائلين باهتمام عن عنوان المنزل الجديد ولم يكن فى وسعى إفادتهم بغير الحقيقة وكانت أم عطيه أكثر الناس اهتماما بالسؤال عن العنوان الجديد رغبة فى دوام العلاقات وخشية من حدوث أزمة بينها وبين زوجها فتلجأ إلى من بيده زمام الحب والكره كما تعتقد ولكنى وقد ابتعدت عن الحارة وما اشتهرت به فيها ورأيت أن فى وسعى أن أمضى ساعات طويلة نهارا خارج المنزل وذلك بالجلوس داخل أحد المساجد أو داخل القهوات المنعزلة فقد رغبت كلية عن أعمال السحر والتمائم وملت إلى التهرب من كل من يسأل عنى لهذه الأغراض وكان بعض النساء يحضرن الى المنزل الجديد فلا يجدننى وعلى ذلك قل عدد الحاضرين شيئا فشيئا إلى أن كاد الناس ينسون ذلك بعد بضعة شهور خصوصاً وأنى امتنعت بتاتا عن الأشارة الى هذه الأمور مع أى شخص فى الحارة الجديدة وظهرت بمظاهر أخرى سيأتى ذكرها .

حدث شقاق كبير بينى وبين زوجتى لم أر معه أفضل من طلاقها نهائيا وعلى ذلك استدعيت الشيخ على محمد الشبينى المأذون الشرعى الى منزلى فى يوم الاثنين ١٥ رمضان عام ١٣٣٩ الموافق ٢٣ مايو عام ١٩٢١ وتم الطلاق بشهادة اثنين من أصحاب المأذون .

(المذكرة الثانية والعشرون)

يونيو عام ١٩٢١

توسط أشخاص فى سبيل المصالحة بينى وبين زوجتى وحضر والدها الشيخ سيد ابراهيم إلى منزلى ليلا وألح فى الذهاب معه إلى منزل والدتها وعلى ذلك رافقته إلى ميدان السيدة زينب ومن ثم ركبنا قطار الترام رقم ٥ المتجه إلى عمره ، وكانت هذه أول مرة ركبت فيها الترام منذ بدء الاختفاء ، وقد طلبت إلى رفيق أن نجلس على المقعد الخلفى للترام ، فوافقنى ولم يهتم لمعرفة السبب ، ولكنى أردت بذلك أن تتجه وجوهنا إلى الشارع خلف الترام فلا يرانا أحد من الراكبين داخل العربة ، وقد نزلنا فى آخر محطة عمره واجتزنا الطريق مخترقين الكبرى السفلى إلى أن ذهبنا إلى المزارع خلف الكبرى . حيث الطريق الموصل إلى المنزل . وبعد أن اتفقنا على الصلح عدنا ثانية إلى منازلنا وركبت الترام مرة أخرى وكانت هذه الليلة فاتحة التشجيع على ركوب الترامـوايات فى غضون الشهور التالية ، وقد تم الغرض وعقد العقد ثانية بمنزلى بموجب قسيمة زواج تاريخها يوم الاثنين ٢٩ رمضان عام ١٣٣٩ الموافق ٦ يونيو رقم ٢٢ عملية الشيخ محمد اسماعيل المأذون الشرعى بقسم الخليفة .

يقع قبالة منزلى مباشرة منزل حسن افندى المعايرجى وهو من أعيان الجهة وله نجلان هما أمين افندى وأحمد افندى وهما طالبان بالمدارس الثانوية . ويلى هذا المنزل منزل الشيخ محمد عبد الغنى وهو مقرىء وطالب بالأزهر . وقد بدأت دائرة التعارف بينى وبين هؤلاء الجيران وغيرهم من

أهل الحارة تتسع فى هذا الشهر ، وتبادلت الزيارات مع كثيرين منهم وقد عرفونى أيضاً باسم الشيخ عبد اللطيف سليمان من الفيوم وعرفوا منى أننى حاصل على الشهادة الأهلية من الأزهر . ولما كان الشيخ محمد عبد الغنى هو وأقاربه من الفيوم فقد كثرت الزيارات بينى وبينه ودعانى والده وهو إمام مسجد التونجى بقسم الخليفة للتعرف بي وقضيت معه فى إحدى الليالى وقتاً طويلا كان يسألنى فى أثنائها عن أقاربى وأصحابى بالفيوم ، ولما كانت أمثال هذه الأسئلة مما كنت أتوقع أن توجه إلىّ منذ أول يوم الاختفاء ، فقد كانت الأجوبة عليها حاضرة فى ذهنى على الدوام ، وذلك أنى كنت أعرف أسماء كثيرين من أعيان مديرية الفيوم سبق أن اعتقلتهم السلطة العسكرية معى فى أيام الحرب العظمى ، وكان عالقاً بذهنى بعض أخبار عن المديرية منهم ، وزيادة على ذلك فقد اطلعت في إحدى ليالى خروجى وشرائى بعض الكتب من مكتبة بميدان السيدة زينب على كتاب الدليل المصرى وعرفت منه أسماء بعض شوارع الفيوم وأطبائها ومحاميها وتجارها وحفظت ذلك عن ظهر قلب ، ثم اخترت الأسماء التى تنتهى بألفاظ سليمان وجعلت أصحابها فى أثناء الاحاديث أنهم هم الاقارب . ومنهم شخص تاجر جلود كنت أذكر دائماً أنه ابن عمى . وكان كل ما ذكر فى الصحف فى العام الماضى خاصاً بالفيوم وأسماء أعيانها وموظفيها والمتوفين بها والحوادث التى وقعت فيها وأسماء بلاد المديرية ، كل ذلك كنت أعيه فى ذاكرتى حتى صارت لى معلومات واسعة النطاق عن المديرية التى نطق لسانى فى أول يوم فى أيام الاختفاء بالقاهرة بأنها موطنى وموطن أهلى بغير أن يكون لذلك سبب خاص سوى أنها إحدى مديريات الوجه القبلى القريبة ، ولم أكن رأيتها فى حياتى مطلقاً وبعد أن نطق لسانى باسم هذه المديرية دون غيرها وأصبحت معروفا بذلك بين الناس عملت على أن أعضد هذا المظهر بكل الأدلة المادية التى بوسعى أن أجمعها بين حين وآخر فكان ما ذكرته آنفاً من مصادر المعلومات هو منبع

الاجوبة التي كنت أجاوب بها ، وقد أقنعت أجوبتي كل السائلين بأنني من الفيوم حقاً ، وأصبحت بعد ذلك أتعامل مع الشيخ محمد عبد الغني ووالده على أساس أننا من بلدة واحدة (بلديات) .

المذكرة الثالثة والعشرون

يوليو عام ١٩٢١

كان كثير من الضيوف يزورون الشيخ محمد عبد الغني بمنزله وكنت أجلس أحيانا معهم حتى توثقت أخيرا عرى التعارف بيني وبينهم وأذكر منهم الشيخ محمود غالي المقرئ الشهير بحي طولون والشيخ محمد علي المهدي رئيس مدرسة النجاح الأولية الكائنة بالقرب من مسجد السيدة سكينة والشيخ حسين رمضان المدرس بالمدرسة المذكورة وآخرين غيرهم ، وكانت بعض المناسبات تثير المناقشة في مسائل فقهية ، ولما كنت حافظا لكثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وتفسيرها ، كنت أظهر عليهم أحيانا في أثناء الجدل والمناقشة وقد أدى ذلك حقا إلى الاعتقاد الراسخ عندهم بأني حاصل على الشهادة الأهلية من مشيخة الاسكندرية كما أشعت ذلك عن نفسي في فاتحة الأمر وقد أكسبني اعتقادهم هذا منزلة كبيرة في نظرهم ونقلت الأخبار عنهم إلى غيرهم حتى كانت لذلك نتائج عملية ساعدتني في بعض المراحل ، ومن ذلك أنه يوجد على رأس الحارة التي أسكن بها مسجد يقع بابه في شارع درب الحصر ولذلك المسجد إمام طاعن في السن ولا يزور المسجد إلا وقت صلاة الجمعة فقط واعتاد رواد المسجد كلما أذن

المؤذن فى الأوقات الأخرى أن يختاروا من الحاضرين من يتوسمون فيه الصلاح وحسن الأداء لتلاوة القرآن إماما ، أو ليتقدم من يتقدم للامامة والصلاة بهم وكنت أذهب أحيانا للصلاة فى هذا المسجد ، وحدث أن ذهبت مرة لتأدية صلاة المغرب وكان الشيخ محمد عبد الغنى حاضرا فى المسجد وكان المؤذن قد أشرف على الانتهاء من الأذان فلما رآنى الشيخ عبد الغنى برز من الصفوف ونادى بأعلى صوته ناحية وجودى وقال تفضل ياشيخ سليمان لا بد أن تصلى بنا وكان الباقون لا يعرفوننى ولكنهم مجاملة له أصروا هم أيضا على أن أتقدم ، وكانت ورطة . . . . ولكنى تقدمت وصليت بهم . وبعد الصلاة قدمنى الشيخ عبد الغنى إلى بعض الناس وذكر أمامهم أننى حاصل على الشهادة الأهلية فقابلنى السامعون بالاحترام ، وبعد هذه المرة إلى عدة شهور كنت أتردد على هذا المسجد فى أوقات الصلاة وأصلى بالناس وكان المؤذن أحيانا يؤذن ثم ينتظر الناس قليلا ريثما أحضر حتى التبس الأمر على من هو جديد فى أداء الصلاة بهذا المسجد واعتقد بعضهم أننى الامام الرسمى وكثيرا ما كنت أواجه بأسئلة فى أحكام الميراث والعبادات وكنت أجاوب الناس كأى عالم آخر وكانت لدىّ مراجع كثيرة فى المنزل بعضها مستعار من والد الشيخ عبد الغنى فاذا أعجزنى سؤال وعدت السائل بالاجابة فى الليلة القادمة وذلك بقولى له إن الآراء فى هذا الموضوع كثيرة ولكنى سأراجع لك إن شاءالله أحسنها وأفيدك عنها فى الليلة القادمة على أن ذلك كان نادرا حصوله . وكنت فى معظم الصلوات أختار السور القصيره تجنباً للخطأ أو النسيان .

كان الشيخ محمد عبد الغنى متقدماً لنيل الشهادة الاوليه من الازهر ولم ينجح فى الدور الاول وكان موقوفا فى علم الصرف ولرسوخ اعتقاده بأنى حاصل على الشهادة الأهلية طلب إلىّ أن يحضر عندى وقت استذكاره دروسه ولم يسعنى بطبيعة الحال سوى الترحيب باجابة طلبه ، وكنا نتزاور

لتأدية هذا الغرض ، وكان يقرأ أمامى أبياتاً شعرية وأنا أفسر له البيت بأن أحلله كلمة كلمة معنى ولفظاً ، فما ننتهى منه حتى يتضح معناه جلياً ويرسخ فى الذهن رسوخاً تاماً ، وإذا عجزت مرة عن معرفة معنى كلمة حملت ذلك على النسيان وراجعنا القاموس فيها أو أخذت منه كتابه وراجعته مراراً بنفسى حتى أهتدى إلى الصواب ويظهر أن هذه الطريقة فى التفهم والحفظ وقعت فى نفسه موقعاً حسناً ورآها طريقة طريفة فى التعلم تخالف مادرج عليه من استظهار الكلام دون تحليل ، فما يأتى على آخر الكلام حتى يكون قد نسى أوله . وكان يبتهج جداً للقانى فى كل مرة حين القراءة والحفظ ويعترف لى بأن الطريقة التى أنرت له سبيلها هى التى ستؤدى به إلي النجاح لا محالة .

ومن العجب أن والده مع كونه إمام مسجد ومتضلعاً فى اللغة كما ظهر لى ، فان ابنه ما كان يلجأ إليه بقدر ما كان يلجأ إلىّ ، وقد نجح فعلا فى الامتحان وحفظ لى هذا الجميل ، ويظهر أنه كان يمدحنى أمام والده ، فقد أتانى مرة وقال لى إن والدى يقول إنك ما دمت حاصلا على الشهادة الأهلية من المعاهد الدينية فهو ينصح لك أن تكتب إلى مشيخة الأزهر لترتب لك الجراية وهو على استعداد لمساعدتك فى هذا الشأن فشكرته وقلت له أنا والحمد لله فى غير حاجة إلى ذلك . وكانت الاقوال التى قلتها فى الحارة السابقة من أن والدتى قد توفيت وأنى ورثت عنها أربعة أفدنة وأجرتها بالفيوم وأنى أصرف من ريعها وأن والدى لايزال على قيد الحياة وهو من ذوى اليسار وصلت إلى هذه الحارة أيضاً من بعض معارفى فى الحارة السابقة وانتشرت فيها ، ولم أكن أحيد عن شىء منها إذا تهيأت لذلك فرصة الحديث عن الفيوم وبخاصة مع الشيخ محمد عبدالغنى . أما أخبار السحر والتمائم وأنى شيخ مبارك فقد وصلت أيضاً إلى مسامع الكثيرين فى هذه الحارة ولكن الاشاعة لم تكن قوية لانصرافى عن الكلام فى هذه الشئون ولتغيبى كثيراً عن الحارة .

(المذكرة الرابعة والعشرون)

أغسطس عام ١٩٢١

تعودت الخروج والتجوال فى الشوارع المختلفة بحى الخليفة كل ليلة تقريباً وقد ركبت الترام مرتين فى هذا الشهر من القلعة إلى الخازندار وعدت سريعاً وفى إحدى جولاتى فى شارع الامام الشافعى رأيت قهوة منعزلة يفتح بابها إلى الجهة البحرية فجلست بها وهى واقعة خلف سجن مصر وعلى مقربة من مسجد السيدة عائشة وصاحبها يدعى المعلم حسنين وقد تعودت بعد ذلك أن أختلف إليها كلما ذهبت صوب هذه الجهة وقد طاب لى الجلوس بها وسط البنائين والدفانين ولم يكن الحديث يدور إلا حول أخبار الموتى والحشيش والأفيون والتنباك والخمور وتصادف أن جلست أول مرة على مقربة من اثنين يتحادثان وما لبث الحديث أن شملنا نحن الثلاثة وكان أحدهما يسمى المعلم إبراهيم وهو دفان والآخر الشيخ سليمان وهو شحاذ يشحذ بالمبخرة وقد اتخذت هذين الشخصين فيما بعد الجليسين الخصوصيين لى وكان بالقهوة شاعر يحضر كل ليلة .

والقهاوى البلدية تغص ليلا بمن يسمونهم الشعراء ومع كل منهم ربابة وترية وضيعة يطلقون أنغامها فى الفضاء بتوقيعات خاصة طبقاً لما تستلزمه ظروف الأبطال الذين يقصون قصتهم على الجمهور بصوت جهورى وهؤلاء الشعراء يحفظون قصصاً عدة عن ظهر قلب وهى قصص خيالية سداها ولحمتها المبالغة والتكرار والتأكيد وهى أساليب تستهوى عقول العامة لعطل ملكة النقد لديهم ولذا تراها تحتل مكاناً رهيباً فى قلوبهم لايعتريه الشك من إحدى

جهاته وربما كان لهذه القصص أصل فى التاريخ العربى ولكنها مزجت بالكثير من المبالغة وصناعة التأثير .

وكم من مرة هبت ريح الخلاف فى قهوة المعلم حسنين وخيف على الأمن والسلام فيها بسبب عبارة تبدر من الشاعر ويختلف أساطين التاريخ فى القهوة فى صوابها فيوقف الشاعر عن العمل حتى يستفتى الشعراء الآخرون فى القهاوى المجاورة وبعد ذلك يصرح له بمتابعة السير فى عمله وقد يفاضل بين شاعر وآخر لا من حيث الصوت وحسن التوقيع وإنما من حيث عدم خروجه عن المعانى والألفاظ التى سبق لهم أن سمعوها من أجدادهم . وليس لهذه القصص أغراض تعليمية محددة بل لها تأثير سيئ متوارث منذ زمن بعيد وأرى أن نظام الفتوات السائد فى القاهرة والأقاليم ذلك النظام الذى يحث على أخذ الثأر باليد دون الالتجاء إلى القانون والامتناع عن أداء الشهادة بالمحاكم ضد أى متهم ابتغاء تبرئته ثم القصاص منه بعد ذلك بمعرفة أهل المجنى عليه أنفسهم وعدم الخيانة والغدر وقت المعارك بل قصر الأمر على الاعتداد بالقوة الجسمية مع استعمال العصا أو كل ما ليس بسلاح حاد واعتبار الغدر والضرب بالسكين دليل الضعف والجبن وكل الصفات والأحوال التى تسود حياة القبائل ونرى كثيراً منها سائداً أيضاً أحوال الفتوات بالقاهرة وكذا الاعتقاد بـ (اصرف ما فى الجيب يأتك ما فى الغيب)*

وبأن النجاح فى الحياة هو نتيجة المصادفات والحظوظ فقط لا غير. أقول إنه مع الاعتراف بأن هذه الفوضى هى من آثار حكم المماليك لمصر ومن آثار التفاسير الضعيفة لكثير من الآيات القرآنية تلك التفاسير التى

(*) يعتقد العامة أن تلك هى القاعدة الدينية وهذا خطأ فالله تعالى يقول (ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا) وتلك قاعدة اقتصادية جليلة ترمي إلى التمتع بالواقع مع الحذر والنظر إلي المستقبل البعيد

شجع عليها حكام ذوو اغراض فى الأيام الماضية بغية إخضاع الشعوب وانصرافها عن محاسبة الظالمين والمترفين ومن ولع الأمم إذا ضعفت وتأخرت بالتمسك بالأحاديث والأفكار الضعيفة والشاذة والموضوعة وجعل المقام الأول لها والنفور من كل الأقوال والحقائق التى تعود عليها بالقوة والعظمة وإهمالها إهمالا لأنها تكلفها مالم تعد لها طاقة به وكذلك من عدم الشعور بالاستقلال السياسى زمناً طويلا حتى ضعفت الشخصية والثقة بالنفس عند الأفراد . أقول إنه مع الاعتراف بذلك فانى أرى بجانبه أن المغزى الذى تتركه تلك القصص فى أذهان العامة له نصيب كبير فى إحداث هذه الفوضى وياحبذا لو أن الحكومة فحصت هذه القصص وتبينت مافيها من الأضرار الأدبية على العقول ووزعت على القهاوى البلدية قصصاً أخرى ترمى إلى أغراض عالية وتغذى الناس بأخبار صادقة لأبطال الحرب وزعماء الاصلاح على أن تكتب بأسلوب سهل وتلق على الناس بطريقة الشعر التمثيلى بين شخصين أو بطريقة العامة الحالية .

وهناك ملاحظة أخرى وهى أن الصحف تنشر يومياً بلاغات رسمية عن الجرائم وخلاصات غير رسمية عن القضايا الهامة ويقرؤها الناس ويستفيدون منها علماً وعظة ولكن هؤلاء الناس الذين يقرءون أخبار هذه القضايا والحوادث هم من المتعلمين الذين لا يقترفون غالباً أمثال هذه الجرائم الوضيعة . أما البيئات التى تقترف حقيقة هذه الجرائم والتى يخيل لأفرادها أن الاشتراك فى الجرائم من الأمور الهينة وأن الثقة والاتحاد بين أفراد العصابة سيظلان قويين على الدوام وأن المتفقين على قتل شحاذ واقتسام مافى جيبه بحيث ينال الفرد منهم فى النهاية عشرين قرشا بعد إلقاء جثة القتيل فى البحر سيكون الفوز حليفهم وأن الحيلة البسيطة التى يحيكون خيوطها ستقف حائلا منيعاً فى وجه البوليس يحول دون استخلاص الحقيقة. أقول إن أفراد هذه البيئة هم الذين يغشون القهاوى البلدية ليلا وهؤلاء لا يعرفون القراءة

والكتابة ولا يتصل بسمعهم شئ مطلقاً مما يكتب فى الصحف عن البلاغات الرسمية أو حيثيات الأحكام أو طرق اكتشاف الجرائم المختلفة وعلى ذلك فجهود البوليس والكتاب ضعيف الأثر ومما أراه واجباً على الحكومة أن توزع نشرات مكتوبة بأسهل الأساليب تحوى خلاصة أخبار الجرائم التى تقع فى البلاد ومبلغ مهارة البوليس وقوة بطشه وسوء أخلاق المجرمين الذين ارتكبوا هذه الجرائم مع شرح خيانة بعضهم لبعض واعتراف بعضهم على بعض وحيثيات الحكم لتقرأ هذه النشرات على العامة فى القهوات بوسيلة من الوسائل ومن المحقق أن أمثال هذه النشرات سيكون لها تأثير بليغ فى نفوسهم يردعهم عن ارتكاب كثير من الجرائم ويقوى فى نظرهم سلطة الحكومة وسيقبلون على سماع هذه الحكايات الحقيقية بشوق زائد .

وتربية العامة بطريق القصص له نتائج باهرة لأن النظريات إذا كانت مجردة عن إلباسها اللباس العملى تجردت ايضا عن أهم عنصر للتأثير في نفوس العامة فلو أنك ألقيت عليهم درساً فى فائدة الأمانة مثلا لذهبت الأقوال في النهاية أدراج الرياح ولكن لو حدثت حادثة أمانة كأن وجد رجل مبلغاً من المال فذهب يبحث عن صاحبه حتى رده إليه لتركت هذه الحكاية فى نفوس الكثيرين منهم أثراً حسناً يقتدى به وعلى ذلك تكون الحكايات الحقيقية أو التى يصدقون أنها حقيقية والأعمال التى يرونها بأعينهم هى القائد لهم والمرشد والمثال الذى يحتذى ومثل ذلك مثل المظاهرات عند تكوينها فان المظاهرة ربما تبدأ بعشرة أشخاص ثم لا تلبث حتى تصبح ألفاً ولا يبعد أن تبلغ عشرة آلاف بغير تعب ولا إجهاد سوى أن التجمهر والصيحات المقرونة بالحماسة ذلك المظهر الذى يمثل العلم المقرون بالعمل يدعو الناس إليه بل يرغمهم على الانضمام ولا يلبث الفرد الخائف حتى يرى نفسه طوع إرادة الجماهير بل ربما تطور وأصبح أشد من الجميع حماسة .

والعلماء الذين لهم صفة العمل بما يعلمون هم الذين يتأثرون بالنظريات أكثر من العمليات وهم الذين يعملون الواجب الذى يعتقدون أنه واجب سواء أعمل غيرهم به أم لم يعمل ولا تنال منهم مثبطات الهمم ولا يهمهم تكبد الخسارة فى سبيل ما يعتقدون . فهم مضحون ثابتون على التضحية ويبدءون بالمثال بأنفسهم ولا يقلدون غيرهم إلا عن اقتناع وهم زعماء فى أنفسهم وزعماء لغيرهم سواء أاعترف الناس لهم بذلك أم لم يعترفوا . والذين اندمجوا فى سلك تيار من التيارات ولم تكن صفة العمل بما توحى إليه نظريات هذا التيار من صفاتهم من قبل إذا ما هدأت سرعة هذا التيار قليلا اتهموا أنفسهم ولم يصدقوا أنها قامت بما قامت به وإذا رجعت بالذاكرة إلى ما لحظته أيام ثورة عام ١٩١٩ ذكرت أن مدينة المنصورة كانت تقوم بمظاهرات عظيمة ولكنهم إذا ما سكن الروع وهدأ الامر وأفاضوا فى الحديث عن وصف المظاهرات قالوا إنهم لم يقوموا بشىء يذكر بجانب ما قامت به مدينة طنطا فاذا ما ذهبت إلى مدينة طنطا حيث المظاهرات العظيمة أيضا وجدتهم يقولون إنهم لم يقوموا بشىء يذكر بجانب ما قامت به مدينة المنصورة وقد وجدت الأمر هكذا فى معظم بلاد القطر ومن هذا أستنتج علمياً أنه لو قامت حركة عامة أخرى فى المستقبل ستكون هذه الحركة أشد وأعظم هولا من الماضى لأن النفوس تستمد من ماضيها ما يسهل لها العمل بالنظريات مرة أخرى إذ قد لبست هذه النظريات فى الماضى القريب لباساً عملياً وأصبح لها حكايات عملية لا تزال تذكر فتهيم النفوس بحبها والاقتداء بها وعلى ذلك لا يتهم الناس فى المرة الثانية أنفسهم بالعجز عن القيام بالعمل بالنظريات ولا ينتظرون حتى ترد إليهم أنباء غيرهم . ويقع ذلك على شريطة أن تكون الحركات فى فترات متقاربة . أما إذا طال العهد بين حركة وأخرى فان من رأوا الحركة

الأولى يكونون من سكان القبور عند الحركة الثانية ويأتى جيل آخر لا يثق بنفسه فى القدرة على القيام بعمل ما ولذلك كانت سياسة الأمم المستعمرة هى المطل والتسويف والتخدير كى لا تتوالى الحوادث فينسى الناس أنهم قادرون على العمل ويعودون إلى اتهام أنفسهم بالعجز .

(المذكرة الخامسة والعشرون)

سبتمبر عام ١٩٢١

على رأس شارع الخليفة توجد مدرسة أولية خاضعة لتفتيش وزارة المعارف اسمها مدرسة النجاح لصاحبها ورئيسها الشيخ محمد على المهدى الذى تعرفت به منذ شهرين*. بهذه المدرسة مدرس اسمه الشيخ محمد خليل أصابه مرض خطير فى هذا الشهر استلزم نقله إلى مستشفى القصر العينى وظن لذلك أن شفاءه عسير فاقتضى الأمر البحث عن شخص يحل محله حتى يشفى فأرشدهم الشيخ محمد عبدالغنى عنى فخاطبنى رئيس المدرسة فى ذلك فرضيت وقمت بالعمل دون العلم بأنى أشتغل مؤقتاً . وبذهابى إلى المدرسة أصبحت لى أمام الناس صناعة معلومة وهى أنى مدرس بمدرسة وهذا ما كنت أتمناه وأعمل له على الدوام ولكنى بعد يومين رأيت نفسى قد زج بها فى مأزق

* شارع الخليفة هو الشارع الموجود به مسجد السيدة سكينة وتقع على رأسه مدرسة النجاح الأولية وقد تغير اسم المدرسة أخيراً فهو فى عام ١٩٣٦ (حسن كتخدا) ولايزال الشيخ المهدى هو نفسه الذى يدير المدرسة ولا يزال المكان هو بذاته

شديد الوطأة على صحتى وذلك أن حالتى قد تحولت فجأة فى ظرف يومين من حال إلى حال على طرفى نقيض فانه من سكون وهدوء منقطعى النظير يحيطان معيشتى الفردية مدة عامين لم يخرق فيهما ذلك السكون إلا بحادث الزواج وهو حادث أضاف إلى معيشتى فرداً واحداً لا أكثر ولا أقل إلى جو يعج عجيجاً بصراخ أطفال يستفز الحليم وضوضاء تضطرب منها نفس السليم.

آلمنى جداً هذا الانقلاب الفجائى ولكن رغبتى الشديدة فى الظهور أمام الناس بمظهر المدرس كانت العزاء لى من هذا العناء.

مضى على هذه الحال خمسة وعشرون يوماً وإذا بالمدرس الأول يشفى ويحضر إلى المدرسة مطالباً بوظيفته ولأول مرة أراه وأسمع منه وصف حالته التى يرثى لها وكأنه كان يتوقع منى نضالا طويلا فاذا بى أتخلى له عن المركز عن طيب خاطر ولما كنت أعلم من صاحب المدرسة أن له مدرسة أخرى للبنات كائنة بحارة البير أمام الباب القبلى لجامع طولون فقد أظهرت له أنى على أتم استعداد لمعاونته بالتدريس بمدرسة البنات بغير مقابل إذا كان فى حاجة إلى ذلك وأخبرته أنى والحمد لله ميسور الحال ولا أرغب إلا فى تمرين نفسى على هذه المهنة توطئة لفتح مدرسة فى المستقبل ببلدى الفيوم ولما كان الرجل يعلم عن طريق الشيخ محمد عبدالغنى أننى حقاً من الأغنياء فقد كان هذا الطلب فى نظره من الأمور المعقولة وسرعان ماأحالنى إلى مدرسة البنات مع تقليل ساعات العمل وكم انشرح صدرى لذلك إذ نلت أمنيتى وهى أنى صرت أمام الناس مدرسا أى صاحب صناعة وتخلصت فى الوقت نفسه من وطأة الضجة الثقيلة على سمعى وعصبى بتخفيفها إلى أقل حد ممكن وذلك بتقليل ساعات العمل وبالانتقال من التدريس للذكور إلى التدريس للاناث وهن أهدأ وأسلس قيادا.

كانت صاحبة المنزل الذى أسكن فيه مقيمة بالدور الأسفل فى نفس المنزل وقد شجر خلاف عنيف بينى وبينها فى أحد أيام هذا الشهر أدى إلى

تجمهر الناس أمام باب المنزل لملاينتنا ابتغاء تهدئة الحال . ولكنى لما رأيت الحشد قد أربى على ما كنت أنتظر ، أردت استغلال الظروف فعملت على استفحال الشر وانطلقت من بين الجمهور أجرى صوب الشارع العمومى لاستحضار البوليس ، وأنا على يقين فى خاصة نفسى أن الناس سيجدون فى أثرى ويحولون فى النهاية دون حضور أى فرد من البوليس لأنهم جميعاً من الجيران الذين تقضى عليهم العادات أن يتدخلوا بين المتنازعين لفض الخلاف في مثل هذه الظروف ، وكان ما توقعت ، وجرى الناس ورائى وأعادونى إلى منزلى موفور الكرامة . وبعد قليل هدأت الحال . وكان الذى يرانى ساعة الجرى لاحضار البوليس مهما كان قائما فى ذهنه من الظنون بأنى مختف عن أنظار البوليس سرعان ما تتبدد عنده هذه الظنون جميعاً وتنقلب رأساً على عقب ، وهذا ما كنت أرمى إليه . . .

[المذكرة السادسة والعشرون]

اكتوبر عام ١٩٢١

لم تتحسن أخلاق الزوجة عن ذى قبل منذ طلاقها الأول وردها ثانية كما كان مأمولا لأن طباع هذه الطبقة لا تلين بالطلاق ، وهو العادة المألوفة عندهم لسبب ولغير سبب ، ولا تتمنى المرأة لزوجها من أجل ذلك غنى وسعادة ، ولا تعمل على صيانة ما يتوفر له من النقود توهما منها أن فقره الدائم يضطره إلى الاحتياج إليها على الدوام . أما غناه فسيكون وسيلة لطلاقها منه وبحثه عن غيرها .

كثيراً ما هددت زوجتى بأنها إذا لم ترتدع فسيكون نصيبها كالمرة الأولى ولكنها بدلا من الاقلاع عن الشرور راحت تمعن فى الافساد بينى وبين الجيران ، وكانت المشاجرة بينى وبين صاحبة المنزل من آثار دسائسها . وأخيراً خيل إلى أنه أصبح فى الامكان الاستغناء بتاتاً عن أى أنيس لى بالمنزل ما دمت قد دخلت فى طور جديد وهو كثرة الخروج ليلا ونهارا ، وانتهى الرأى إلى أنه لا يوجد أفضل من أن أتخلص نهائياً من هذه الزوجة التى تستفز أعصابى بغير هوادة . فاستدعيت الشيخ محمد على الشبينى المأذون الشرعى إلى منزلى وتم الطلاق فى يوم الأربعاء الموافق ٣ صفرعام ١٣٤٠ هـ. و ٥ اكتوبر عام ١٩٢١ ورقم الدفتر ٨١٢٣ ورقم الصفحة ١٨ بشهادة كل من الشيخ محمد خليفه عمر خادم مسجد خوش قدم بشارع درب الحصر وسيد احمد اسماعيل الترزى الساكن بشارع القبر الطويل * . وقد خاطبنى والدها بعد ذلك فى أمر الصلح فلق منى إعراضا تاما وتصميما أكيدا على عدم تغيير موقفى خصوصا وكنت أعتقد أنها غير حامل . .

كرهت أن أبقى فى هذا المنزل لوجود وحشة فى الغرف عقب خلوها من الأشخاص والأثاث ، ورأيت أن تغيير الأمكنة فيه ترويح للنفس فبدأت أبحث عن منزل آخر ، وكان بحثا شاقا نظرا لأزمة المساكن وأخيرا عثرت على دور صغير ذى غرفتين بمنزل قريب من مسجد السيدة عائشة ، وكانت صاحبة المنزل امرأة عجوزا حررت لها عقد ايجارة من صورتين ابتداء من الشهر التالى ودفعت لها خمسين قرشا أجرة الشهر . وفى اليوم الثانى ذهبت لزيارة الشقة وفحص حالة الجيران . وفى أثناء الحديث مع صاحبة المنزل علمت منها أن الساكنين فى الدورين الأول والثالث من أهالى المنصورة ، وأن كثيرين من أهل بلدهم يزورونهم بين حين وآخر . فأظهرت لها أنى أريد أن أتعرف بهم حيث أنى أصبحت جارهم ، وكنت أعرف من الحديث

---

* وثيقة هذا الطلاق لاتزال موجودة إلى الآن بطرف صاحب المذكرات

أن الرجال موجودون خارج المنزل فى هـــذه اللحظة ، فوصفت لي دكان أحدهم وعلى ذلك قصدت إلى ذلك المحل ونظرت إليه نظرة عادية فاذا بداخله رجل ترزى من أهالى المنصورة بلدى أعرفه منذ أصغر عنـده أخذوه إلى القرعة العسكرية ولم يعد بعدها إلى البلد ، وكان الرجل منهمكا فى أعماله غير ملتفت إلى الطريق فانطلقت على الفور إلى مسكنى الحالى ولم أعد بعدها إلى الشقة المستأجرة حديثا وضاعت علىّ الخمسون قرشاً ، ولا أدرى كيف تصرفت صاحبة الدور فيه بعد ذلك . وكانت نتيجة هذه المصادفة أنى صرفت النظر عن البحث عن مسكن آخر وبقيت حيث كنت بعطفة رشوان بك بدرب الحصر .

احتاجت صاحبة المنزل إلى بيع منزلها فى الشهر وقد تم البيع فعلا إلى رجل يدعي بيومى حنفى جمعه وعلى أثر ذلك رحلت المرأة عن المنزل وحل المشترى الجديد محلها فى نفس الدور الأرضى للمنزل ومعه بعض أقاربه وقد أقام كل منهم مع زوجته وأولاده فى غرفة خاصة من الغرف الثلاث . والحالة الاقتصادية لفقراء العامة لا تدع لهم سبيلا لتكون نساؤهم من ذوات الحجاب كالطبقة الراقية والمتوسطة فى مدن مصر لأن مسكنهم لا يزيد عن غرفة واحدة فيها ينامون وفيها يأكلون وفيها يزورهم الزائرون وهذا المسكن المكون من الغرفة الواحدة هو الذى يضطر نساءهم ورجالهم حين الزيارة أن يجتمعوا ويتحادثوا جميعا فى مكان واحد وهذه العادة الاضطرارية هى التى تجعل نساءهم جميعاً سافرات ولا يستطيع العامة خلاف ذلك فاذا ذهبت نساء أحدهم تحتجب كان ذلك إعلانا للناس على أنه بدأيغتنى ولكن الدخول فى هذا الاحتجاب من الحوادث النادرة والغالب الأعم أن الذى يتسنى له من العامة أن يجمع مبلغا من المال ويشترى به منزلا يحتوى على غرف كثيرة فانه لا يشغل فيه أكثر من غرفة واحدة وتستمر حياته كما كانت من

قبل ولا يعمد إلى إصلاحها وهذا يرجع الى بعض خرافاتهم القائمة فى سبيل الاصلاح الاجتماعى فى مصر . كان للشيخ محمد المهدى صاحب المدرسة التى لاأزال أزورها نهارا للتدريس للتلميذات صديق من كبار موظفى ادارة الامن العام اسمه احمد بك صبرى ومنزله بشارع طولون رقم ٤٧ وكان الشيخ المهدى يتردد كثيرا على منزله وفى ليلة من ليالى هذا الشهر أخذنى معه وقدمنى إليه باعتبارى صديقاً له ومدرسا عنده ومن أهالى الفيوم وقد زرت صبرى بك بمنزله بعد ذلك أكثر من عشرين مرة برفقة الشيخ المهدى والشيخ محمود غالى وغيرهما وكنا نمضى هزيعا من الليل فى سمر وكان حديث صبرى بك يتضمن أحيانا طرفا من أعماله حينما كان يلبس عمامة ويشتغل مع البوليس السرى فى البحث عن المجرمين العاديين والمجرمين السياسيين وذات مرة ذكر بعض اسماء أشخاص استطاعوا أن يفلتوا من أيدى الحكومة فى مدة الحرب وبعدها وذكر من ضمنهم اسم شكرى الكرداوى وكان مجرى الحديث يشير إلى أنه من الذين كلفوا بالبحث والقبض على هؤلاء ولم يكن يتبسط فى سرد مثل هذه الأخبار وإنما كان يشير إليها فى غضون الحديث إشارة مختصرة ويظهر أن الجالسين كانوا يعلمون شيئا عن أعماله السابقة والحاضرة ولذا كانوا يتبسمون ولا يسألون عنها كثيرا مما يدل على إلمامهم بها . أما أنا فكنت التزم الصمت عند ورود مثل هذه المسائل على ألسنتهم وكنت أقتصر على الابتسام والضحك حين يضحكون ولا اسال عن شئ مطلقا يمس هذه الأخبار لا فى حضوره ولا فى غيابه وكان صبرى بك أحيانا يتكلم معى عن هواء الفيوم وخصب أرضها ووفرة فواكهها وأنا أزيده علماً فى ذلك كأننى من صميم أهلها وكان من جراء دخولى إلى منزله أن بعض عساكر البوليس السرى الذين كانوا يروننى معه كانوا يهابوننى واذا ارادوا ان يسألوا عن شئ فى القهوات الواقعة فى شارع طولون التى كنت اجلس فيها احيانا كانوا يسألون غيرى ولا يسألوننى ومرة نهر احدهم بوليسا سريا لأنه تعمد ان يسألنى عن اخبار مظاهرات الأزهريين

(المذكرة السابعة والعشرون)

نوفمبر عام ١٩٢١

لقد كان العام الأول من أعوام الاختفاء أشد الأعوام قسوة على صحتى وعقلى إذ دفنت نفسى فيه حياً فى ذلك المنزل الذى كان كأنه سليل القبور، لا أنيس فيه يصرم حبل الصمت والسكون، ولا نافذة تصل ما انقطع من مناظر الكون، ولا أغيب عنه إلا لماما تحت ستر من ظلام الليل، فكانت الصدمة العصبية من أجل ذلك شديدة قوية ليست كتلك التى تزول بزوال السبب، وحلول زمن أغدو فيه وأروح بغير تعب، وإنما آثارها السيئة التى تولدت فى ظرف عام من الأعوام لا تنجاب عن الجسم فى مثل ذلك الظرف من الزمن بل تحتاج إلى شطر من العمر طويل حتى تهدأ الأعصاب وتعود المياه إلى مجاريها إن كان ثمت من عود.

كذلك كان الحال فان زيادة عدد مرات خروجى من المنزل ليلا ونهارا واختلاطى ببعض الناس وحضورى بعض الاجتماعات لم يكن فى وسع ذلك كله أن يسرى عن النفس إلا قسطا ضئيلا مما هى فيه من كدود، ولا أنفك فى حاجة شديدة إلى رفيق يحادثنى ويخدمنى فى كل وقت ومابرحت أنفر من الوحدة وأفر منها فرارا. فلما طلقت الزوجة ورحلت عنى بقضها وقضيضها واستأنفت ثانية حياة العزلة والصمت الرهيب داخل المنزل لم يتسع صدرى لذلك مرة أخرى كما كنت أرجو وإنما تجسمت الحقيقة الواقعة أمامى، وهى أن دور الاستشفاء مما ألم بأعصابى من جراء الوحدة فى أول عام من أعوام الاختفاء سيطول أمده ورأيت شبح الزواج مرة أخرى يلوح لى فى الأفق أنه الحل

الوحيد والشر الذى لا مفر منه . على أننى كنت فى هذه المرة أملك شيئاً من حرية الاختيار وكانت العائلات أمامى كثيرة ، وكان لى أن أقبل ولى أن أرفض . فتكلمت فى الامر مع الشيخ محمد على المهدى ، وكان الرجل يعد تدريسى معه فى مدرسته واهتمامى بشئونه بغير مقابل مدة طويلة دليلا على أننى ميسور الحال وعلى أننى جدير بأن أخدم كما صرح لى بذلك ، فلما علم منى أن الزواج أمر يهمنى نفاذه بأقرب فرصة أخذ على عاتقه أن يقابل الجميل بمثله ويتمم لى هذه الخدمة فراح يجوب الأرض ليبحث لى عما يرضينى فخاطب كثيرين واتسعت دائرة الحديث والتساؤل عن أسرتى وبلدى فلما رأيت ذلك خفت العواقب وخشيت أن يؤدى حسن نيته هذا إلى نتيجة سيئة لايشعر هو بها الآن فأشعت أن الاتفاق انتهى مع أحد الجيران فلما سمع بهذه الاشاعة سألنى عنها فأكدت صحتها فكف الرجل عن البحث وأظهر سروره لانتهاء المسألة على وجه يرضينى وقال إن هذا هو كل مايتمناه ولكننى عرفت من نتيجة هذه الحركة أنه لايزال من العسير أن أتزوج من عائلة لها مكانة لضرورة مواجهتى بوابل من الأسئلة قبل إتمام الزواج وأن الزوجة إذا كانت بكرا فستعمل لها بلا ريب كل الحفلات المعتاد إقامتها فى الأفراح وهذا يستلزم نفقات لاقبل لى بها وستضطرنى الظروف إلى الظهور بمظهر قد يحمل فى طياته خطرا بوجه من الوجوه فرأيت أن الأفضل لى هو عدم التخاطب فى شأن الزواج إلا مع العائلات التى تم التعارف بينى وبينها فى مدى السنتين السابقتين وصار عندهم من العقائد والأخبار والاشاعات الحسنة عنى مايكفل لى منهم عدم الحاجة إلى زيادة البحث عن أحوالى وأقاربى وهؤلاء هم سكان الحارة الأولى التى سكنت بها وكذلك جل سكان الحارة الثانية التى انتقلت إليها وصار لهم من المعلومات التى استقوها من الحارة الأولى مايحثهم على تقديم أية مساعدة لى من هذا القبيل دون أن يروا أنفسهم فى حاجة إلى استيعاب أخبار جديدة وعلى ذلك بدأت بسؤال أصحاب

المنزل الذى أسكن فيه فأمهلونى يومين ثم أفادونى بأن لهم بنتا ثيبا تقيم الآن بمركز البدارى بمديرية أسيوط ويمكن استدعاؤها على عجل إذا اتفقت معهم على ذلك وأخيرا اتفقت معهم وحضرت البنت

وفى مساء يوم الأحد الموافق ٦ ربيع أول عام ١٣٤٠ و ٦ نوفمبر عام ١٩٢١ حضر الشيخ على محمد الشبينى المأذون الشرعى إلى منزلى وحضر قليل من خاصة أصحابى بينهم الشيخ محمد عبد الغنى ثم حضر على الأثر أهل العروس وكنت أظنهم فئة قليلة فاذا بالعدد الجم من عراة الرءوس وحفاة الأقدام يتسابقون إلى الدخول الواحد قبل الآخر وكلهم من سكان الوجه القبلى وبأيديهم العصى الغليظة والشرر يتطاير من أعين أكثرهم شاهدا على ما بينهم من خلاف خطير لا أدرى له سرا ولم يكن له من قبل نذير وما كاد عقد اجتماعهم يكتمل حتى رأيت الغرفة قد اكتظت رغم سعتها حتى لم يعد بها موضع لقدم وكان بينهم عسكريان يمتان إليهم بصلة القرابة وإثنان على وجهيهما سيما اليسار هما الحاج حجازى صالح صاحب المخبز الشهير بقسم الخليفة وأخوه والباقون من عامة الناس وقبل أن تزول دهشتى كان الجدل قد أمطرهم صيباً من سمائه فيه برق التهديد ورعد الوعيد وأنا وسط هذا البحران لاأدرى قبيلى من دبيرى ولا سبيل إلى استخلاص الخبر من أشواك الاضطراب والتراشق بالسباب وأخيرا عرفت أن بينهم رجلا من أقاربهم كان يعقد النية على الزواج بهذه البنت ولكنه لايملك شروى نقير فلما أثيرت مسألة زواجها بى وأنا غريب لايعلمون من أمرى شيئا على سبيل اليقين انقسم القوم إلى فريقين فريق يحبذ لاعتقاده بغناى وآخر يلوم ويهدد وعلا الصياح واستحكمت حلقات الخلاف فما كان منى إزاء ذلك إلا أن انسللت من بينهم وخرجت إلى الطريق وتمنيت لو أسدل الستار نهائيا على هذا الزواج وانفض ختامه بسلام ولكن حدث فى غيبتى أن انبرى الشيخ محمد عبدالغنى الذى يعرفه القراء وهو من أهالى الفيوم وعلى ثقة كبيرة بأنى أيضا من أهالى

الفيوم مثله إلى حزب المعارضة يساعده المأذون الشرعى من طرف خفى نظرا لمصلحته فى إتمام هذا العقد كى لايضيع عليه أجره وقال لهم بصوت عال إن الشيخ سليمان من أعيان الفيوم وهى بلدتى أيضا وأنا أعرفه حق المعرفة وإنه لوأراد أن يصاهر أية أسرة من أسرات الفيوم لما ترددت واحدة منها فى هذا الأمر فلما أن سمع القوم هذا الكلام القوى الحجة قال أكثرهم لقد شهد شاهد من أهل بلده يعرفه حق المعرفة وسرعان ماأصاب سهم هذه الكلمات نحر الشقاق وقطعت جهيزة قول كل خطيب.

وقام أكثرهم مسرعاً فى طلبى حيثما ذهبت وأبرقت أسارير وجهى رمضان علام شقيق العروس ومحمد حسن زوج والدتها اللذين كانا محامى الدفاع عنى لأنهما كانا يسكنان معى فى المنزل ويعتقدان أنهما على علم تام بأحوالى ولحق بى فريق منهم وسد علىّ الطريق وأعادونى وأنا متثاقل الخطى متقبلا الاعتذارات الحارة التى تزج إلىّ يمينا ويساراً وأخيراً عقد العقد بموجب وثيقة زواج رقم دفترها ١٢٢٤ ورقم الصفحة ٢ بشهادة محمدحسن وبيومى حنفى* ودخلت بالعروس فى ذات الليلة لأن الصداق كان مدفوعا منذ الصباح وكان شقيقها رمضان وقريبها محمد حسن قد اشتريا كل مايلزم من قبل ونقلاه إلى شقتى رغم أنهما كانا يتوقعان مثل هذا الخلاف الذى دب دبيبه فى المساء بغير أن يشير إلىّ بشىء من مخاوفه مطلقا وكان كلامى عن نفسى وتمثيلى لحركاتى قد خلبا عقليهما وأوجد لهما خيالا واسعا وآمالا طويلة فيما لو تمت تلك الصفقة فعقدا فى سرهما كل عزم على أن يجتازا بالقافلة سالمة رغم كل المخاطر وكان من أجل ذلك أن حمى وطيس الخلاف ثم انتهت المعركة على مايشتهيان ...

---

* وثيقة عقد هذا الزواج لاتزال موجودة إلى الآن بطرف صاحب المذكرات

المذكرة الثامنة والعشرون

ديسمبر عام ١٩٢١

كان الشيخ بهى ابراهيم طبانه وهو أحد مفتشى التعليم الأولى بوزارة المعارف يفتش على أعمالى بمدرسة البنات الأولية ويكتب اسمى وهو الشيخ عبد اللطيف سليمان ضمن تقارير التفتيش ، وكان لهذا المفتش رأى خاص وهو أن معلم مدرسة البنات يجب أن يكون من النساء لا من الرجال . فلما انتهي من التفتيش فى هذا الشهر كرر على ناظر المدرسة رغبته التى أبداها سابقاً ، وهى ضرورة البحث عن معلمة بدلا من معلم ، ولكن ناظر المدرسة لم تكن له رغبة صادقة فى تنفيذ هذه الفكرة لأنه لا يدفع لى راتباً وطفق يعتذر عن ذلك حتى حضر المفتش فى هذا الشهر وأصر على تنفيذ الرغبة المذكورة ، فاضطر الناظر إلى البحث سريعاً عن معلمة وأرسل إليّ من يشرح لى الموقف . فلما عرفت ذلك تنحيت عن العمل من تلقاء نفسى ، وعلى ذلك دعانى الناظر ليلا وأقام بمنزله حفلة صغيرة وقام وشكرني بين الحاضرين على ما بذلته من الجهد مدة أربعة شهور دون مقابل وتمنى دوام الزيارات . ثم ذكر أنه توجد مدرسة أولية كائنة خلف مسجد السيدة سكينة بجوار حارة الكرداوى * معروضة للمبيع ، وأنه على استعداد تام

---

* حارة الكرداوى هذه هى حارة صغيرةواقعة خلف مسجد السيدة سكينة سميت باسم عمى المرحوم اليوزباشى على افندى الكرداوى حينما كان ياوراً خاصاً لعرابى باشا وكان يسكن بها وله أملاك فيها وكنت أسمع بها وأنا صغير ولكن لم أكن أعرف مكانها بالضبط فلما سكنت بحارة رشوان بك فوجئت بقراءة لقبي على لوحة إحدى الحارات التى تلتصق بحارة رشوان بك من الخلف . والغريب فى أثناء الحفلة التى أقامها الشيخ المهدى ناظر المدرسة أنه حينما أراد ذكر مكان المدرسة التى يريد أن أشتريها لنفسي خاصة أسرع اسم الكرداوى إلى لسانه دون سائر أسماء الحارات المجاورة للمدرسة أيضاً فذكره وأنا الوحيد طبعاً دون باقى الحاضرين الذى أعرف مكان النكتة غير المقصودة .

للتوسط بيني وبين صاحبها لشرائها باسمى فاذا وافقت على ذلك وجدت منه المرشد الأمين حتى تنهض المدرسة نهوضا كبيرا . فشكرته على ذلك وقلت إن فتح المدرسة سيكون فى بلدتى الفيوم بدلا من القاهرة وذلك عند ما تنتهى بعض المشاغل العائلية وأننى لن أنسى تلك الأيام السعيدة التى قضيتها معه ، ثم أطربنا أحد الاخوان وانتهت الحفلة على ذلك * .

المذكرة التاسعة والعشرون

يناير عام ١٩٢٢

بعد تركى الاشتغال بالمدرسة كنت حريصاً على استبقاء سمعتى كمدرس عند من لا يدرى أننى انقطعت عن المدرسة . فكنت لذلك أمضى سهرتى كثيرا مع الشيخ المهدى وأصحابه فى القهوة ، وطالما أخذونى معهم إلى بعض الأفراح ، فكنت أذهب وأجلس بجوار دكة الفقهاء لأن الشيخ المهدى من الفقهاء المشهورين بقسم الخليفة ومن زملاء الشيخ غالى فى إحياء الليالى بقراءة القرآن والمولد ، وذلك علاوة على أعماله فى مدرستيه نهاراً . وكان الشيخ المهدى إذا قدمنى لأحد إخوانه ذكر له بمجاملة أنى مدرس . ولكننى لما كنت لا أذهب إلى مدرسته نهاراً كنت دائم التفكير فى اختيار عمل حقيق أشتغل به أمام الناس حتى إذا سئلت لسبب ما عن صناعتى أجبت عنها ، وكانت الاجابة حقيقية . وكنت أمضى أوقاتي نهاراً إما فى المسجد أو القهوة وأخيراً أكثرت من الجلوس عند رجل صانع أحذية بدكانه الصغير الواقع

---

* اقرأ فى ذيل الكتاب تقريراً مقدماً من الشيخ محمد على المهدى بخط يده وهو منقول الى الكتاب بالزنكغراف

بشارع درب الحصر أمام جامع خوش قدم واسمه الاسطى محمد عونى وكان إمام المسجد المذكور يجلس معنا كثيراً واسمه الشيخ عبد الرازق الشرقاوى من بلقاس بمديرية الغربية .

لم أكن أتقن لفة عمامتى وقد لحظ ذلك الشيخ محمد عبدالغنى فسألنى عن سبب عدم الحذق فى لف العمامة فأفدته بأنى حينما كنت بالأزهر لم أكن أتعمم إلا على طاقية وكان الشال لذلك السبب يلف حيثما اتفق أما الآن وقد بدأت أن أتعمم على طربوش عمامة فاننى أرجوه أن يتكرم بتعليمى الطريقة الحسنة لذلك فكان يأخذ عمامتى ويلفها لفاً حسناً ويعلمنى كيفية ذلك حتى حذقته .

كثرت زياراتى لأنجال حسن افندى المعايرجى فى منزلهم وكان أحمد يتكلم كثيراً بالانكليزية أمامى مع أخيه أمين مفتخراً بأنه يعرف اللغة الأجنبية أما الواقف معهما فهو أزهرى لايعرفها وكان يسبنى بالانكليزية ثم يضحكان فأقول له (اللى عطاك يعطينا ياسى أحمد)

[المذكرة الثلاثون]

فبراير عام ١٩٢٢

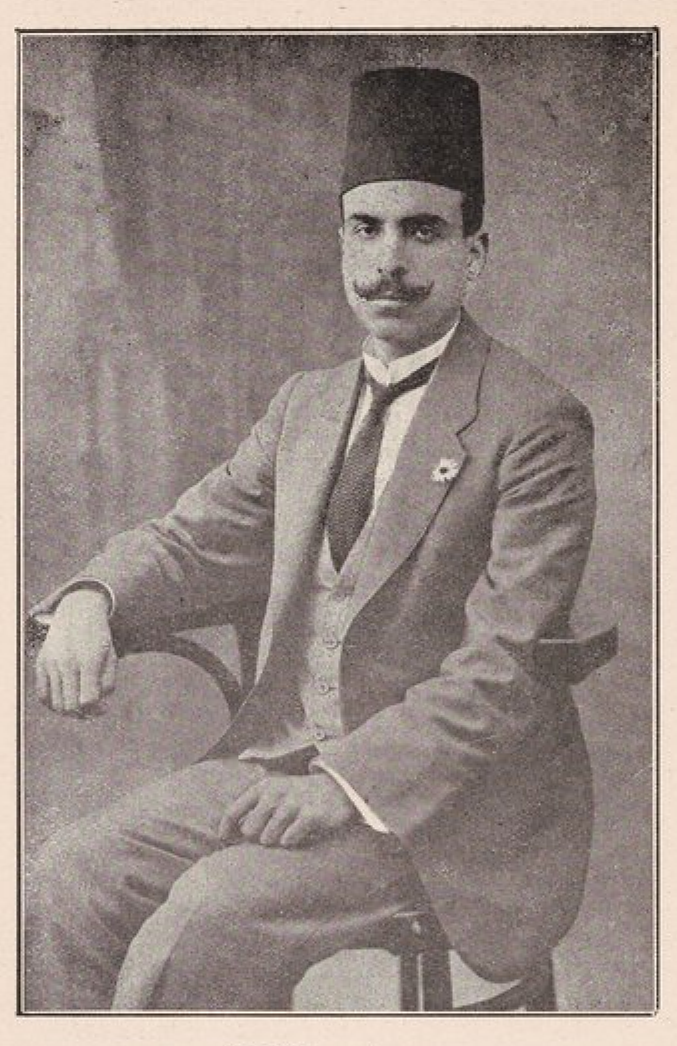
فوجئت فى هذا الشهر بخبر تكدرت من أجله كثيراً وذلك أن الزوجة الأولى التى طلقتها ظهرت عليها علامات الحمل وأنها الآن فى شهرها السابع وكانت الزوجة الثانية قد حملت فى أوائل أيامها فكثرت هواجسى ولكنى



صورة الشيخ عبد اللطيف سليمان (صاحب المذكرات)

صورت فى يوم ١٦ فبراير عام ١٩٢٢

انظر (ص ١٤٧)



صورة صاحب المذكرات

صورت فى يوم ١٨ مايو عام ١٩١٩
قبل حادث الاختفاء بثلاثة أشهر وهى التى طبعت منها وزارة
الداخلية ثلاثة آلاف صورة ووزعتها فى أنحاء البلاد كافة
لغرض البحث عنه بموجبها

كتمت الخبر عن الزوجة الثانية أشد كتمان وذهبت إلى غمرة لزيارة الزوجة المطلقة فتأكدت من صدق الخبر.

أكثرت من الجلوس بدكان محمد عونى صانع الأحذية كما أكثرت من السير فى الشوارع ليلا ونهارا فى حى السيدة زينب والخليفة ولم أعد أخشى من الخروج شيئاً بعد أن ذهبت مرارا على قدمى إلى باب الخلق وسرت طويلا فى جنازة الطلبة المصريين الذين قتلوا فى حادث تصادم قطار بآخر فى إيطاليا وكنت أحلق ذقنى فى ذلك الوقت وأسير إما بزى شيخ وإما بطاقية خضراء وبالطو أسود قديم كأحد العمال.

وفى يوم ١٦ من الشهر كنت سائراً صباحاً فى شارع البغالة متشحاً بزى شيخ ومرتدياً نفس العباءة والكوفية اللتين أهدتهما لى أم عطية التى ورد ذكرها فى المذكرة التاسعة ولم أكن ألبس العباءة والكوفية إلا قليلا ولذا بقيا عندى زمناً طويلا وبينما أنا سائر إذ رأيت أحد المصورين الذين يسيرون فى الشوارع حاملين آلة تصوير على أكتافهم ليصوروا بها وسعر الصورة قرشان واقفاً فى عطفة صغيرة فتقدمت إليه والتقط صورتى وها هى ذى أقدمها لحضرات القراء كأنفس تذكار عندى من هذا العهد.

ويلاحظ أننى كنت واقفاً على باب دكان مقفل وكان اليوم ممطراً فى الصباح ولذا بقيت آثار المطر على مصراع باب الدكان على يمينى ويشاهد ذلك جيداً فى الصورة على يسار الناظر اليها وكان المصور معلقاً قطعة من القماش على الباب المقفل.

[المذكرة الواحدة والثلاثون]

مارس عام ١٩٢٢

لما تزوجت الزوجة الثانية كنت أسكن فى شقة مكونة من غرفتين وصالة صغيرة بينهما وحدث بعد الزواج أن قابلنى محمد حسن وأعرب لى عن رغبته فى الاقامة هو وزوجته وأولاده فى أحدى الغرفتين فرضيت وبذلك تسنى له أن يمضى جل أوقات فراغه فى غرفتى إما بالحديث وإما بلعب (الكتشينة) وهو بذلك يعمل جاهداً على توثيق صلات الصداقة بينى وبينه، ولقد تصاحبنا دون باقى رجال الأسرة ، وأفضى كل منا إلى الآخر بحديث طويل ولكل منا غرض يرمى إليه من وراء ستار . أما أغراضى فكانت بطبيعة الحال بعيدة عن منال تفكيرهم لا يستطيعون فك طلسمها ولا يلوح على مظهرها لا فى نظرهم ولا فى نظر غيرهم أنها تحمل فى طياتها ماتحمل من أسرار وليس فى حركاتى ولا فى ألفاظى ولا فيما يشاع عنى إلا كل ماهو طبعى خال من اللبس والابهام . أما من جهة أغراض محمد حسن فهو شديد الاعتقاد فى الحكاية السائدة عنى فى أذهان الناس والتى تنص على أن والدى لا يزال على قيد الحياة وأنه ثرى عجوز. وكل حكاية إذا دارت أياماً على ألسنة العامة أو انتقلت من جماعة إلى جماعة أو توارثها الناس جيلا عن جيل دخلت بتأثير هذا الانتقال فى حيز العقائد المكينة وزال عنها مايشوبها من لوثات الريب والشكوك وأصبح مجرد ذيوعها على ألسنة الناس هو فى نظر العامة مادة الثقة واليقين. وذلك لأن سير الاشاعات فى أذهانهم يبدأ بأن يسمع فرد من آخر خبراً من الأخبار فلا يقول لغيره بعد ذلك إنه سمعه من فرد واحد من الناس بل

يذكر أن الناس يقولون ذلك فيخيل للسامع الآخر أن الناس طراً يقولونه ويقطعون بصحته وما دام الأمر كذلك فلا مراء فيه ولا جدال ولماذا لايعتقد فيه مثلهم أليس هو واحداً منهم؟ وبهذه تصبح الحكاية أو الاشاعة من القضايا المسلم بصحتها فى الأذهان وذلك منطق يقابل من العلماء بكثير من الاستنكار ولكنه الواقع الذى يدور عليه دولاب العمل لدى أكبر عدد من الجنس البشرى .

وهكذا كان موقف محمد حسن خيال ما يملأ الجو من الأقوال الراسخة فى أذهان الناس . لقد استقرت فى ذهنه أخبار الغنى وكثير من أخبار الطيبة والصلاح فارتوى خياله من تلك الحياض العذبة واختط لنفسه سبيل الظفر برضائى والتمتع بحسن جوارى طمعاً فيما يرسمه له وهمه على لوحة الأفق من آمال فساح بعد أن يموت والدى (الموهوم) وأصبح أنا الوارث الذكر الوحيد له ، وكنت لا أبخل عليه بأن أريه السهى فى دجى أحلامه ولو عفواً فى غضون الحديث بكلمة سريعة تلق فيشتعل بها فؤاده . وهكذا خيل إليه أن الصداقة قد توطدت بيننا فلم يكن يدخر جهداً فى إجابتى على كل ما أسأله عنه ، وبذلك عرفت منه علاقة أفراد أسرته بعضهم ببعض ومن منهم عدو للآخر ومن منهم الصديق ، وعرفت كذلك كثيراً من أحوال الصعايدة الموجودين فى القاهرة ، وألممت إلماماً تاماً بمبلغ عقليته وشخصيته ، وكيف يديره ويدير أقاربه من له فى ذلك شأن ومصلحة . وحدث أن وجد محمد حسن عنده فى هذا الشهر مبلغاً يستطيع أن ينشىء به محلا أو تجارة مستقلة ، فراح يبحث مع إخوانه عن الطريقة المثلى فى استغلال ما توفر له من النقود ، وأخيراً انتهى به المطاف إلى رجل صاحب قهوة بحى الأزبكية دعاه للاشتراك معه فى ملكية قهوته . ويظهر أن وجود هذه القهوة فى حى النساء الفاسدات زين له أن يرتمى فى أحضان هذا الرجل لمشاركته فى عمله ولما كان أمياً التجأ إلىّ لمرافقته نهاراً لفحص حالة القهوة توطئة لكتابة

العقد اللازم ، فخاطبنى مراراً فى هذا الشأن ، وعلى ذلك رضيت بالذهاب معه ولو لم أرض لأول ذلك بكبريائى ، ونالنى من وراء ذلك بعض المتاعب ، وكيف لا أذهب معه وهم يروننى أخرج نهاراً فى معظم الأيام وأقص عن نفسى أخباراً يؤخذمنها أنى أذهب إلى كل مكان ، وليس فى جعبة الاعتذارات شىء يرضيهم مادمت أنا صهرهم العزيز . وهم من الصعايدة الذين ليس فى طباعهم أن يتخلف أحدهم عن خدمة الآخر ، ولو باسالة الدماء. وأخيراً ذهبت معه فى عصر يوم من الأيام وجلست أستريح فى قهوة بشارع كلوت بك مع أحد السماسرة ولم ينته الاتفاق على شىء ، ورأيت أن المسألة ستحتاج إلى معاودة المجىء إلى هذا المكان مراراً عدة ، نظراً لتصميم محمد حسن على الاشتراك مع صاحب القهوة ، وتلك مسألة لا تهمنى كثيراً ، وإنما أكبر ماينصرف إليه تفكيرى هو كيف أتخلص من هذه الورطة وأجعل محمد حسن ينفر من مرافقتى له أو لا يجد له مصلحة فى ذلك فلا يدعونى للتوجه معه إلى تلك الجهة التى يؤمها خلق كثيرون من مختلف الطبقات بلا انقطاع ، وبخاصة وهو فى حاجة إلى كتابة عقد اتفاق وذلك فى حالة نجاح المساومات ، وسأكون أنا الكاتب والشاهد بلا مراء ، ولم يدعنى محمد حسن إلا لهذا الغرض ، وشهادتى هذه قد تنقلب ضرراً يمسنى إذا ما اختلف الشريكان وهرعا إلى المحاكم يشتكيان واستدعيت أمام المحكمة كشاهد . وقد تجسم الخطر أمامى عندما تأكدت أنى عائد إلى المنزل لأحضر معه ثانية إلى هذا المكان . وفى اليوم الثانى دعانى للحضور معه ، فذهبت وأنا أحقر له من شأن القهوة وموقعها ، وأنصحه بالابتعاد عن القهوات التى تغشاها النساء الفاسدات ، وأكرر على سمعه أن ذلك حرام ينهى عنه الدين . وفى هذا اليوم لم ينته الاتفاق بينهما أيضاً، وحين العودة لحظت أن الرجل لا يريد أن يتبسط معى فى الكلام بشأن القهوة فراراً من سماع ألفاظ الدين والحرام والحلال التى أسوقها إليه . وفى أثناء الليل سألتنى زوجته عما تم فأقدمت على الفكرة التى أنا متردد فى تنفيذها

وسقت إليها حديثا جعلتها تعرف منه مكان القهوة بالضبط وبما أنها زوجته فقد انضمت إليّ فى الرأى بوجوب الابتعاد عن شراء محلات عمل فى هذه الجهات الخاصة بالنساء الفاسدات . وقالت لرمضان ابنها إن الشيخ سليمان صالح وماله وما لهذه الجهات يستصحبه محمد حسن إليها . فأجابها رمضان بأنه هو أيضاً غير موافق على شراء أية قهوة فى هذه الأماكن ، وتضافر الجميع على تثبيط عزيمة محمد حسن والحيلولة بكل قوتهم دون إتمام هذا العقد وطلبوا إليّ من تلقاء أنفسهم عدم التوجه معه مرة أخرى لهذا الغرض . أما محمد حسن نفسه فكان يقاوم كل عقبة تقف فى سبيل إتمام رغبته هذه ولكنه حين يلقانى يخفى رغبته ويصيبه خزى وتخونه شجاعته عن أن يشير إلى الموضوع بقليل أو كثير من الكلام . كيلا يسمع منى تلك الألفاظ الدينية المعهودة ، وأصبح يود فى نفسه لو يقتصر على أقاربه دون أن يزج بى فى حومة الموضوع ، وعلى ذلك خرج فى اليوم الثالث بغير أن يلقانى وسررت أنا بذلك ، ثم عرفت من زوجته بعد أيام قليلة أنه أتم الاتفاق مع صاحب القهوة وكتب معه عقداً بذلك ودفع له مبلغ ١٨ جنيهاً مقدماً متفقين على السعى لشراء بعض أثاث لتحسين حال القهوة فيما بعد . وقد قابل المنزل أجمعه هذه الأخبار بالأسف الزائد وأنشأت أنا أدعو له بخير وبنجاته من أولاد الحرام .

فى يوم ١٥ مارس أطلقت الحكومة فى الميدان الواقع بين القلعة وسجن مصر ١٠١ مدفعاً إعلاناً بالغاء الحماية وذلك عقب تصريح ٢٨ فبراير عام ١٩٢٢ وكنت حاضراً وقت الاطلاق وواقفا خلف المدافع فى الساعة الثامنة صباحا وفى الليل كان قصر عابدين والشوارع المحيطة به مضاءًا بأبهى الأنوار الكهربائية وقد مررت ورأيت ذلك كله .

(المذكرة الثانية والثلاثون)

ابريل عام ١٩٢٢

أكثرت من الخروج على ما به من إجهاد وعناء . ولعمر الحق لم يكن سيرى فى الطرق مما تستفيد منه الصحة وتلذ لعينى رؤيته فهذا نوع من السير تدفع إليه الضرورات ولا يعرفه إلا من كابده . ظاهره كغيره وباطنه تمثيل فى ثياب حقيقة . فان عادة الخروج فى مثل هذه الظروف لا تمحو ما فى الأذهان من كسف الشك محواً وإنما يتقلص بها أقله ويبقى أكثره وما دام هناك شك فثم التفكير والحرص وهذان يمحقان الصحة محقاً . وكان بيدى منديل على الدوام فاذا ما رابنى أمر شخص رفعت المنديل فى رفق إلى وجهى ليختفى جزء منه وكنت شديد الانتباه لما يدور حولى فى الشارع من نواحيه كافة كثير العناية بتعرف وجوه الناس وأجسامهم قبل أن يقتربوا منى وكثيراً ما رأيت أشخاصاً من معارفى فكنت أتجنب لقاءهم بحركة طبيعية وساعدنى على ذلك ما أعرفه فى نفسى من عدم نسيان أى شخص لقيته ولو مرة واحدة فى حياتى فلم تكن الوجوه لذلك ولا حركات الأجسام تشكل علىَّ عند رؤيتها عن بعد . ولم أكن أتردد فى حركاتى حين الدخول الى أى مكان أو حالما أهم بركوب الترام وكنت أسلم على الناس وأتكلم معهم وأضحك مما يضحكون وآتى بكل ما هو مألوف ومعروف وكثيراً ما كنت أرى الناس يتهامسون بوجود أحد أفراد البوليس السرى معنا فى الترام ويشيرون إليه من طرف خفى فلم أكن أعبأ بذلك . وذات مرة جلس أحد رجال البوليس السرى على مقربة منى فى الترام فلم أتركه حتى تجاذبت معه

أطراف الحديث إلى أن نزل منه وما أسهل أن تميز البوليس السرى من غيره فى أثناء سير الترام ولا يحتاج ذلك إلى عناء أو ذكاء فهو الذى يقول عن نفسه ها أنا ذا فاعرفونى وما عليك إلا أن ترقب الجمهور حينما يطلب الكمسارى إليهم دفع النقود فترى بينهم شخصاً أو أشخاصاً أبرزوا علامات خاصة من المعادن أو قالوا بصوت خافت كلمة «بوليس» أو «بوليس سرى» فيعفيهم الكمسارى من دفع الأجرة فهؤلاء هم من البوليس السرى وسرعان ما ترى الراكبين جميعاً قد أحيطوا علماً بوظيفة الراكب بينهم وهذا أحد عيوب نظام البوليس السرى فلو أن أفراده يدفعون أجرة الترام كباقى الأفراد لما استلفتوا الأنظار إليهم ولاستمروا مجهولين بين الناس عامة .

وكنت أفضل السير على الأقدام على ركوب أى مركب آخر لأن سير المختفى ولو أنه مجهد للمخ إلا أن الانسان يملك فيه نفسه ويتنقل على جناح السرعة كما يريد . أما وجوده راكباً وسط الناس فهو محصور ومقيد فاذا وقعت عليه عين تعرفه فانه لا يستطيع الافلات بمثل ما يكون سائراً فى الطريق بعيداً عن هذا الحصر . وترى الناس يسيرون فى الشوارع تعدهم بالمئات ولكن لا يحدق بعضهم فى بعض وما هى إلا نظرات سطحية يلقونها ذات اليمين وذات اليسار وهذه النظرات السطحية لا يعبأ بها المختفى بعد أن يدرسها حق الدراسة . وكذلك كنت أفضل السير وحيداً على أن يكون معى شخص آخر لأنى فى الحالة الأخيرة أكون مقيداً برغبات زميلى وبما أنه ليس على علم بحقيقة موقفى فأكون مضطراً للسير معه بكيفية تخالف ما اعتدته من كثرة العروج بغير هدى أو خطة مرسومة وزيادة على ذلك فهو يلهينى بكلامه عن أن أخصص نظرى لرؤية الأشباح السائرة فى الطريق على أبعد ما أستطيع وكل هذا يقف حائلا دون مراعاة مصلحتى التى أعرفها وغيرى جاهل بها .

فى آخر هذا الشهر كان شهر رمضان عام ١٣٤٠ هجرية قد أقبل ، وفى

يوم ٢ رمضان أجهضت الزوجة الثانيـة فى أنثى وقد عانت فى أثناء ذلك ماعانت ولم تنته عملية الاجهاض حتى تولاها الدكتور احمد ابراهيم الطبيب بشارع الصليبة .

وفى يوم الأربعاء ٦ رمضان ولدت الزوجة المطلقة بنتـا أسميتها وسمية وهى لا تزال على قيد الحياة ٭ .

اتفقت مع عونى صاحب دكان الأحذية على أن يبيع لى دكانه بمبلغ تسعة جنيهات ويستمر هو يشتغل فيه بنصف المكسب وتستمر الأجارة كذلك باسمه وقد عملت ذلك كمحاولة لخلق صناعة لنفسى تكون ظاهرة أمام أعين النـاس وصرت إذا سئلت بعد ذلك عن صناعتى أجبت بأننى صاحب دكان أحذية .

فى آخر هذا الشهر كان لرمضان علام شقيق زوجتى قضية مخالفات بقره قول باب الشعرية وقد رافقه كثيرون من أقاربه فذهبت معهم ودخلت فى قاعة الجلسة الواقعة داخل القره قول إلى يسار الداخل وجلست بها نحو ساعة وأخيرا تأجلت القضية فخرجنا جميعا من القره قول .

— [المذكرة الثالثة والثلاثون] —

مايو عام ١٩٢٢

منذ أن اشترك محمد حسن فى قهوة درب طياب رقم ٨ وهو فى نزاع دائم مع شريكه . وقد أخبرنى أن شريكه يتوانى فى شراء الأثاث الجديد المتفق على شرائه فى صلب العقد وقد برح الخفاء فى هذا الشهر وظهر أن

٭ أقرأ فى ذيل الكتاب تقريرا مقدما من الشيخ سيد ابراهيم بخط يده وهو منقول الى الكتاب بالزنكغراف



صورة رسمية شكرى الكرداوى
ولدت فى ٣ مايو عام ١٩٢٢
وصورت فى يناير عام ١٩٣٠
(انظر ص ١٥)

شريكه لم يسدد ايجار المحل لمدة طويلة ، وبناء على ذلك قد توقع الحجز على سائر المنقولات وأغلقت القهوة وأصبح موقف محمد حسن من جراء ذلك حرجا أمام نفسه وأمام أهل منزله وأسقط فى يده وراح يتخبط فى دياجير الحيرة فلم ير سوى الاختفاء عن أعين الجميع ملاذا له مما غشيه من الخزى والندم فتعلق بأذيال الفرار إلى بنى سويف دون أن يشعر به أحد. أما أهله فقد أعيتهم الحيل فى البحث عنه وظنوا أن بالأمر دسيسة وأن شريكه لا بد قد قتله فاستقر رأيهم على تبليغ الأمر الى النيابة العمومية وطلبوا إلىّ أن أرافقهم فذهبنا جميعا إلى دار النيابة بالحلمية وجلسنا عند أحد الكتبة العموميين إلى أن كتب البلاغ وأمضاه باسم اسماعيل حسن شقيق الغائب ثم أخذته أنا منه وصعدت إلى غرفة وكيل النيابة واستأذنت بالدخول ورآنى وكيل النيابة واقفاً على باب الغرفة فأشار إلى الساعى فأخذ البلاغ منى ثم عاد الساعى إلىّ وأخبرنى بالمجئ فى الغد وفى اليوم التالى توجهنا جميعا إلى غرفة الكتبة الواقعة قبل غرفة وكيل النيابة مباشرة ، ودخلت إلى أحد الكتبة فأخبرنى أن البلاغ قيد برقم ٥٥ ثم استدعى وكيل النيابة شقيق الغائب وأخذ منه بعض معلومات وافاده بأن البلاغ سيحول إلى قسم الخليفة وبعد يومين ذهبنا إلى القسم ونودى على زوجة الغائب فدخلت الى المأمور وبقيت أنا واقفا على باب غرفة المأمور وأخيراً بعد عشرين يوما حضر الغائب من تلقاء نفسه وكان سروراً عاما بلقائه وتضاءلت أنباء الخيبة فى ظلال أنباء العودة .

كان عونى صانع الأحذية يذهب بمفرده لشراء الجلود من الموسكى والدرب الأحمر وكنت أتحاشى مرافقته لأنى إذا أردت أن أسير فى الشوارع كنت أفضل السير وحيداً بلا رفيق ولما كان لابد من عذر يبدى له عن تخلفى عن مرافقته عند مايذهب لهذا الغرض كنت أظهر له أننى على ثقة به وأن البركة فيه لأنه أعرف منى فى اختيار أنواع الجلود. وفى هذا الشهر تأكدت

أن المحل يخسر ولا يكسب وأن ذلك ناتج من عدم أمانة عونى فتجاهلت الأمر وأغضيت الطرف عن ذلك لأن عدم أمانته كانت مفروضة عندى من بادئ الأمر وخسارة المحل أفضل عندى من مرافقته إلى جهات العتبة والموسكى وغشيان محال التجارة كثيراً ولو لم أشترك معه فى تجارته لعمدت إلى القهوات أتنقل عليها بعض النهار وهذا يتطلب صرف النقود يوميا وهو نوع من أنواع الخسارة . ولو لم يكن فى الأمر سوى ظهورى أمام الناس كصاحب محل أحذية لكفانى ذلك عوضا وبديلا عما أخسره .

—[المذكرة الرابعة والثلاثون]—

يونيو عام ١٩٢٢

كانت وزارة عبد الخالق باشا ثروت قابضة على زمام الحكم وكانت الأحكام العرفية لا تزال مبسوطة على البلاد وكان الرعايا البريطانيون هدفاً للطلقات النارية تصيبهم على حين غرة فى أنحاء العاصمة بين آن وآخر. وكلما حدثت حادثة من هذا القبيل قامت السلطات بحصار منيع للحى الذى حدثت به وألقت القبض على المارة جزافاً يفتشونهم ويحققون فى شخصيتهم ولم تكن الحوادث تقتصر على جهات معينة بل تتعاقب على شتى الأنحاء وقد خولت السلطة العسكرية للبوليس أن يقوم بتفتيش المارة فى الطرق لأقل شبهة وفى أى وقت وبالاختصار أصبح كل سائر فى القاهرة معرضاً لاستيقافه وتفتيشه وأصبح خروجى نهارا من جراء ما تقدم أمرا غير

مرغوب فيه وقد قللت منه إلى آخر حد مستطاع ولكن أقارب زوجتى لا ينفكون يحرجون مركزى بطلب خروجى معهم مرارا لقضاء حوائجهم فى جهات نائية فكان ذلك وما أضيف إليه من ظروف سيئة طرأت فى هذا الشهر عاملا يزهدنى فى الاقامة بالقاهرة وكان من هذه الظروف أننى علمت أن الحكومة بدأت تقيد أسماء أهالى الوجه القبلى المقيمين بالقاهرة وتتعرف حقيقة شخصيتهم ومم يتكسبون وقد أخبرني أهل الزوجة أن البوليس مر على محال تجارتهم وكتب أسماءهم واحدا واحدا وقد رووا الى ذلك على اعتبار أننى من أهالى الوجه القبلى وأن هذا الخبر يهمنى وأن دورى سيأتى إما عاجلا وإما آجلا . ومن ذلك أيضا أن نقودى أوشكت على النفاد ورأيت شبح الأزمة المالية الخانقة تقترب منى رويدا رويدا وأصبح لزاماً علىَّ أن أشتغل بتجارة رابحة أو ألتحق بأى عمل فى أى محل ولكن القاهرة لم تعد بعد إذ رأيت مارأيت ميدانا تتهيأ لمثلى فيه حرية العمل ولامندوحة لى من تركها والانتقال إلى أقصى الصعيد وكان العزم على تنفيذ هذه الفكرة يختمر فى غضون هذا الشهر شيئا فشيئا وكان المقيمون معى يزودوننى بأخبار حوادث تفتيش المارة التى تقع فى القاهرة دون أن يدور بخلدهم ماسيكون لهذه الأخبار من الأثر فى نفسى أو أنها بعينها ستكون من أهم الأسباب المباشرة لحادث خطير يقع لهم يكدر صفوهم ويفقد بنتهم زوجها على غير رغبة منى أو منهم .

(المذكرة الخامسة والثلاثون)

يوليو عام ١٩٢٢

لقد استقر الرأى على ترك القاهرة بأية حال من الأحوال وهنا شغلت باختيار الجهة التى أقصد إليها وتكون أكثر صلاحية لى من غيرها فكان الوجه القبلى أفضل لى من الوجه البحرى حيث أكون مجهولا فى الأول أكثر مما أكون فى الثانى ولما كنت فى مدى الثلاث السنوات الماضية أطيل النظر عند قراءة الجرائد فلا أترك الجريدة حتى آتى على آخر حرف بها كنت على علم تام بأخبار الموظفين وتنقلاتهم من جهة إلى أخرى وكانت أسيوط هى إحدى البلاد التى لم تقع عينى على اسم موظف يعرفنى سواء أكان مقيما بها أو منقولا إليها وبما أنها أيضاً أكبر بلاد الوجه القبلى فأصبح من الراجح أن تكون لى بلداً آمناً إذا هاجرت إليها.

بقى إذن تدبير داخليتى وهنا تقف أمام نظرى مشكلة كبرى وهى زوجتى ماذا يحل بها ؟ وكيف أقطع صلتى بها ؟ أو كيف آخذها معى بالقطار وسيصحبها لامحالة بعض أقاربها مع أن اختيار مرحلة السفر من القاهرة إلى أسيوط سيكون من المخاطر التى يعمل لها ترتيب خاص وهذا فى حالة أن أكون فردا واحدا فكيف الأمر إذا كانت معى أسرة تحد من حريتى فى الانتقال السريع والنزول إلى المحطات التى ليست فى برنامج السفر إذا اقتضت الحال ، وأرعاها أنا وأسهر على راحتها ، إن هذا ليس فى مقدورى مطلقاً ، وليس من مصلحة أحد الطرفين فى شىء ، ولا بد من التأهب للسفر على شريطة أن أكون وحيدا كى أتقى طوارىء الطريق التى ليست فى الحسبان ،

وأكون حر التصرف فى البلدة التى أهبط فيها ولا أزال أجهل ماسيكون من أمرى فيها.

ويمكن تلخيص الموقف لحضرات القراء فى الكلمات الآتية:

أولا — ليس من المصلحة أن أطلب إليهم أن تسافر زوجتى معى إلى أية جهة أخرى ، لأننى على يقين أن مثل هذا الطلب سينبش عن دفائن ستظل مقبورة طالما أنا مقيم معهم بمنزل واحد . أما إذا عرفوا أن ابنتهم ستبتعد عنهم فستطرح مسألتى كلها على بساط البحث وتنهال علىّ الأسئلة بصدد أقاربى وينتدبون منهم من يرافقنى إلى حيث أقصد ، وهذا فضلا عن صعوبة تنفيذ نقلها معى بالقطار كما ذكرت .

ثانياً — إذا أخبرتهم أننى مسافر إلى بلدى بمفردى على أن أعود بعد مدة معينة ، ثم أخذت ملابسى وكتبى أسرع الشك إلى نفوسهم واضطروا إلى إرسال أحد منهم معى بأية حجة كانت كمعرفة منزلى والتعرف بأقاربى .

ثالثاً — إذا أقدمت على طلاق زوجتى بغير سبب فذلك موطن الخطر الأكبر ، ولا أقل من أن يتألبوا علىّ وينهالوا علىّ ضرباً يضع حياتى فى خطر . وأنا العليم بكثرتهم وحب أقاربهم للمشاجرات ، حتى ليرتعد من أذاهم بعض الساكنين فى جهات كثيرة بالقاهرة ، وربما ينتهى الأمر بتدخل البوليس فالمحاكم .

رابعاً — إذا اختفيت عن أعينهم فجأة بغير أن آخذ شيئاً من ملابسى ، كأن أخرج من المنزل فلا أعود إليهم ، فلن يذهب بهم الظن إلى أن ذلك هروب لعدم وجود ما يبرر هذا العمل فى نظرهم ولصفاء الجو بينى وبينهم صفاء تاما ، وإنما سيعتقدون أن هناك نازلة نزلت بى فى أثناء الطريق وسيهرعون إلى إخطار البوليس ، وأنا لا أضمن نتائج هذا الاخطار ، فقد يقصون كل ما يعلمونه عنى ، وقد يتنبه أحد الضباط بفضل ما فى أجوبتهم

من نقص وقصور إلى أنى شخص تحوم حول تصرفاته بعض الشكوك خصوصاً إذا استدعى أحداً من سكان الحارة التى كنت ساكناً بها فى أول الأمر وعلم منه أننى صرفت حيناً من الدهر لم أكن أبرح فيه منزلى قط ، وعلى ذلك ينشط البوليس للبحث عنى على ضوء معلوماته الجديدة .

خامساً — لو رسمت خطة أستطيع بمقتضاها أن آخذ ملابسى وأوراقى وأسافر بغير أن يرافقنى أحد منهم وبغير أن أجعل سفرى محفوفاً بالشكوك بل محوطاً بالآمال الزاهرة والأمانى الخلابة لهم جميعاً ، وفوق ذلك لا يكون متصنعاً ولا نابياً عن ظروفه بل أخلق لهم ظروفاً سابقة تجعله فيما بعد جارياً مع طبيعة ظروفه وأمراً لزاماً تفرضه الأحوال التى يخيل إليهم أنهم على علم تام بدخائلها ، فانهم فى هذه الحالة عند ما تطول غيبتى لا يسارعون إلى تبليغ البوليس بل يغل الأمل أيديهم ويستدرجهم الرجاء إلى التسويف عسى أن أحضر من تلقاء نفسى ، كما غاب قريبهم محمد حسن من قبل ، ثم حضر من تلقاء نفسه ، وهذا الخيال يجعلهم يخشون بأس اللوم الذى يلحقهم من رحل سينفحهم بخيراته إذا ما عاد إليهم يوماً من الأيام ، كما يعتقدون ، وهكذا ستتأجل قراراتهم ويكر الشهر تلو الشهر وهم فى سكرة الأمل يترنحون ، ثم ينتهى بهم الرأى إلى اليأس والاختلافات الكبيرة كما أعهده فى طباعهم متى كان الشىء لا يمس عصبيتهم ، وتكون النتيجة على ذلك أنى أنجو من شرهم . أما بنتهم فأمامهم أن يلجئوا بشأنها فى النهاية إلى المحاكم الشرعية ويرفعوا أمرها إليها لتطلق على يدها طبقاً للقانون الأخير الذى صدر قبل هذا الشهر وعرفه الخاص والعام ، وهو يبيح للقاضى الشرعى تطليق من غاب زوجها عنها غيبة منقطعة . وإذا بدا لهم أن يبحثوا عنى بأنفسهم فسيسافرون إلى الفيوم أو بنى سويف ، ومهما فكروا فى السفر إلى أية جهة من جهات القطر للبحث فيها فلن يفكروا فى أسيوط مطلقاً ، لأنهم يعرفون أننى أعلم أن هذه هى بلادهم وأنه ليس من المعقول أن أذهب إلى بلادهم نفسها بل إلى

غيرها ، ثم إن لوني ولغتى سيؤكدان لهم أنى لست من جهات أسيوط ، إذا احتدم الجدل بينهم على تلك النقطة . أما وجودهم فى أسيوط على سبيل المصادفات فذلك أبعد الظن لأنى عرفت من كلامهم عن أنفسهم أنهم حينما يذهبون إلى البدارى لا ينزلون فى محطة أسيوط ، بل يواصلون السفر إلى أبى تيج ، وهى محطة النزول للمسافرين إلى البدارى ، ومع مرورهم على أسيوط فان أغلبهم لم ينزل إليها طول حياته .

وبهذه الكيفية نثرت أمام نظرى كل الفروض والمحتملات والحلول العمليـة فاقتنعت بأن الرأى الخامس هو أصلحها لحالتى فسرت فى خطوات تنفيذه كالآتى :

كان أقارب الزوجة الساكنون معى بالمنزل كثيرى العدد وكنت أنا الوحيد بينهم الذى لا أمت إليهم بصلة القرابة تلك الصلة التى لا تزال لها لدى سكان الوجه القبلى على وجه خاص العصبية الكبرى فوق كل شىء آخر وإزاء أى فرد آخر وقد يتشاجرون ويتخاصمون ويكره أحدهم الآخر ولكن ذلك كله يعتبرونه مسألة داخلية سرعان ما تختفى غالباً إذا دعاهم داعى التضامن ضد من لا يمت إليهم بصلة الرحم أو صلة البلد وهكذا كنت فى وسطهم الغريب الذى لا يولونه ثقة ومكانة إلا من ناحية ما يعتقدون فيه من الغنى وبقدر ما أخدعهم بالأحاديث أسوقها تشويقاً وتأكيداً لآمال المستقبل أو أقصها على الجيران فى الخارج فتصل إليهم على سبيل أنها أقوال الناس وأقوال الناس لدى العامة هى الحجة الدامغة والبرهان الأوفر وهكذا جرياً على عاداتهم كان كل ما يتعلق بى يبدون فيه رأياً ولا يكون هذا الرأى إلا واحداً لا يختلفون فيه . بخلاف ما لو كان الأمر يتعلق بهم أو بأقاربهم فيذهبون فيه مذاهب شتى وكانت بينهم امرأة عجوز هى جدة زوجتى لأمها وكانت هذه كثيرة الكلام وكثيرة بث الظنون والمخاوف فى الأذهان وبذلك كان من الثابت المؤكد عندى أننى لا أستطيع أن أنفذ رغباتى إلا

إذا انقسم هؤلاء السكان الأقارب إلى فريقين وسكن كل فريق فى منزل بعيد عن الآخر وانقطعت ما بينهما من الصلات ولو إلى وقت ما ريثما تتم رغباتى وأفلت من أيديهم جميعاً بحالة مرضية لا تلحق بى أذى عاجلا أو آجلا . أما طالما كانوا يقيمون مجتمعين بمسكن واحد وعددهم يربو على العشرة فأيما فكرة أبديها لجميعهم يتصدون لها بالنقد والتحليل . ولا أستطيع الفوز على عشرة مجتمعين ، ولكن أستطيع الفوز عليهم لو كانوا أقل من ذلك عدداً وكانوا متخاصمين . وقد كان سبيل تفرقتهم ممهداً أمامى عن طريق أطفالهم فقد كان لكل منهم أولاد ، وكان الأولاد يتضاربون فى أكثر الأحيان ، وكان تضاربهم هذا يزج بالكبار إلى الشجار فالخصومة فالصلح بعد حين . فتضارب الأولاد إذن هو الظرف الذى لو أحسنت استخدامه لأمكننى الانتقال إلى منزل آخر ومعى بعضهم لا غير . وعلى ذلك انتظرت إلى أن غلى مرجل الشقاق فى يوم من الأيام بسبب تشاتم الأولاد ورأيت على وجه محمد حسن أمارات الغيظ الشديد فلم أقلل من حدة غضبه كما كان موقفى فى كل مرة بل همست في أذنه أن انتقالى وإياه إلى منزل آخر بعيد عنهم هو الحل الوحيد لقطع دابر هذا الشقاق وإراحة النفوس والأدمغة من التعب الذى تلاقيه بين آن وآخر وهكذا كان فانه تكلم مع زوجته واستقر رأيهما على هذا الحل ثم طلب إلىّ أن أبحث لهما عن المنزل المناسب فأبيت إلا أن يرافقنى فى كل مرة وإلا أن يكون هذا الانتقال طوع رغبته وطبق مرامه تماماً فكان يحضر يومياً ونخرج معاً للبحث وكنت فى أثناء البحث أرى منه أحياناً تخلخلا فى عزمه وتردداً فى إتمام الأمر فأعمل على تثبيت عزمه بسرد مزايا الاقتصار والبعد عن كثرة الأولاد الذين هم مصدر مشاكل لا تنقطع وأخيراً اهتدينا إلى شقة مناسبة بمنزل بحارة حلوات رقم ١ بالقرب من شارع سوق السلاح فكتبنا الايجارة باسمى وقد نقلت إلى المنزل الجديد فى منتصف هذا الشهر وكذا انتقل معى محمد حسن وزوجته ورمضان علام

وزوجته وتركنا باقى أفراد الأسرة مع قريبهم بيومى حنفى جمعه فى منزله الذى يمتلكه وبعد إتمام هذا الانقسام لم أشأ أن أتبع هذه الخطوة بخطوة أخرى تتلوها مباشرة بل رأيت أن أتمهل وأنتظر أياماً أخرى حتى تنسى هذه الحكاية قليلا وكانت الخطوة الأخرى التى أضمرتها فى نفسى هى أن أدخل فى روعهم جميعاً أننى منصرف تمام الانصراف عن فكرة السفر إلى أهلى بالفيوم وموطد العزم على الاشتغال بالتجارة بالقاهرة وعند ما آنس منهم اعتقادا راسخاً بهذا المظهر الجديد تظهر فجأة حكاية اضطرارى إلى السفر على النمط الذى سأفصله فيما بعد وعلى ذلك بدأت بعد أسبوع أتحدث إليهم عن ميلى إلى الاشتغال بالتجارة وفتح دكان قريب من المنزل وقلت لهم أني رأيت الشارع القريب منا فى حركة تجارية جيدة ولما كانوا يتمنون من أعماق نفوسهم أن يروا لى عملا معيناً، ورأس مال مقيدا ، رأيت منهم كل تعضيد لهذه الفكرة ، وراحوا يستبشرون بالخير ويحثوننى على انتهاج هذه السبيل خصوصاً عند ما ورد على لسانى أننى سأجعل رمضان علام يشتغل معى فى المحل على الدوام ، وكان رمضان يشتغل فى محال كثيرة وإنما لا يطول به المطال فى محل معين . وقد ملوا كثرة انتقاله فى عمله من محل إلى آخر . وبدأ الحديث يدور كل مساء على محور هذا العزم وعلى أى السلع أفضل من الأخرى تجارة وأدر ربحاً وكان رمضان علام يحبذ تجارة الفسيخ ويقول إنه على دراية كبيرة بها وكنت أحبذ تجارة العطارة إلى أن قالوا : أنت وما تراه ، وكان رمضان يخرج معى فى بعض الأوقات لفحص حالة الشوارع المحيطة بنا توطئة لاختيار الدكان المناسب ، وكان يلوح علىّ أننى منهمك فى التفكير فى هذا الأمر إلى النهاية التى ليس بعدها نهاية وكنت أعلل التأخر فى التنفيذ بأننى أطمع فى العثور على دكان أحسن مما رأيت وكانوا فى كل ليلة يأتوننى بأخبار الدكاكين الخالية للايجار وكنت مصمماً على أن أمضى باقى أيام الشهر فى مجرد الكلام بغير فعل حتى إذا

ما أقبل الشهر التالى وقد تم يقينهم بأننى حقا فى شغل شاغل بهذا العزم ورأيت ذلك منهم رأى العين بدأت فى مباغتهم بالخطوة التالية التى أضمرها. ولكن حدثت لى فى مساء ٢٧ من الشهر حادثة لم تكن فى الحسبان وكانت من الخطورة بحيث دفعتنى إلى الاسراع فى تنفيذ الخطوات المقررة فى ذهنى وهذه الحادثة هى كالآتى :

غادرت المنزل بعدأن خيم الظلام لابساً طاقية قطيفةخضراء ومعطفاً من التيل الأبيض متوسطا فى القدم ، وتبدو على هيئتى العامةسيما العمال أو التجار كما هو الحال فى كثير من أوقات خروجى . ثم ركبت الترام المتجهمن القلعة نحو العتبة الخضراء. واخترت مجلسى عند المقعد الخلفى الذى يتجه نظر الراكب عليه صوب الشارع عكس مسار الترام ، كما هى عادتى عند ركوب الترام ، ثم سار الترام يتهادى ويشتد فى انطلاقه حتى تخطى عدة محطات وانتهى إلى محطةباب الخلق ، وما كاديستقر فى وقوفه حتى أطبق علىّ بجسمه شاب يناهز الثلاثين من العمر أسمر اللون قصير القامة قوى العضلات وحملق فى وجهى ثم عبس وبسر وارتمى بكلتا يديه يقبض على حديدتى الترام وقفز فاذا به جالس عن يمينى أشد شىء التصاقا بي ، ثم مال بجسمه مسددا نظراته إلى وجهى وواضعا مرفقه على خشبة الحاجز ، وسألنى بلوعة المغيظ الحانق ، وعلى وجهه إشراق الظافر الشامت فقال إلى أين أنت ذاهب ؟ فأشرت بيدى بغير اكتراث إشارة مبهمة نحو العتبة الخضراء وقلت (هنا) .

ولا تسل عن ضميرى وقتئذ أيها القارىء فقد ملئت يقينا عند النظرة الأولى إليه وهو يحملق فى وجهى ويختطفنى ببصره اختطاف القانص لقنيصته أن هذا هو الجاسوس الماهر الذى عرفنى حق المعرفة ، وأن اليوم هو خاتمة الاختفاء ومرت برهة سكت كلانا فى أثنائها . أما ذهنى فشد رحاله إلى أجواز السماء ثم إلى طباق الأرض يناشد الالهام وفى لمح البصر رأيت أننى لو طفقت جالسا إلى العتبة فهناك قسم الموسكى وجمهرة البوليس السرى والعلنى والافلات من

هؤلاء ضرب من الصعوبة بمكان فليس أمامى إذن سوى النزول فى أول محطة يقف عندها الترام وبذلك تطول مسافة السير إلى القسم وتحتشد الجماهير وأرقب الظروف وليكن الأمل رائدى إلى آخر لحظة. ووقف الترام فهممت بالوقوف بابطاء زائد دون أن ألقى إليه بالا أو أعيره التفاتا متجاهلا كل شئ تجاهلا تاماً ونزلت إلى الأرض النزول الطبيعى ، ولكن قدمه كانت أسبق من قدمى نحو الأرض، وفى الحال قبض على ذراعى بيد من حديد وقال قف! وتحرك الترام فظهر من خلفه شاويش واقفاً يحرس الطريق فنادى الرجل بأعلى صوته قائلا إمسك هذا ياشاويش ! . . فأسرع الشاويش الخطى نحو الصوت ولكنى زعقت فى وجه الرجل بأعلى صوتى معنفا وقلت (مالك عاوز إيه) فقال ياشاويش هذا الشخص شق جيبى ليلة أمس بمطواة وسرق منه ورقة بخمسة جنيهات وماأن قال ذلك حتى أدركت فى الحال سر الحكاية وحقيقة الموقف ولا تسل أيها القارئ عما غمرنى من السرور إذ عرفت أنه شخص مسروق يبحث عن سارقه فالتبس عليه الأمر وضل عن الصواب .

وناهيكم بقوة قلب البرئ فقد دفع ذلك لسانى إلى النطق السديد واجتمعت لى أسباب الجرأة والتهويش وقلت هازئا : سرقه ! ! . . (اخرس إوعه تتكلم) أنا من أعيان قسم الخليفة ، وأعيان الجهة كلهم يعرفوننى ، والقسم ذاته يعرفنى ، وإذا أردت أن تتحقق من ذلك فاركب معى عربة وتعال هناك لتعرف عائلتى.. وهكذا انطلق لسانى بشدة وبسرعة فى إيراد الأخبار التى لا تستند إلى حقيقة ولا أعرف كيف خرجت ، ولكنه الموقف ! الموقف الغريب !! الذى إن أنقذت منه من تهمة السرقة فلا أنسى أنتى المختفى الذى تبحث عنه كل القوات وأنتى واقف بين يدى عسكرى يحفزه آخر للقبض علىّ ليرسلنى إلى القسم وأن مئات الناس قد احتشدوا بسرعة البرق وأنى أصبحت محط أنظار الجميع والهدف الذى يتقاتل الناس بالأكتاف كى يفوزوا برؤيته وقد كنت إلى هذه اللحظة حين أسير فى الطريق ألوذ من هذا بذاك . فالموقف

الذى يقصر القلم دون وصفه ، وبطلان التهمة جعلانى أقذف بالرأى تلو الرأى دون لجلجة ولا لعثمة ولا اختصار وبلهجة المتكبر الذى لا يستعطف الشيء الذى حدا بالعسكرى أن يتردد في القبض عليّ وحار فى أمره فوجه كلامه إلى الرجل وقال: كيف آخذ إلى القسم شخصا لم أضبطه متلبسا بجريمة وليس لديك أدلة على ماتدعى ؟ فقال الرجل : إنه كان بالأمس لابسا طربوشا وعمل ماعمل فضربت الكف على الكف ساخراً وقلت : أنا شيخ ، ولم ألبس طربوشا طوال حياتى ، وكل جهتى تعرف ذلك أكيداً واسمى الشيخ سليمان . وصناعتى تاجر أحذية بدرب الحصر . فقال له العسكرى وما هو غرضك من إرساله إلى القسم فقال : ليفتشوه فقلت : إذا كنت تريد تفتيشى فها أنا ذا على أتم استعداد وأدرت ببصرى فرأيت بالقرب منا حانة مكتوباً عليها (بار العنب) فقلت : تعالوا هنا وفتشونى فدخلنا جميعاً إلى الحانة ، وفي أثناء هذه المأساة كان كثيرون من أفراد البوليس السرى قد اجتمعوا حولنا وافدين علينا من الشارع المكتظ بهم ، وتزاحم الناس بالمناكب على باب الحانة فوقف بعض أفراد البوليس على الباب يمنعون الناس من الدخول بعد أن دخل كثير منهم وبقى بعض أفراد البوليس السرى من الداخل لمعاونة العسكرى . وفى الحال أخرجت مافي جيبي من النقود وكان عددها ١٦ جنيهاً فأعطاها العسكرى إلى أحد أفراد البوليس السرى وطلب إليه أن يعدها فقال الأخير كم عددها قبل أن أعدها فقلت ١٦ جنيهاً فعدّاها معاً ووجداها كذلك وكان بينها ورقة بخمسة جنيهات فأخرجها البوليس السرى وأراها للرجل وقال له : هل هذه هى ورقتك ؟ فقال كلا ، ورقتى جديدة . أما هذه فقديمة . فقال إذن فالشيخ برىء . ويظهر أن الرجل كان قدعادت إليه ذاكرته شيئاً فشيئاً واتضح له خطؤه ، وفى لمح البصر اختفى عن الأعين فاقترب منى صاحب الحان يستفهم عن تفصيل الخبر فرويته له فقال : (هل أنت عبيط) كان من الواجب عليك أن تمسك به وترسله إلى القسم وتطلب رد شرفك

منه وكلنا معك شهود . ثم قال لى العسكرى لو كنت طلبت منى أخذه إلى القسم لما تأخرت والله عن ذلك . فقلت بلهجة المشفق . يكفيه ماأصابه من الخزى أمام الناس وهو مسكين، أما رأيتموه كالمجنون من أجل ضياع خمسة جنيهات فمنه لله فقال الخواجا صاحب الخان . لا . أنت والله رجل طيب وقال العسكرى إنت والله رجل طيب .. ثم وضعت نقودى فى جيبى وحذرنى البوليس السرى بقوله (إوعه لفلوسك) ثم سرت بين صفوف الناس وأنا أتلقى التشجيع والتحيات من الجميع بقولهم لى أنت والله رجل طيب وهكذا إلى أن غبت عن الأنظار ولما كان حشد مثل هذا لا يخلو من النشالين فقد أسرع أشخاص بالسير معى يظهرون لى الاخلاص الكامل ويقولون لى إنهم كانوا على استعداد تام للشهادة ضد هذا الرجل الذى جعلنى (فرجة) للناس ولما لاحظت عليهم أنهم أطالوا السير معى بلا مبرر رجحت أنهم من النشالين الذين أطمعهم علمهم فى أثناء تفتيشى بوجود نقود فى جيبى فسرت حثيثاً ،وعلى ذلك أخذ عددهم يتناقص رويداً رويداً ماعدا واحداً فقد أعيتنى الحيل فى الخلاص منه ، وما زال معى يقص علىّ من أنبائه عجباً حتى رأيت مسجد الرويعى الواقع خلف الخازندار أمامى فاستأذنت ودخلت المسجد وصليت العشاء ومكثت به حتى لم يبق به أحد سواى ثم خرجت فلم أجد أحداً فعدت إلى المنزل سائراً على قدمى وكان هذا الحادث هو القرار النهائى لترك القاهرة باسرع وقت ممكن*

---

* هذا الشخص الذى قابلنى فى يوليو من عام ١٩٢٢ وكان يبحث عن سارقه لم أتشرف بمعرفة اسمه إلى الآن وأرجو منه فى حالة مطالعته لكتابى هذا أن يبادر بالكتابة إلي عن حقيقة شخصيته فاني فى شوق إلي لقائه والتحدث إليه ولا زالت صورته عالقة بذهنى ولا يظن أنى متكدر منه بسبب حادثته وتصرفه معى فلا كدر ولا استياء وأنا أسر الآن بلقاء كل من كانت له بى فى زمن اختفائى علاقة لأى ظرف كان ففى لقائه متعة وبلقائه حديث طريف

(المذكرة السادسة والثلاثون)

اغسطس عام ١٩٢٢

بعد حادثة ٢٧ يوليو زال كل تردد فى التمهل فى تنفيذ الخطة المقررة فى ذهنى ونشطت إلى الاسراع ما استطعت لهجر القاهرة فعزمت على البقاء مع الأسرة ريثما يحل أول أغسطس وأدفع حصتى فى إيجار المنزل وعندئذ أشرع فى تنفيذ ماعولت عليه ومضت الأيام يشبه بعضها بعضا مليئة بالكلام الكثير حول موضوع التجارة و يتخللها خروجى مع رمضان بين آن وآخر لرؤية الدكاكين الخالية واستصحبته مرة إلى أحد النجارين لأخذ الرأى فى تكاليف أخشاب المحال الجديدة وبذلك خيل إليهم أن تنفيذ الأمر أصبح قاب قوسين أو أدنى وساد فى الاذهان أن كل ما يشغل فكرى صباح مساء هو الاندماج فى سلك تجار القاهرة وفى يوم أول أغسطس دفعنا إيجار المنزل وفى اليوم الثانى كتبت خطابا خارج المنزل وضمنته أن ابن عمى الموجود بالفيوم يخبرنى أن والدى طريح الفراش يئن أنينا شديدا وأنه يلهج بذكرى بين حين وآخر وأن ابن عمى هذا يتوسل إلىّ توسلا حارا بأن أعود إلى والدى على جناح السرعة ويبلغنى فيه وعد والدى الأكيد بتنفيذ كل طلباتى ورغباتى المعروفة لدى الجميع على الفور . وفى ذيل الخطاب يذكر فيه مرسله أنه زار المريض اليوم فوجد حالته سيئة للنهاية وأنه ليس من المصلحة أن يموت الوالد فى غيبة ابنه ثم سطرت على الظرف عنوانى بدرب حلوات بسوق السلاح وألقيته بصندوق البريد . وفى اليوم الثانى خرجت من المنزل مبكرا وتعمدت التأخير إلي الظهر ولدى حضورى تصاعدت نداءات سريعة

أن قد وصل خطاب باسمك فأسرعت وفضضت غلافه وقرأته صامتا وفى الحال بدت علامات الكدر على وجهى وسكت لا أنبس ببنت شفة ولكنهم سألوا عن سبب الكدر وألحفوا فى السؤال وأخيرا قرأته على مسمع منهم فتظاهروا بالأسف الشديد وتوسلوا إلى الله بأن يمن عليـــه بالشفاء وعلىّ بالطمأنينة وزوال المكروه وقد أمضيت باقى النهار لا آكل ولا أتكلم إلا قليلا وتعددت اجتماعاتهم فيما بينهم وقد أُخذوا بالحيلة لسببين هما :

أولا — لأنهم على علم قديم بالحكاية المشهورة التى تروى أننى وحيد والدى وأننى تركته فى بلده لخصام قام على أثر وفاة والدتى وزواجه بأخرى إلى آخر ماهو مدون في فاتحة المذكرات .

ثانيا — ليقينهم أننى لم أكن فى الأيام الأخيرة أفكر فى والدى على الاطلاق بل كنت منصرفا بجزئياتى وكلياتى إلى مسألة افتتاح محل تجارى جديدلى بالقاهرة وعلى ذلك لا يكون خبر مرض والدى إلا خبراً مباغتا لم يكن يطرأ على بال أحد وأنه الحقيقة الخالصة . وأنه قطع علىّ سبيل التفكير فيما كنت أرغب فيه رغبة صادقة وأوقعنى فى الحيرة والارتباك .

ولهذين السببين خيل اليهم أن والدى قد قربت منيته وأننى سأرثه وعندئذ يتصل بهم أثر الغنى والنعمة وينتقلون من حال إلى حال . وحضر محمد حسن ليلتئذ إلى منزله فأمضوا معه فترة من الزمن يستعرضون فيها بعض الحوادث القريبة والبعيدة وعلى أثرها قابلنى وأظهر لى أسفه وكدره . ونمت تلك الليلة مبكراً وأخبرتهم أننى فى حيرة من أمرى وفى الصباح أخبرتهم أن فكرة أخرى قد خطرت على بالى : وذلك أن ابن عمى هذا الذى أرسل إلىّ الخطاب كثيراً ما يسعى جهده للتوفيق بينى وبين والدى وأخشى أن يكون خطابه هذا الذى أرسله إلىّ هو من هذا القبيل ليضطرني إلى السفر وعندئذ يمهدون الطريق للصلح الذى لا أخرج منه إلا بصفقة المغبون فلكى أزداد وثوقا من صحة الخبر قلت إننى عزمت على أن أحرر خطابا لابن عم لى آخر أستعلم منه

عن جلية الأمر وأستحلفه بالله أن يصدقني الخبر فاذا أفادني هو أيضا بخطورة الحالة فلا مناص إذن من السفر حرصاً على أمواله (وكمبيالاته) من الضياع .

اما إذا كان الخبر سابقاً لأوانه فلا حاجة الآن إلى السفر السريع فوافق الجميع على ذلك . ويقيني أنهم تمنوا أن يكون الخبر حقيقياً وأن يكون موته عاجلا وأن محمد حسن أوصاهم باخفاء فرحهم وإبداء كدرهم مع القيام بتنفيذ رغباتي كافة استبقاءً لأوامر الود والرضاء . وبناء على ذلك أرسلت ابن محمد حسن وهو ولد صغير بالمدارس الأوليه اسمه حسن محمد حسن ليشترى طابع بريد وورق خطاب ولما حضر انتحيت جانبا وكتبت خطابا ثم كتبت على الظرف ما يأتي : —

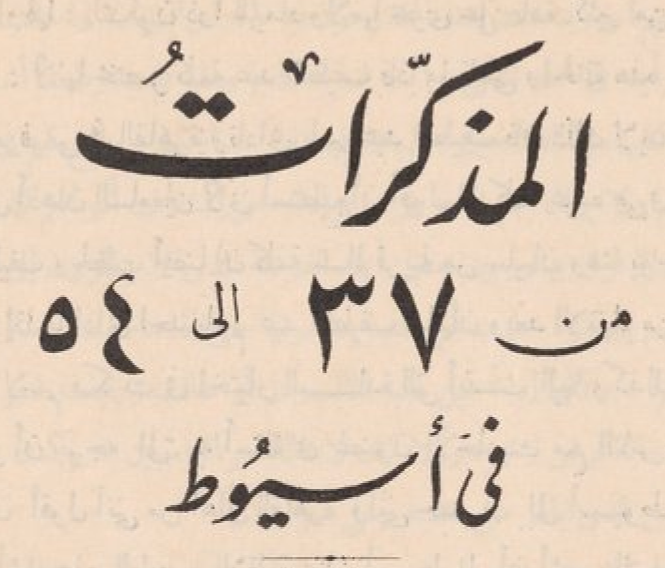
(إلى الشيخ على سليمان التاجر بشارع المحطه بالفيوم) وأعطيته إلى حسن هذا ليلقى به فى صندوق البريد وأنا واثق أنه سيقرأ العنوان وسيفيد أهله بالاسم وأنهم حالما يجدون اللقبين واحدا سيبعث ذلك فيهم ثقة واطمئناناً أما البوستة فستتصرف فى شأن الخطاب كما تتصرف عادة فى الخطابات التى لا يعلم مقر أصحابها أى أنها ستمزقه بمعرفتها بعد وقت معين . وبدخولنا فى هذا الطور الجديد من الأحوال المباغتة أوقف الكلام الدائر حول التجارة وفتح الدكان الجديد بالقاهرة . واستمر مظهرى يدين للسكون والكآبة فى داخل المنزل وخارجه وذهبت إلى عونى صانع الأحذية وأفضيت إليه بخطورة الحالة الصحية عند والدى واقترحت عليه شراء أدوات المحل ثانية وعلى ذلك قدرنا ما به بأربعة جنيهات وأخذتها منه وتنازلت له عن حقوقى فى دكانه . وفى يوم ٧ أغسطس كتبت خطاباً مذيلا بامضاء على سليمان ذكرت فيه أن والدى قد ألحت عليه الأمراض وأن جميع الأقارب يناشدوننى العودة سريعاً خشية وفاته ثم ألقيت به فى صندوق البريد بعد كتابة عنوانى على الظرف . وفى صباح ٨ منه بينما كنا جالسين نذكر الحوادث أبديت لهم رأيي فى تأخر الرد لهذا الوقت وأفدتهم بأن ذلك دليل على أن الوالد فى

صحة جيدة ، ولم يطل الوقت حتى وصل الساعى وبيده الخطاب فتلوته على مسمع منهم فساد سكون رهيب ومع ان الموقف تمثيل فقد أسلمت نفسى إليه فظهرت علامات الكدر الشديد على محياى وقلت على الفور لا بد من السفر غداً . ونهضت أبحث عن ملابسى فأخذوا بعضها ليغسلوها سريعاً وذهبت فأحضرت سلتين كبيرتين لوضع الملابس والكتب فيهما وفي الصباح التالى استيقظ محمد حسن من نومه مبكرا وحزم عفشى فى السلتين وربطهما جيداً وجلس يتحادث معى ففهم منى أننى سأذهب أولا إلى أحد أقاربى بالواسطى لاستعارة ملابس جديدة للبسها قبل التوجه الى الفيوم حيث أن ملابسى لا تلائم مركزى اذا كنت هناك وأنه لو كنت اعلم أن القدر سيسوقنى إلى الفيوم بمثل هذه السرعة لكنت فصلت لى ملابس جديدة منذ أمد بعيد فما كاد الرجل يسمع ذلك منى حتى ذهب فورا إلى غرفته وعاد يحمل بيديه جبة وقفطانا جديدين وأقسم علىّ مغلظا فى إيمانه لألبسنهما إلى حين العودة ، وقد لقيت صعوبة كبرى فى رد هذا العرض حتى قبل أن يعيدهما ثانية إلى غرفته ، ليت شعرى هل هناك دليل أقوى من ذلك على شدة اقتناعهم جميعا بصحة أقوالى ! لقد أثلج ذلك صدرى وزاد من طمأنينتى وذهب محمد حسن إلى حيث يشتغل واعدا بالحضور لمرافقتى إلى المحطة.

وفى الساعة الثالثة مساء عاد محمد حسن إلى المنزل وبقدومه دقت ساعة الوداع ، و يلوح لى أنهم أوصوا الزوجة بالبكاء والنحيب فاكفهرت الوجوه وكانت لحظة عصيبة !.. وشددنا رحالنا بين الأسى والعبرات إلى حيث موقف الترام وبعد قليل وصلنا إلى العتبة الخضراء فنزلنا وركبنا تراما آخر إلى المحطة وهناك أخذ محمد حسن العفش وانتظرنى على باب الدخول الى الوجه القبلى حتى اشتريت تذكرة إلى الواسطى ثم دخلنا واستقللت القطار وظل رفيقى واقفاً على النافذة من الخارج وأنا أقص عليه من الأنباء كثيراً وآخذ رأيه فيما هو مناسب من أنواع الهدايا التى آخذها معى من الواسطى إلى الفيوم وألمح

له من طرف خفى بأنه هو الذى سيكون عضدى فى حالة مالو قدر الله ووافت والدى منيته . وبعد مدة ليست قصيرة تحرك القطار وهو يذكرنى ويعيد تذكيرى بعدم التأخير فى إرسال الخطابات إليهم للأطمئنان وأنا أؤكد له حصول ذلك على أثر وصولى إلى الواسطى وأن ذلك سيكون فى الغد ثم ودعته وداعا حارا .

وفى أثناء سير القطار لم يحدث شىء سوى أن شخصا والى مروره من أمامى ذهابا وجيئة مرات عدة وكان فى كل مرة يسدد إلىّ نظراته فبقيت على حالى لا أغير منها شيئا ولا ابادله نظراته وكأن شيئا لم يحصل وأخيرا تقدم إلىّ مبتسما وقال ألست حضرتك من البدرشين ؟ : فابتسمت فى الحال وقلت كلا !.. أنا من مصر فذهب ولم يعد . ووالى القطار سيره حتى الواسطى فنزلت فيها ثم انتظرت قطاراً آخر وفى أثناء ذلك أخذت تذكرة أخرى إلى أسيوط فوصلتها فى الصباح الباكر من يوم ١٠ أغسطس عام ١٩٢٢ .



لم تكن المعيشة فى أسيوط فى مدى الثمانية عشر شهراً التى أقمتها فى تلك المدينة حافلة بالحوادث غير العادية بنفس القدر الذى كانت به فى القاهرة ولذا اقتصرت فى وصفها على خلاصة أسوقها جملة ليست متفرقة على شهريات كما كانت الحال فى وصف حياتى فى القاهرة والى حضرات القراء أهم ماوقع من الحوادث أجمعها تحت عناوين لا يقتصر كل منها على مدة وجيزة وإنما يمتد إلى نهاية مدة الاقامة بتمامها

ما انتحلته لنفسى من الاسم الجديد

كان أول ما عنيت به عقب وصولى إلى أسيوط هو اختيار اسم أطلقه على نفسى يكون مغايرا نوعا ما للاسم الذى أصبحت مشهورا به عند من يعرفوتى بالقاهرة وهو عبد اللطيف سليمان وذلك منعا لتسرب أخبارى إلى إلى القاهرة وقد انتهيت إلى جعل اسمى الجديد هو (عبده منصور سالم)

أى منصور على الحكومة وسالم منها . ووضعت اسم عبده فى صدر الاسم السببين أولهما : لتكون ذراً للرماد ولأنها تجرى على عادة كثير من الاسماء وثانيهما : لأنها مختصر كلمة عبد اللطيف فاذا ما قابلنى والحالة هذه أحد ممن كانوا يعرفوننى فى القاهرة وناداني باسم عبد اللطيف فان ذلك لايدع للشك سبيلا إلى أذهان السامعين لأنى أستطيع أن أقول ان كلمة عبده هى فى الاصل عبد اللطيف ولحظت أيضا أن كلمة سالم قريبة من سليمان وهنا يوجد مجال للكلام إذا ماناداني احد باسم عبد اللطيف سليمان وبعد الانتهاء من مرحلة اختيار الاسم فكرت فى اختيار البلدة التى أنتسب اليها وكذلك فى كل ما ينتظر أن توجه الىّ به أسئلة فى غضون الأحاديث مع الناس وأخيرا رأيت أن أقول أنني من أهالى القاهرة واننى حضرت الى أسيوط لأن بي مرضا وأشار علىّ الطبيب بالاقامة بمناخ أسيوط الى أن أشعر بالتحسن وقد اضطررت الى القول بأننى من القاهرة لأننى لحظت أن لغتى هى لغة الوجه البحرى وكذلك هيئتى العامة فلا يحسن الابتعاد كثيرا عن الحقيقة واذا كان لا بد من الانتساب إلى بلدان الوجه البحرى فاختيار البلاد الكبيرة أفضل من اختيار الصغيرة وبذلك وقع الاختيار على القاهرة

المهنة التى احترفت بها أمام الناس

أمضيت أياما طويلة فى بادىء الأمر متنقلا بين القهوات ومختلطا بالعامة إلى أن سمعت أن طبيبا في حاجة إلى (تمورجى) فقدمت نفسى إليه واستطعت أن التحق بخدمته وكان له مستشفي صغير وبالاحتراف بهذه المهنة استطعت أن أغشى مجالس أطباء أسيوط كافة وأن أختلط بكثير منهم ومن خدمهم وأن أعرف أحوالهم وأسرار عياداتهم وليس أحد كالخدم والطباخين وسواقي السيارات والممرضين ملما بالأسرار التى تخفى على الناس فى الخارج وكان من الأطباء الفاضل النزيه كما كان أحدهم من كبار أدعياء الصلاح

والوطنية يتكلم كثيرا عن الدين والسياسة ويتصدر الناس فى هذين الأمرين كأنه زعيم أبر ويتحدث عنه المخدوعون فيه بأنه ابن السياسة والحالب لشطريها فاذا ما رأيته فى عمله الطبي رأيت لسانا خادعا وقلبا قاسيا وطمعاً أشعبيا يؤم عيادته كثير من الفلاحين الجهلاء فيستغل سذاجتهم ويبالغ لهم فى وصف أمراضهم ولا يزال بهم يحجزهم فى عيادته حتى يستنزف أموالهم كما يستنزف دماءهم ولا فرق بينه وبين بعض أبناء الفرنجة الذين لا ينظرون إلى المصرى إلا نظرتهم إلى بقرة حلوب أو قصبة يمتصونها حتى إذا ماجفت عصارتها ألقوا بها فى اليم . وكان إذا أحيل عليه طالب علم أو طالب وظيفة لتقرير حالته أخذ منه مائة قرش رشوة وإلا كان لا محالة من الراسبين . وكان بعد ذلك هو البخيل الذى يقتر على نفسه وعلى سواه .

ألا أيها الشباب الناهض إن مصر ليست بحاجة إلى العلم والمال كما هى بحاجة إلى الخلق القويم والتربية الصحيحة . إن مصر لا تنال مكانتها بين الأمم حتى تكون الوطنية البريئة هى السر الدفين بين ضلوع أبنائها . وليست الوطنية هى إجادة الخطابة والكتابة أو شدة التصفيق وحسن صياغة القصيد أو المظاهر الخلابة والشهرة الكاذبة . كلا ما هذه كلها سوى وسائل قد يستغنى عنها وخطوات أولى لها ما بعدها . أما الوطنية الحقة فهى الفضيلة شائعة بين حنايا الضلوع . هى إلتزام حدود الواجب سرا وعلانية . هى العمل الصامت لخير مصر والانسانية ولو تجرد ذلك كله من مديح الناس وتقديرهم ، وأخيراً هى سجية الانتصار للحق والموازنة بين الصالح العام والصالح الخاص . .

حالتى المالية والصحية

تحسنت حالتى المالية باشتغالى فى خدمة الأطباء . أما الحالة الصحية فلم تكن حسنة لأن الآثار العصبية السيئة التى طرأت على جسمى من جراء المعيشة الفردية فى السنة الأولى من سنى الاختفاء عند القلعة بالقاهرة كانت

تعاودنى ولا أستطيع عليها غلبا ومن أجل ذلك كنت سريع التأثر والتألم من الحالة الخلقية السيئة التى كنت أراها بنفسى خصوصاً كلما تذكرت أننى مضطر لكسب عيشى والسكوت على مضض فى هذه الآونة الحرجة ، وأننى لا أستطيع هجر هذه الوظيفة والابتعاد عن كسب عيشى بغير طريق الأطباء لقلة مالى الذى لا أريد المغامرة به فى ميدان التجارة ولا أريد أن أرتبط بقيد ما . وكانت طبقة الأفندية تأنف من المسير معى طويلا ، لأننى فى نظرهم تمورجى لاغير . وكانت طبقة الخدم ومن إليهم لايجدون مايرغبهم فى المسير معى لأنهم جميعاً يدخنون الحشيش والدخان ويسكرون ويقامرون و يسب بعضهم بعضاً بأفحش السباب فمن ليس على شا كلتهم لا يألفونه ولا يألفهم ولذلك كنت أمضى أغلب أوقاتي وحيدا منعزلا رغم أن صحتى كانت تتطلب كثرة الكلام وكثرة الاجتماع بالناس وكانت العزلة والانفراد يضران بها ضرراً بليغا .

منوعـــات

كان وكيل مديرية أسيوط فى ذلك الوقت هو صاحب العزة ابراهيم رشدى قحه بك وحكمدار المديرية هو صاحب العزة أحمد سرور شريف بك وقد زارا العيادة مراراً وعرفانى معرفة أكيدة وكلفنى حضرة وكيل المديرية أكثر من مرة باستحضار أدوية معينة وتوصيلها إلى سيارته وركبت معه فى سيارته مرة بجوار السائق من العيادة إلى مخزن أدوية جاليتى بجوار المحطة وكان ينادينى باسمى سالم وكان إذا طلب الطبيب فى التليفون ورد عليه الخادم بعدم وجوده طلب إليه أن ينادى سالم ليكلم وكيل المديرية فى التليفون . هذا مع العلم بوجود المكافأة لمن يلقى القبض علىّ ووجود أوصافى وصورتى فى كل مديرية .

وكنت أشعر بارتياح زائد من وقوع أمثال هذه الحوادث وأتمنى المزيد

منها لأن العفو عنى يوما ما كان من الأمور التى تلوح فى أفق السياسة فاذا ما وقع أصبح سرد هذه الأخبار على مسامع الجمهور أو كتابتها فى كتاب من بواعث السرور والاغتباط

وقد ذهبت إلى البندر مرتين وكلمت المأمور بخصوص تجديد رخصة سيارة الطبيب وكان بعض سعاة المصالح يحضرون الخطابات الخاصة بالطبيب إلىّ فاتسلمها وأوقع لهم فى السركى بامضاء عبده سالم أو عبده منصور

كنت أعرف أخبار موظفى أسيوط وتنقلاتهم من قبل حضورى إليها، وذلك من كثرة قراءة الصحف. وكنت على يقين حسب ما وصلت إليه معلوماتى من أنه ليس هناك من يعرفنى ومنذ إقامتى بهذا البلد وأنا أبذل جهدى لمعرفة وجوه الأفندية كافة وبعد أن تمت لى معرفتهم جميعاً وأيقنت أنه ليس منهم من يعرف شخصيتى أمنت المسير فى الطرق إلى حد ما.

وكنت أعنى كثيراً بالتقاط أخبار تنقلاتهم منهم ومن الصحف ولم ألبس هناك غير الطربوش وكانت قصتى مع كل إنسان واحدة وكل مظاهرى وأحوالى يؤيد بعضها بعضاً بأننى من سكان القاهرة وأتيت للاستشفاء بمناخ أسيوط.

وذات يوم حدثت مشادة عنيفة بينى وبين شخص اسمه ابراهيم الدسوقى من خدم مأمورية الأوقاف فكنت وقتئذ مالكا لعواطفى ولم أتخر عليه بشىء قط بل انتهزت الفرصة وأيدت فى كلامى عند الصلح أننى مثله تماما وأنه يجب علينا أن نعيش فى صفاء وعرّفت من لم يكن يعرف سبب وجودى فى أسيوط وأنه إذا تحسنت حالتى الصحية لن أبقى فيها يوماً واحدا بل أعود إلى بلدى القاهرة.

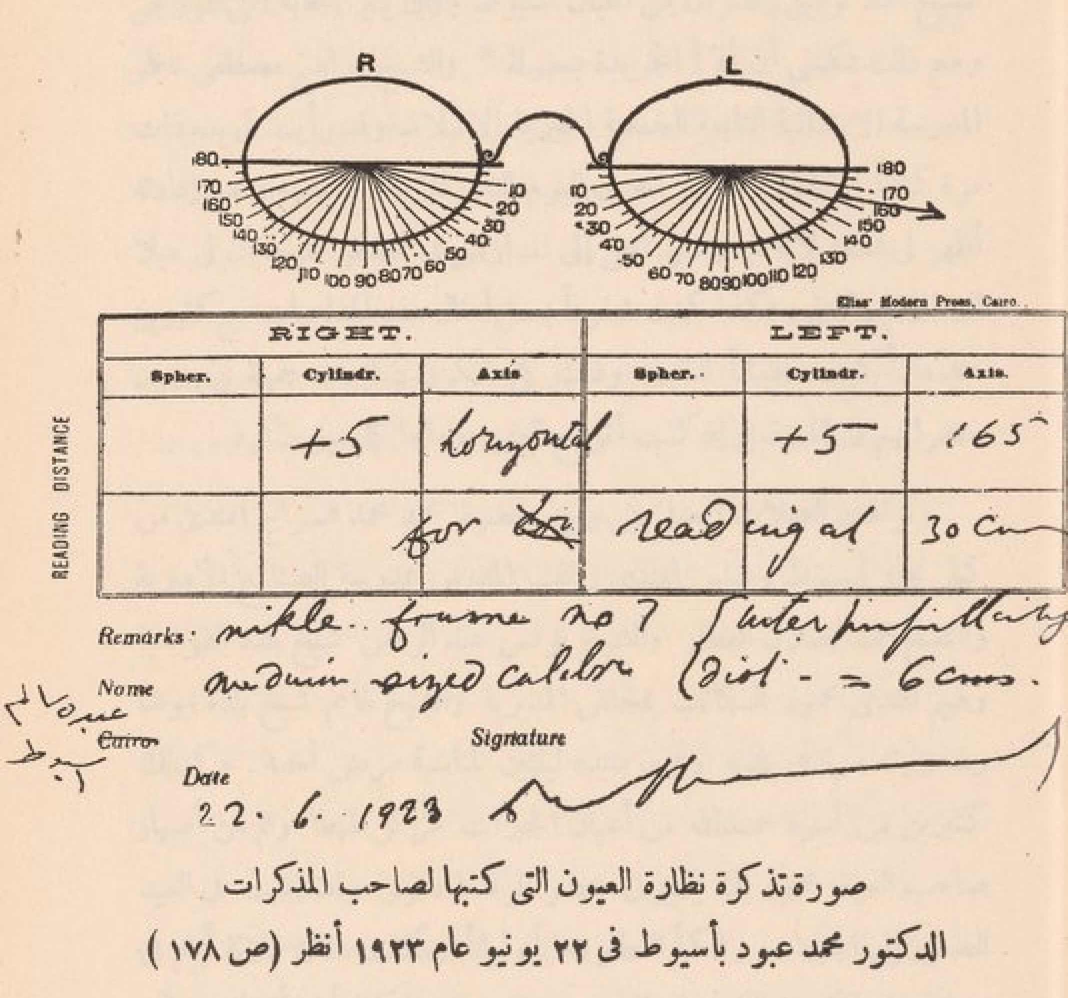
عرفنى جيدا معظم أطباء أسيوط وبخاصة حضرة الفاضل النزيه الدكتور محمد عبود طبيب العيون — وبلدته الأصلية دمياط — وقد نال هذا الطبيب

شهرة فائقة وثروة طائلة بفضل نزاهتــه وصدقه وحسن معاملته لمرضاه على اختلاف طبقاتهم وكان ذلك بعكس الطبيب الذى كان يغش الناس ويخدعهم طمعاً فى الغنى السريع فان عيادته أقفرت من المرضى وساء مصيره

ضعف بصرى كثيراً من جراء الانقطاع عن العالم حينما كنت مقيما فى المنزل الأول من منازل الاختفاء بالقاهرة وقد شعرت بذلك جلياً وأنا بأسيوط فلم أكن أستطيع القراءة كعادتى وعلى ذلك عرضت نفسى على الدكتور محمد عبود فى يونيو عام ١٩٢٣ فكتب لى تذكرة لنظارة للعيون.. وهاهى ذى تذكرة الطبيب منقولة إلى الكتاب بالزنكغراف وتجد اسمى المعروف بأسيوط مكتوباً بأسفلها إلى جهة يسار الناظر وهو (عبده سالم) اختصار (عبده منصور سالم) وهو مكتوب هنا بخط يد الدكتور نفسه

وكان الاتفاق قد تم بينى وبين الدكتور محمد عبود على أن يرسلنى ممرضا بعيادته التى افتتحها حديثاً بملوى ولكن ذلك الاتفاق وقع متأخراً ولم ينفذ لانتهاء أيام الاختفاء عند انقلاب الحالة السياسية وتأليف وزارة سعد باشا زغلول فى أوائل عام ١٩٢٤ فأفدته بأنى مسافر إلى أهلى بالقاهرة ولم يكن يدرى شيئاً أصلا عن ارتباط الحالة السياسية بشئونى . وكذلك عرفنى حضرات الصيادلة وأذكر منهم الخواجا قره بت حكيميان ولبيب أفندى الميرى والخواجا جورج اليونانى وكذلك عرفنى جميــع موظفى مأمورية الأوقاف وخصوصاً حضرة مأمورها محمد بك حسنى وكنت أتردد على منازل الكثيرين من الأعيان لتحصيل نقود خاصة بزيارات الأطباء وأذكر منها منزل خشبة باشا وثابت بك ومحمود بك بسيونى * وابراهيم بك ممتاز المحامى وكثيرين غيرهم وكان يتردد على العيادة كثيرون من الأعيان والأهالى وقد

(*) وقد قبض عليه ونفى وأنا موجود بأسيوط وعاد من النفى وأنا لا أزال بأسيوط أيضاً وقد كنت ضمن الجمع الحاشد على المحطة لاستقباله عند عودته وكذلك عند عودة حضرة سينوت بك حنا من جزيرة سشل



R L

180 170 160 150 140 130 120 110 100 90 80 70 60 50 40 30 20 10

Elias' Modern Press, Cairo.

RIGHT.			LEFT.		
Spher.	Cylindr.	Axis	Spher.	Cylindr.	Axis.
	+5	horizontal		+5	165°
		for ~~the~~	reading at		30 cm

READING DISTANCE

Remarks: nikle frame no 7 {inter pupillarity
medium sized calibre {dist = 6 cms.

Name: عبد السلام

Cairo: أسيوط

Signature

Date
22. 6. 1923

صورة تذكرة نظارة العيون التى كتبها لصاحب المذكرات
الدكتور محمد عبود بأسيوط فى ٢٢ يونيو عام ١٩٢٣ أنظر (ص ١٧٨)

توثق حبل المعرفة بيني وبين كثيرين من حضراتهم أذكر منهم حضرات الشيخ محمد توفيق رضوان من أعيان أسيوط وكان يشير إعجابه أنني تمورجي ومع ذلك يمكنني أن أقرأ الجريدة بسهولة * والشيخ ابراهيم مصطفى ناظر المدرسة الابتدائية التابعة للجمعية الخيرية الاسلامية وقد رأيت في يده ذات مرة كتاباً في الطب فطلبته منه في اليوم التالي للاطلاع عليه وعند إعادته أظهر لي أسفه لأنه لم يرسلني أهلي إلى المدارس في الصغر حيث أن لي ميلا للاطلاع والتعلم وهكذا كنت شغوفاً بعمل أمثال هذه المداعبات مع كثيرين عندما أكون مطمئناً للنتيجة وذلك كي تكون ذكريات جميلة بيني وبين حضراتهم في المستقبل إذ كنت أتوقع العفو يوما ما كما سبق ذكره .

وتوثقت الصلات أيضاً بيني وبين حضرة محمد محمد السراج افندي من كبار تجار أسيوط وعباس افندي راغب المدرس بمدرسة الصنائع الأميرية والشيخ محمد جلال العطار والشيخ يونس عبد الرحمن شيخ بلدة القوصية وفهيم افندي محمود الكاتب بمجلس المديرية والشيخ غانم شيخ بلدة موشا وقد زرته مرة في بلدته ونمت عنده ليلتين لمناسبة مرض أخيه . وكذلك كثيرين من أسرة حمدالله من أعيان الجبرات مركز طهطا وهم من أصهار صاحب العزة محمود بك بسيوني عضو الوفد المصري وقد ذهبت في العيد الصغير إلى الجبرات راكباً القطار ذهاباً وإياباً ومكثت هناك ثلاثة أيام في ضيافة هذه الأسرة الأخيرة ولقيت من حضراتهم إكراماً لا أنساه مع أني في نظرهم تمورجي لا أكثر وازدادت الصلات كثيراً بيني وبينهم بعد ذلك حتى صار أبناؤهم وهم تلاميذ بالمدرسة الابتدائية الأميرية بأسيوط يترددون علىّ كثيراً بالعيادة لقضاء بعض مصالحهم. وقد زرت كذلك في أيام متفرقة كثيراً من قرى مركز أسيوط ورغم هذه الزيارات والمقابلات فان الحذر

(*) اقرأ في آخر الكتاب تقريراً مقدما من حضرة الشيخ محمد توفيق رضوان بخط يده وهو منقول الى الكتاب بالزنكغراف

الخفى — ذلك الحذر الذى لاتبدو آثاره للناظرين وإنما تعرفه النفس فى قرارها الدفين — لم يكن يفارقنى لحظة كأنه من طول عهدى به قد امتزج بالشعور فأصبح سجية لتصرفاتى دون عمد فبينا أنا أقابل الناس وأشد الرحال إليهم إذا بالشك يقص أطراف اليقين وإذا بحدة التفكير لاينضب لها معين وإن خفف من غلوائها فعل الأيام والسنين وماتتركه العادة للعقل والأعصاب من المران والاستئناس بالواقع الذى ينقلب لها أليفاً على أننى لم أغتر يوماً واحداً بطول عهد النجاة بل كنت أستعيد فى ذهنى بين آونة وأخرى أسباب النجاح الماضية وأناقشها الحساب استعداداً للأيام الآتية ولم يكد عقلى يتذوق طعم الراحة هوناً ما ويخفف عن عاتقه أشد أحماله ثقلا من الحيطة والحذر إلا بعد أن أشرف عام ١٩٢٣ على الانتهاء وودعه المصريون قاطبة وداعاً جميلا ليستقبلوا بثغور باسمة زهرة عام ١٩٢٤ التى تفتحت أكمامها عن الاستعداد لاجراء انتخابات حرة لأول برلمان مصرى حقيقى فى العهد الحديث. وكان من المقرر فى الأذهان أن الوفد المصرى برياسة رئيس الأمة الجليل سعد باشا زغلول سينال الأغلبية الساحقة فى معركة الانتخابات. وكان من الثابت أيضاً طبقاً للتصريحات العديدة أن من أولى أعمال وزارة الزعيم الخالد سيكون استصدار عفو شامل لجميع المحكوم عليهم سياسياً.

وإذ بزغت شمس ذلك العام تبدد الجانب الأكبر من ظلمات الشكوك وغدا أريج العفو يعبق بالآفاق، كما بات الأمل بتحقيق الأمانى الوطنية خطف الراحتين وكان من آثار ذلك أن ازدادت نسبة خروجى إلى ساحات المدينة واختلاطى بأهلها وجلوسى فى بعض قهواتها البارزة وأسقطت خشية البوليس من حسابى نهائيا.

المذكرة الخامسة والخمسون

شهر العفو

مارس عام ١٩٢٤

فى يوم ٢٨ يناير عام ١٩٢٤ تسلمت وزارة سعد باشا زغلول مقاليد الحكم فى البلاد ورفعت البرنامج الآتى إلى صاحب الجلالة الملك ، وهو :

مولاى صاحب الجلالة

إن الرعاية السامية التى قابلت بها جلالتكم ثقة الأمة ونوابها بشخصى الضعيف توجب علىّ — والبلاد داخلة فى نظام نيابى يقضى باحترام ارادتها وارتكاز حكومتها على ثقة وكلائها — ألا أتنحى عن مسئولية الحكم التى طالما تهيبتها فى ظروف أخرى ، وأن أشكل الوزارة التى شاءت جلالتكم تكليفى بتشكيلها من غير أن يعتبر قبولى لتحمل أعبائها اعترافا بأية حالة أو حق استنكره « الوفد المصرى » الذى لاأزال متشرفا برياسته .

إن الانتخابات لأعضاء مجلس النواب أظهرت بكل جلاء إجماع الأمة على تمسكها بمبادىء الوفد التى ترمى إلى ضرورة تمتع البلاد بحقها الطبيعي فى الاستقلال الحقيق لمصر والسودان مع احترام المصالح الأجنبية التى لاتتعارض مع هذا الاستقلال كما أظهرت شدة ميلها للعفو عن المحكوم عليهم سياسيا ونفورها من كثير من التعهدات والقوانين التى صدرت بعد إيقاف الجمعية التشريعية ونقصت من حقوق البلاد وحدت من حرية أفرادها وشكواها من سوء التصرفات المالية والادارية ومن عدم الاهتمام بتعميم التعليم وحفظ الأمن وتحسين الأحوال الصحية والاقتصادية وغير ذلك من

وسائل التقدم والعمران فكان حقا على الوزارة التى هى وليدة تلك الانتخابات وعهدا مسئولا منها أن توجه عنايتها إلى هذه المسائل الأهم فالمهم منها وتحصر أكبر همها فى البحث عن أحكم الطرق وأقربها إلى تحقيق رغبات الأمة فيها وإزالة أسباب الشكوى منها وتلافى ماهناك من الأضرار مع تحديد المسئوليات عنها وتعيين المسئولين فيها وكل ذلك لايتم على الوجه المرغوب إلا بمساعدة البرلمان. ولهذا يكون من أول واجبات هذه الوزارة الاهتمام باعداد مايلزم لانعقاده فى القريب العاجل وتحضير مايحتاج الأمر إليه من المواد والمعلومات لتمكينه من القيام بمهمته الخطيرة الشأن.

وقد لبثت الأمة زمانا طويلا وهى تنظر إلى الحكومة نظر الطير إلى الصائد لا الجيش إلى القائد وترى فيها خصما قديرا يدبر الكيد لها لا وكيلا أمينا يسعى لخيرها وتولد عن هذا الشعور سوء تفاهم أثر تأثيرا سيئا فى إدارة البلاد وأعاق كثيرا من تقدمها فكان على الوزارة الجديدة أن تعمل على استبدال سوء الظن بحسن الثقة فى الحكومة وعلى إقناع الكافة بأنها ليست إلا قسما من الأمة تخصص لقيادتها والدفاع عنها وتدبير شؤونها بحسب مايقتضيه صالحها العام.

ولذلك يلزمها أن تعمل مافى وسعها لتقليل أسباب النزاع بين الأفراد وبين العائلات وإحلال الوئام محل الخصام بين جميع السكان على اختلاف أجناسهم وأديانهم كما يلزمها أن تبث الروح الدستورية وتعود الكل إحترام الدستور والخضوع لأحكامه وذلك إنما يكون بالقدوة الحسنة وعدم السماح لأى كان بالاستخفاف بها والاخلال بما تقتضيه . . .

هذا هو بروجرام وزارتى. وضعته طبقا لما أراه وتريده الأمة شاعرا كل الشعور بأن القيام بتنفيذه ليس من الهنات الهينات خصوصا مع ضعف قوتى. واعتلال صحتى ودخول البلاد تحت نظام حرمت منه زمنا طويلا

ولكنى أعتمد فى نجاحه على عناية الله وعطف جلالتكم وتأييد البرلمان ومعاونة الموظفين وجميع أهل البلاد ونزلائها .

وأعقب تشكيل وزارة الأمة تنفيذ الافراج عن جميع المحكوم عليهم سياسيا ، واقتصر العفو والافراج على الذين كانت تهمتهم الاعتداء على مصريين أما الذين اعتدوا على الانكليز فلم يفرجوا عنهم ، وبدءوا بمن كان الحكم عليهم صادرا من محاكم عسكرية بريطانية بموجب الأحكام العرفية ، ولما كان العفو عن الذين صدر الحكم عليهم من محاكم الجنايات المصرية مثلى يحتاج إلى قرار خاص من مجلس الوزراء أو تقديم التماسات من وزارة الحقانية إلى السراى لاستصدار عفو ملكى عنهم أبطأ صدور العفو عنى ولم يصدر طوال شهر فبراير ولم أدر أنا السبب فى ذلك على وجه التعيين ، إلا أن الصحف فى غضون هذه المدة كانت تؤكد جميعا أن العفو سيشمل جميع المحكوم عليهم سياسيا سواء أكان الحكم صادرا من محاكم عسكرية أو من محاكم أهلية ولذلك كانت النفس مطمئنة إلى أن سبب الابطاء لا بد أن يكون شيئاً آخر غير الاحجام عن التنفيذ ، واستمر الأمر كذلك إلى أن رأيت ملخص العفو عن زميلى فى القضية وهو الشيخ سيد على محمد منشورا فى جريدة الاهرام فى يوم ٢٦ فبراير عام ١٩٢٤ ، أما نص العفو بأكمله فقد جاء فى جريدة الوقائع المصرية (الجريدة الرسمية) عدد ٢١ فى يوم الخميس ٢٣ رجب عام ١٣٤٢ الموافق ٢٨ فبراير عام ١٩٢٤ وهو :

أمر ملكى رقم ٢٣ لسنة ١٩٢٤

بالعفو عن باقى العقوبة المحكوم بها على سيد على محمد فى قضية النيابة نمرة ٥٠٤ (الرمل عام ١٩١٩)

نحن ملك مصر

بعد الاطلاع على كتاب وزارة الحقانية المؤرخ ٢١ فبراير عام ١٩٢٤

رقم ١٠٥ الوارد لديوانا بالتماس العفو عن باقى مدة العقوبة المحكوم بها على سيد على محمد فى قضية النيابة نمرة ٥٠٤ (الرمل سنة ١٩١٩) من محكمة جنايات اسكندرية فى ٢٣ فبراير عام ١٩٢٠ لشروعه عمدا فى قتل حضرة صاحب الدولة محمد سعيد باشا يوم ٢ سبتمبر عام ١٩١٩ بجهة شارع جناكليس بقسم الرمل بالاسكندرية

أمرنا بما هو آت

(١) يعفى عن باقى مدة العقوبة المحكوم بها على سيد على محمد من محكمة جنايات الاسكندرية فى قضية النيابة نمرة ٥٠٤ (الرمل سنة ١٩١٩) المتقدم ذكرها .

(٢) على وزير الحقانية تنفيذ أمرنا هذا

صدر بسراى عابدين فى ١٨ رجب عام ١٣٤٢ (٢٣ فبراير عام ١٩٢٤)

فؤاد

وعند قراءة ملخص ذلك العفو فى الصحف لم أدرك السبب فى عدم شمول الأمر الملكى لاسمى أسوة باسم زميلى واقتصار العفو عليه وحده ولو أنه عفو عن العقوبة وليس عن الجريمة وانتظرت ورود اسمى فى الصحف عاجلا ولما أبطأ كثيراً سافرت إلى القاهرة وأنا مملوء ثقة بأن الجوصحو لاغيم فيه ولابد أن يكون هناك سبب لا أعلمه لهذا الابطاء ولا خوف منه على الاطلاق طبقاً للبرنامج الرسمى للوزارة

وفى صبيحة يوم الأحد ٣ شعبان عام ١٣٤٢ الموافق ٩ مارس عام ١٩٢٤ ظهرت فى القاهرة بشخصيتى الحقيقية لأول مرة منذ الاختفاء وتوجهت إلى وزارة الحقانية وقابلت حضرة صاحب العزة محمد بهى الدين بركات بك مدير مكتب معالى وزير الحقانية وأعلمته بحقيقة شخصيتى وحقيقة موقفى فأبدى اهتماماً أشكره عليه وقابل معالى الوزير ثم حضر وأفهمنى أنهم لم يهملوا أمرى مطلقاً وإنما هناك فرق بين موقفى وموقف زميلى الآخر فى القضية

وذلك أن الحكم الصادر ضدى كان غيابياً لا حضوريا كحكم زميلى الشيخ سيد والحكم الغيابى لا يعتبر نهائيا لاحتمال الطعن فيه ولذلك لا يحتاج إلى عفو ملكى كالحكم الحضورى وأنه كان هناك تفكير جدى فى حل موضوعى إلا أنهم كانوا يعتقدون أننى مقيم بأوربا وأن التأخير فى الاجراءات لا يضر بحريتى كما يضر شخصا موجودا فعلا بمصر ثم تحادث معى مليا بخصوص البوليس السرى فى مصر وعما إذا كانت هناك نقط ضعف لحظتها عليه فى زمن اختفائى فسردت لعزته طرفا من حكايتى ومن آرائى الخاصة فيما يجب إدخاله من الاصلاح على نظام البوليس السرى في مصر فطلب إلىّ أن اكتب مذكرة وافية في هذا الشأن فوعدته أن أفعل ذلك فى حالة واحدة فقط وهى حالة نجاح سعد باشا فى المفاوضات السياسية ونيل البلاد استقلالها الحقيق. وقد قطع حديثنا جرس التليفون واضطرار عزته إلى القيام إلى جهة أخرى وعلى أثر خروجه أقبل كثيرون من حضرات الموظفين للتسليم علىّ مؤكدين لى انهم كانوا على ثقة تامة بأننى مقيم بأوربا لا بمصر ثم قابلت حضرة صاحب المعالى وزير الحقانية محمد نجيب الغرابلى أفندى فأحسن مقابلتى وقد ألقيت أمام معاليه خطبة قصيرة مفادها أن قد تعاقبت على كراسى الحكم ست وزارات وقد فشلت جميعها فى إلقاء القبض علىّ حتى أذن الاله بتقليد الأمر لوزارة الأمة فطوقت جيد المحكوم عليهم سياسيا بمنة العفو وها أنا أخرج اليوم من مخبئى بمحض رغبتى شاكراً للوزارة حسن صنيعها وعند ذلك هنأنى معاليه مراراً برد حريتى إلىّ فخرجت من عنده شاكرا.

وقد حضر فى هذه اللحظة صاحب العزة النائب العمومى بالنيابة وهو حضرة على بك عزت وذلك لغياب النائب العمومى محمد ابراهيم بك بالاسكندرية واستصحبنى معه إلى دار نيابة الاستئناف وحرر محضر ظهورى وتقرر حفظ القضية قطعيا وأخطرت على الفور جميع النيابات ومراكز البوليس فى القطر بخبر ظهورى وبعدم التعرض لى

وقد صورت فى هذا اليوم وها هى ذى الصورة

وكتبت الصحف عامة نبأ ظهورى وجاء فى جريدة الأهرام فى عددها المؤرخ يوم الاثنين ١٠ مارس عام ١٩٢٤ ما يأتى :

بين المسجونين السياسيين

(ظهور سجين غائب)

(ظهر فى القاهرة فجأة أمس محمد شكرى الكرداوى أفندى أحد طلبة مدرسة الطب المحكوم عليه غيابيا بالسجن مع الشغل ١٥ عاما فى قضية محاولة قتل صاحب الدولة محمد سعيد باشا فى سنة ١٩١٩ فى رمل الاسكندرية وهو فى كرسى رياسة الوزارة المصرية والذى كانت وزارة الداخلية قد عينت ٥٠٠ جنيه مكافأة لمن يعتقله أو يرشد إليه وقد توجه إلى معالى وزير الحقانية فى مكتبه فأحسن معاليه مقابلته وهنأه برد حريته إليه وخرج من لدنه ولسانه معطر بالشكر والدعاء)

وكتبت جريدة البلاغ فى يوم الثلاثاء ١١ مارس عام ١٩٢٤ ما يأتى :

(كان من المحكوم عليهم فى قضية الاعتداء على حضرة صاحب الدولة محمد سعيد باشا سنة ١٩١٩ طالب طب يدعى محمد افندى شكرى الكرداوى حكم عليه غيابيا بالأشغال الشاقة المؤقتة مدة ١٥ عاما وجعلت وزارة الداخلية مكافأة مقدارها ٥٠٠ جنيه مصرى لمن يرشد إليه أو يقبض عليه . وقد عرف القراء أن المحكوم عليهم فى هذا الاعتداء السياسى قد شملهم العفو السامى وأفرج عن المسجونين منهم ومن ثم قدم الكرداوى افندى نفسه قبل ظهر يوم الأحد إلى معالى وزير الحقانية فأمنه معاليه على حريته وهنأه بردها إليه)



صورة صاحب المذكرات

وهى صورة يوم تطبيق العفو وانتهاء الاختفاء

صورت فى يوم ٩ مارس عام ١٩٢٤

بعض فكاهات طريفة كتبتها جريدة السيف فى عددها رقم ٤٧٩ فى يوم الأحد ١٣ ابريل عام ١٩٢٤ بمناسبة حوادث اختفائى وظهورى فجأة فى القاهرة ، وقد ألمت منى بطرف من التفاصيل وهى :

(ظهر فجأة محمد افندى شكرى الكرداوى الطالب بمدرسة الطب الذى حكم عليه غيابيا بخمس عشرة سنة فى قضية سياسية سنة ١٩١٩ ولم يهتد البوليس إليه وقد قدم نفسه إلى معالى وزير الحقانية فأحسن مقابلته وهنأه برد حريته إليه) — الأهرام

السيف — كنت فين ياحلو غايب عن عيونى لك زمان

(قيل لأحد رجال البوليس لما محمد افندى شكرى الكرداوى كان متنكرا بشكل شيخ كنتم بتقولوله إيه قال كنا بنقول له — خد لك طيه)

(ظهر محمد افندى شكرى الكرداوى فقبض عليه البوليس وسلمه لبواب منزله)

(قبل أن يظهر محمد افندى شكرى الكرداوى استدعت النيابة رئيس البوليس السرى وقالت له الكرداوى لسه مادخلش السجن فقال — ينفلق واحنا مالنا)

(ظهر محمد افندى شكرى الكرداوى فأظهر البوليس استعداده للبحث عنـــه)

(قالوا للكرداوى إزاى نفدت من إيد بدر الدين قال — نفدت من عينـــه)

(كان الكرداوى أثناء الاختفاء عامل رمال وكان البوليس يروح له يضرب الرمل عشان يعرف له طريقه)

وفى يوم ١٠ مارس عام ١٩٢٤ حظيت بمقابلة صاحب الدولة سعد باشا زغلول فى بيت الأمة لتقديم واجب الشكر إليه ، وفى يوم ١٤ مارس سافرت إلى المنصورة وكانت محطتا طلخا والمنصورة غاصتين بالمستقبلين وكانت المسافة بين محطة المنصورة وبين منزلى تقطع على الأكثر فى ١٥ دقيقة ولكن السيارة فى هذا اليوم لم تصل إلى منزلى إلا بعد مرور ساعة ونصف الساعة تقريبا وذلك لتكرار وقوفها فى الطريق استماعا لأقوال الخطباء ، وكان الطلبة الكشافة يتقدمون السيارة وينادون بنداءات مختلفة منها (ليحي الدكتور شكرى) ولكن الواقع أن كلمة شكرى كانت تمر على ذهنى كأنها كلمة غريبة عنى تقال لشخص غيرى ، وذلك لأن النسيان كان قد سحب عليها ذيولا كثيفة وكنت لا أزال متأثرا باسم عبده منصور سالم الذى اشتهرت به فى اسيوط ، وهنا لا يسعنى إلا تقديم أجزل عبارات الود والاخلاص لحضرتى الأستاذين حسن عبد الوهاب وصالح رمزى اللذين قاما بتنظيم الاستقبال على المحطة وفى المنزل خير قيام .



خاتمة

(١) كنت يوم ظهوري عقب الاختفاء مثقلا بالأمراض وقد اختفى بعضها وأزمن البعض الآخر وكان وزن جسمي فى ذاك اليوم ٦٣ كيلو جراما ورقم ياقة رقبتى ٣٣ ، وما فتئ التحسن فى الصحة يضطرد بمرور الأعوام حتى بلغ وزنى بعد أربع منها زهاء التسعين وأصبح من العسير أن ألبس ياقة رقمها أقل من الأربعين . وبمقارنة الصور المختلفة المثبتة فى هذا الكتاب يستطيع القارئ أن يرى الفروق الكبيرة بين التغيرات الجسمية ورغم ذلك قد أزمنت بعض العلل كضعف الساقين وضعف البصر والامساك المتواصل وسرعة الغضب بنسبة أكثر من ذى قبل وقد دفعتنى الاعتبارات الصحية إلى كثرة غشيان المجالس والنفور من الوحدة والاقلال من التفكير والقراءة وبخاصة فى الأعوام الأولى التالية لعودتى إلى الحياة المعتادة وقد توظفت بوزارة المعارف فى اكتوبر عام ١٩٢٤ وحصلت على دبلوم المعلمين العليا فى عام ١٩٣٠

(٢) كان لى قبل الاختفاء اثنا عشر فدانا مستأجرة بزمام طلخا ومزروعة قطنا وقد صادرتها الادارة بأمر السلطة العسكرية وباعت محصولها بأبخس الأثمان فى عام ١٩١٩ الذى ارتفع فيه سعر القطن حتى بلغ الأربعين جنيها للقنطار الواحد ، ولا أريد أن أقص على القراء الأنباء المكدرة التى تخللت تلك المصادرة وذلك البيع وإنما أكتفى بالقول بأن الادارة تكرمت بوضع عشرة جنيهات باسمى فى مديرية الغربية باعتبار أنها المبلغ الذى تبقى لحسابى من هذا كله وقد ذهبت إلى مديرية الغربية فى مايو عام ١٩٢٤ لأخذ

المبلغ وإذا بى أرى صاحب العزة رشدى بك قحه وكيل مديرية اسيوط قد نقل من اسيوط إلى الغربية فكتبت طلبا وتعمدت الدخول إليه ، فلما قرأ فى الطلب أننى الذى حكم عليه فى عام ١٩١٩ بالأشغال الشاقة خمسة عشر عاما فى قضية الاعتداء على محمد سعيد باشا وأن لى مبلغا مودعا بالمديرية منذ ذاك العهد ، أطال النظر فى وجهى وقال يخيل إلىّ أننى رأيتك سابقا ولكنى لا أذكر أين رأيتك فأحببت أن أطيل فترة الاستغراب ولذلك أجبته كلا لم ترنى مطلقا قبل الآن ثم دار الحديث بيننا حول طرق الاختفاء وما يتوسل به المختفون لتغيير معالم وجوههم وقال أظن أنك أطلت لحيتك ووضعت نظارات سوداء على عينيك ، فأجبته بأن التجربة أرشدتنى إلى أن المبالغة فى إخفاء معالم الوجه وتغيير الانسان نظام حياته حتى يصبح مخالفا لما درج الناس عليه كل ذلك مجلبة الضرر لا سبيل النجاه خصوصا وإن إطالة اللحية ولبس النظارات هى الوسائل التى تخطر فى ذهن كل فرد بادئ ذى بدء فلا بد من اتخاذ وسائل بعيدة عن متناول التفكير العادى ووسائل الاختفاء المجدية ليست هى تغييرات مادية فحسب ، وإنما أكثرها آت من ناحية الصفات الفطرية في الشخص المختفى كمتانة الجهاز العصبى وسرعة البداهة والحماسة التى تهب الانسان صبرا طويلا ويعاون ذلك كله ظروف حسنة . وفى نهاية الحديث أظهرت لحضرته صحة نظره من أنه رآنى قبل هذا الوقت ، وقلت أنا الذى كنت ممرضا باسيوط وكنت أسير وراءك أحيانا واخاطبك فى التليفون مرارا باسم سالم ، أى سالم منكم ، فضحك كثيرا وأظهر دهشة كبرى من هذه المفاجأة وأحب لو أزوره مرة أخرى فى المنزل ليتباحث معى طويلا وكان رئيس حسابات المديرية قد عاد فى أثناء ذلك وأفاد بأن المبلغ سيحول إلى مديرية الدقهلية لصرفه منها لأن اجراءات الصرف ستطول بضعة أيام فاستأذنت وخرجت شاكراً ولم أتشرف بمقابلته مرة أخرى منذ ذلك الوقت إلى طبع هذا الكتاب

(٣) كان لى قبل الاختفاء أصدقاء كثيرون كنت أظن أن بعضهم عدة لى وقت الشدائد فاذا بمالى أصبح وقت اختفائى والحكم قائم ضدى نهبا مقسما بينهم ولا أذكر لحضرات القراء جميع حوادث التبديد والنصب التى منيت بها وقت اختفائى من كثير من هؤلاء. وإنما اكتفى بذكر أدنأ حادثة وقعت وذلك أن سيدة من بيت كريم كانت مدينة لى قبل الاختفاء بمبلغ ٦٠ جنيها فلما اختفيت لم أغب عن ذكرها وكانت تسأل عن أخبارى بين حين وآخر أحد أقاربها الذى كانت تعتقد أنه الصديق المخلص لى لما كانت تراه بيننا من الصلات المتينة فانتهز قريبها هذا فرصة اهتمامها بأخبارى وعطفها علىَّ وذهب ذات يوم وأسر إليها أننى موجود بسويسرا وأننى أرسلت إليه خطابا أطلب إليه فيه أن يتسلم منها الستين جنيها ويرسلها إلىَّ بسويسرا بطريقة خاصة زعم أننى شرحتها له فى خطابى إليه فما كان من السيدة إلا أن دفعت له المبلغ بعد أيام قليلة ولم ترتب فى ذرة مما قاله لها فأخذ هذا النصاب المبلغ لنفسه خاصة ثم أفادها بأن المبلغ أرسل لصاحبه وتصادف أن سأله بعض أقاربى فى مرة من المرات عما إذا كان يعلم بأى مبلغ لى عند أحد من الناس فأفادهم بلهجة التأكيد بأننى استرددت كل ما كان لى بطرفه قبل حادثتى وأنه لا يعلم شيئا عن أى مبلغ آخر .

وعند انتهاء الاختفاء وحضورى إلى المنصوره كان هذا الشخص أول من خف للقائى والترحيب بى وأخيرا اتضحت الحقيقة وكان منه بكاء مر وتوسل حار طالبا التستر على فعلته وعدم إذاعتها أو شكايته لرؤسائه وقد كتب المبلغ فى سند ضمن مبالغ أخرى لا تزال لها مشاكل قائمة إلى وقت تقديم هذا الكتاب إلى الطبع وقد توفيت السيدة غاضبة منه كارهة لذكراسمه ولا جدال عندى في أن هذا الشخص وأمثاله قد تورطوا فى الاعتقاد بأن عودتى إلى بلدى أصبحت ضربا من المحال وأننى سأقضى نحبى بشكل من الأشكال سواء أكنت في داخل القطر المصرى أو فى أوروبا لما يعلمونه من ضعف صحتى قبل

الحوادث فسولت لهم انفسهم الخالية من الضمير والانسانية أن يرتكبوا ما ارتكبوه

(٤) كنت أغشى بيت الأمة كثيراً فى عام ١٩٢٤ وذات يوم بينما أنا جالس مع صديق العزيز على افندى أحمد شكرى الكاتب الشهير وصاحب جريدة المبادئ وإذا بمحمد سعيد باشا — وكان وزيراً للحقانية بعد أن رضى عنه سعد باشا زغلول وأدخله فى وزارته لظروف خاصة — دخل فى بيت الأمة ولما كان جليسى على معرفة تامة به ذهب للتسليم عليه وما لبث أن نادانى لتقديمى إليه فأقبلت عليهما وأنا أعرف أنها مقابلة تاريخية ولأول مرة وضعت يدى فى يد سعيد باشا ثم جلست معهما فى الغرفة التى بها مكتب سعد باشا وكان كل منا كثير النظر والتحديق فى وجه الآخر دون أن يوجه اليه كلمة واحدة واقتصر الحديث عليهما وحدهما وبعد مضى ربع ساعة استأذنت وخرجت وخرج على افندى معى.

وقد تقابلت مع سعيد باشا فى بيت الأمة مرة أخرى وهو لايزال وزيراً فما أن وقع نظره علىّ حتى ابتسم وقال: هل هناك مؤامرة أخرى يا كرداوى فقلت ضاحكا كلنا الآن جنود سعد باشا.

(٥) كنت تزوجت مرتين بالقاهرة فى أثناء الاختفاء والآن أقص على حضرات القراء ماتم فى العلاقة بينى وبين كل منهما فالأولى كانت مطلقة وقد تزوجت بآخر من بعدى وأنا لا أزال مختفيا وبعد انتهاء الاختفاء وظهورى فى الحياة الاجتماعية كانت بنتى رسمية فى حضانتها وقد كبرت فخشيت لو تركتها عندها أن تفسد تربيتها وتتأثر بالبيئة التى تعاشرها ولو أهملت شأنها لما استطاعت والدتها أن تعرف مكانى مدى حياتها لأنها لاتعرف إسمى الحقيق ولا تقرأ فى الصحف شيئا ولا تدرى من أمور الدنيا قليلا ولا كثيرا ولو تسلمت البنت فى عامها العاشر مثلا لكانت تربيتها قد

جمدت على قالب لايرضى وتذهب جهود الاصلاح بعد ذلك سدى فذهبت ذات يوم صوب مسكنها وما لبثت أن تحققت بنفسى أن رسمية لا تزال على قيد الحياة دون أن يشعر أحد بهذه الزيارة وعلى ذلك بحثت عن الشيخ سيد ابراهيم الموظف بمصلحة التنظيم فوجدته بحلوان فذهبت اليه وأطلعته على حقائق الامور وطلبت إليه مساعدته فى تسليم البنت إلى أبيها فلم يدخر وسعا فى تحقيق هذا الغرض ولكن الأم رفضت ذلك رفضا تاما زاهدة فى كل شىء إلا ابنتها وعلى ذلك ترك الشيخ سيد التدخل فى هذا الامر بعض الشىء وأخيرا بعد محاولات عدة ومتاعب جمة التجأت إلى مهندس كبير بمصلحة التنظيم من رؤساء الشيخ سيد وبتدخل هذا الكبير فى الأمر واستعماله التهديد والضغط تنازلت الأم نهائياً عن القيام بتربية ابنتها وبذلك أنقذت البنت وتسلمتها وهى فى سن الخامسة من عمرها ومنذ ذاك الحين وهى بمنزلى وتحت اشرافى ورعايتى .

أما الزوجة الثانية التى اضطررت إلى هجرها بغير طلاق كما يذكر القراء فقد انتظر أهلها طويلا ولما لم أعد إليهم ذهب أخوها رمضان إلى الفيوم حيث يعتقدون أننى سافرت وسأل عنى في جميع الدوائر الحكومية والأهلية وطاف على كثير من القرى المحيطة بالفيوم فلم يعرف أحد شخصا بالاسم والأوصاف التى ذكرها ثم توظف عند أحد تجار الفيوم وقتا طويلا كى يكون على صلة ومقربة من أهالى المديرية وأخيرا لما أعيته الحيل عاد إلى القاهرة ورفعوا دعوى أمام محكمة الخليفة الشرعية وأبلغت النيابة العمومية لتبحث عن شخص هجر زوجته وغاب غيبة منقطعة واسمه عبد اللطيف سليمان وصارت النيابة بهذا الحادث الجديد تبحث عن شخصين أحدهما اسمه شكرى والآخر اسمه سليمان دون أن تعرف أنهما شخص واحد وأخيرا طُلقت الزوجة على يد المحكمة وتزوجت من نفس قريبها الذى كان يريد زواجها من قبلى وقد عرفت تفاصيل ذلك فى عام ١٩٢٥ بغير أن يعلموا هم شيئا عنى إلى الآن .

أما وقدتم تدوين حوادث الاختفاء فانا نقدم إلى حضرات القراء تقارير بخط اليد منقولة إلى الكتاب بالزنكغراف وهى مقدمة من بعض حضرات الذين كان صاحب المذكرات يعاشرهم أو يعاملهم لمناسبات مختلفة فى أثناء اختفائه وقد شرحوا فيها حقائق الأحوال التى كانوا يرونها بأنفسهم فى زمن الاختفاء دون أن يعلموا من أسرار الموقف شيئا لا قليلا ولا كثيرا .

هذا وقد كان صاحب المذكرات مولعا منذ الصغر بتصوير نفسه فى أول يوم من أيام السنة العربية فى كل عام ولذا صار عنده الآن مجموعة كبيرة من ذلك وسيقدم صورا من بعضها إلى حضرات القراء فى آخر الكتاب .

التقـــارير والصـــور

التقرير المقدم من حضرة محمد افندى امين منصور

ناظر ملجأ جلالة الملك بالمنيا

وهو مكتوب بخط يده ومنقول إلى هذا الكتاب بالزنكغراف

(انظر ص : ط المقدمة)

أطلعني حضرة سيد أفندي شكري الكرداوي على مذكراته . بحضوري
سوقه أيام أعلنت الحماية البريطانية على مصر في ديسمبر ١٩١٤ . وأقرأني
كنت في هذا التاريخ متخرجاً حديثاً من مدرسة الفنون والصنائع الخديوية
ببولاق . وأشتغل بلا عمل بعد ما عدت لقضاء السنة التمرينية .
وأقيم مع بعض اخواني من أهالي المنصورة في منزل واحد فشاهدنا
شكري أفندي الكرداوي بالقاهرة فجأة وذلك قبيل تتويج المرحوم السلطان
حسين كامل . ولم نكن نعلم من أمر حضوره شيئاً كما لم يطلعني هو
على شيء من مقاصده . ولكن حضر بعد أيام قليلة أخوه أحمد أفندي حسن
الكرداوي التاجر بالمنصورة وبعض أقاربه ، وأخذوا يبحثون عنه ويسألوننا
عن محل وجوده في حالة ذعر واضطراب وعلمنا من أخيه المذكور أنه
بلغه خبراً بأن شكري أفندي أخيه ما حضر للقاهرة إلا بقصد ضرب السلطان
حسين كامل بالرصاص احتجاجاً على قبوله رفع الحماية البريطانية على مصر
ولتنبيه الشعور العام وتنبيه الأذهان من عمل بريطانيا وذلك في
حفلة تتويجه . فأخذنا نبحث عنه في جميع أنحاء القاهرة طوال ليل التتويج
وفي الصباح أي يوم حفلة التتويج بالذات رتبنا أنفسنا وتوزعنا على
منافذ ميدان عابدين لمراقبة حضوره بدافع تأثرنا من اهتمام أخيه
وأقاربه ومنعه من إتيان هذا الحادث ولم ير أحدنا حتى تم حفلة التتويج

وعلمنا في هذا اليوم بأن أخاه وأقاربه قابلوه وأخذوا يشددون عليه
في العودة معهم إلى المنصورة ليعرفوا أهله فيه حيث رشدوا عليه كثيرا
وصمموا على ذلك لقضية أكيدا منهم لما لزم الأمر ولو بتبليغ البوليس عليه
وتم الأمر بعودته معهم إلى المنصورة في اليوم المذكور.

وبعد أسابيع قليلة لم نشعر الأوربيان بالقاهرة من أخرى ولم
نعلم من أمره شيئاً في صف المرشدين ولكن بعد عدة أيام سمعنا
بأن محمد خليل ابن أبو عمة ضرب نحو المرحوم السلطان حسين كامل
مسدس في باكر من الورد وأطلق عليه رصاصة أصابت العربة بالقرب
من رأس السلطان حسين كامل بجوار سراي عابدين في أبريل ١٩١٥
وقد قبض على شكري ابن بالقاهرة وعلى بعض أقاربه وأخيه بالمنصورة
ثم أفرج عنه وعاد إلى البلاد وهذا ما أذكره بالدقة عن هذا الموضوع
حيث لا يزال ماثلا بذاكرتي كأنه حدث دون أن أنسى منه شيئاً

٢٨ يناير ١٩٣٥

سكرتير ...
ناظر مدرسة ...
فؤاد الأول بالمنيا

التقرير المقدم من حضرة عبد اللطيف افندى سيد احمد

تاجر الحدايد بمدينة المنصورة

وهو مكتوب بخط يده ومنقول إلى هذا الكتاب بالزنكغراف

(انظر ص : ى المقدمة)

الحمد لله على ما جاء في مذكرات حضرة المرحوم محمد افندي شكري الكرداوي وعلى الاخص الجزء المدون به حادثة الاعتداء على السلطان حسين كامل فوجدته يقول

(ومن عجيب الظروف اني وفقت فجأة الى الحصول على مسدس شاف من طراز براوننج كان احد الطليان ويدعى مسيو جوفنبرج وهو كوميسيونجي حدايد المانية بالمنصورة قبيل الحرب الى حضرة صديقي الفاضل عبد اللطيف افندي لطفي سيد احمد تاجر الحدايد بمدينة المنصورة فلما علم عبد اللطيف افندي مني بالغرض من البحث عن مسدس شاف تبرع لي به ورفض ان يتناول عنه ثمنا ما)

وانني اقرر بان هذا هو ما حصل ولم يكاشفني به المرحوم شكري افندي الا بعد ان شاهدنا الحرية منزوية ضمن الحماية البريطانية منذ ان فرضت على مصر ورجعت بيننا مؤزرا في الخواطر والشعور في صدور كل المخلصين

عبد اللطيف لطفي سيد احمد
تاجر حدايد بالمنصورة

الخطاب المقدم من حضرة حسام الدين افندى محمد

الموظف بمجلس مديرية المنيا

وهو مكتوب بخط يده ومنقول إلى هذا الكتاب بالزنكغراف

(انظر ص ١٠٨)

المنيا في ٢ / ١٢ / ١٩٢٤

عزيزي الأخ محمد أفندي شكري الكرداري

الموظف بوزارة المعارف

بعد التحية، سمعت من حضرتكم وأنتم تقصون حكاية اختفائكم خمس سنوات عن أعين البوليس على مسامع حضرات محمد أفندي عثمان وعبد الحميد أفندي كامل وعبد العزيز أفندي عمر وعبد الوهاب أفندي يس ومحمود أفندي عبد الرازق من موظفي مجلس مديرية المنيا وكان من جملة الجزء الخاص باشتغالكم بالسحر والعرافة لكثير من الناس وكان من بين ذلك حكاية العثور على ساعة ذهبية سرقت من شخص يدعى حسن أفندي محمد جميل تاجر بناحية القلعة بمصر بناء على إرشاداتك وتفكيرك الخاص فأدهشني جدا أنني كثيرا ما عاشرتك وسرت معك في الطرق طويلا وتزاورنا في المنازل مرارا ومع ذلك لم أكن أعلم بل لم يكن يخطر على خاطري أنك الشخص الذي كنت قد سمعت بخصوصه حكاية هذه الساعة من نفس الشخص المسروقة منه وكنت حيران من تأويل هذه الأمور وكيف يتيسر لشخص أن يظهر المخبآت وكنت على شوق عظيم للتعرف بهذا الشخص وبمناسبة ذلك أتشرف بإرسال هذا الخطاب إليك أقرر فيه ما سبق أن سمعته في ١٩٢٢

بخصوص هذه المسائل مع اعجابي الشديد بكم و بكفاءاتك الممتازه وها انا ادون فيما يلي ما سبق ذكرته أمس امام الاخوان المذكورين اعلاه عقب سماعي حوادثك و انت تقصها علينا وتتلخص فيما يأتي

توفي والدي المرحوم السيد محمد اسعد الحسيني في نوفمبر سنة ١٩٢٢ وفي اثناء المأتم الذي كان مقاما بشارع البابا الجديد بالقلعه حضر معزون كثيرون كان من بينهم على ما أؤكد شخص يسمى حسين افندي محمد جميل تاجر ادوات كهربائيه بشارع شيخون بالقرب من القلعه ثم جرت في غضون الاحاديث مع آخرين في المأتم ان جاءت ذكرى المشتغلين بالأعمال الروحانيه وما نظهرونه من العجائب فكان منا المصدق ومنا المكذب فانبرى من وسط هذا الجمع حضرة حسين افندي جميل المذكور وأكد انه من بين الذين هم الاشخاص من خصوصي متيقن المرارة والصدق ودليل على ذلك انه لا يزال يذكر شيئا على جانب عظيم من الكفاءة في اظهار مخبآت الحوادث ثم سرد علينا حكاية الآتيه

قال انه في غضون ١٩٢٠ تفقد ذات يوم ساعته الذهبيه الكرونومتر التي يبلغ ثمنها أربعين جنيها في الجيب الداخلي لمعطفه اثناء خروجه من محل جلالته فلم يعثر عليها وكان وقع هذا الحادث أليما جدا في نفسه فاستمر

يبكي حتى اجتمع خلق كثيرون حوله وكان من بينهم امرأة ارشدته الى شيخ يقطن بحارة حوش الحدادين بجهة القلعة اسمه الشيخ سليمان فقام فوراً وذهب اليه واعطاه أثره ولم يمض يومان حتى استدعاه الشيخ المذكور وأكد له أن السارق للساعة هو العامل الموجود بنفس محله وعلى ذلك عاد واخفى ما اخبره الشيخ به على العامل وانما عرفه بان شهودا رأوه وهو يعطيها لشخص آخر فانكر في اول الامر ثم عاد وطلب منه خمسين قرشا فقط ليرجعها اليه حيث ذكر انه أخذ مثل هذا المبلغ عربونا لتنازله من أحد الاشخاص الذين اتفق معهم على شرائها منه بمبلغ خمسة جنيهات وعلى ذلك اعطاه حسين افندي المبلغ المذكور ثم ذهب العامل وبعد قليل عاد اليه ومعه الساعة وهنا يقول حسين افندي انه يتأسف لعدم ارساله شخصا آخر في الخفاء وراء هذا العامل ليستبين مقر الشخص الذي أودعت عنده الساعة فأحدثت هذه الحكاية شوقا عظيما عند جميع السامعين وقتئذ حتى سأل بعضنا عن محل اقامة هذا الشيخ لزيارته فاخبر انه منذ اكثر من انه نقل الى جهة اخرى ولا يعرف احد مقره الآن فتأسف الجميع لذلك واظهروا اعجابهم من هذه الحكاية ولم كنت انا متشوقا من عدم معرفة هذا الشيخ لأمور خاصة كانت

- ٤ -

تشغل بالى وقتئذ وكان يهمنى جدا أن يساعدنى فى معرفة نتائج لى شيخ عظيم كهذا الذى سمعت عن عادات المسائل بهذا الشكل والكل يعتقدون فى طهارته واتصاله بالجن.

تلك خلاصة الحكاية التى سمعتها بنفسى فى ١٩٢٢ تقريبا وأكرر لكم يا عزيزى (الشيخ سليمان سابقا) وأتمنى لك مستقبلا باهرا بما أنت جدير به وأملى عظيم فى أن أقرأ مذكراتك التى شوقتنى إليها فى القريب العاجل إن شاء الله.

وختاما تقبلوا منى عظيم التحية وفائق الاحترام

المخلص

حسام الدين

مجلس مديرية المنيا

التقرير المقدم من حضرة الشيخ محمد على المهدى

ناظر مدرسة النجاح سابقاً

وهو مكتوب بخط يده ومنقول إلى هذا الكتاب بالزنكغراف

(انظر ص ١٤٥)

في عام ١٩٢١ كنت ادير مدرسة اوليه
اسمها مدرسة النجاح في اول شارع الخليج وكان
بالمدرسة مدرس يدعى الشيخ محمد خليل وحدث
انه مرض مرضا خطيرا انقطع عن الحضور الى
المدرسة فشرعت ابحث عن مدرس آخر ليحل محله
واخيرا هداني صديقي الشيخ محمد عبد الغني الى استاذ
يسمى الشيخ عبد اللطيف سليمان وقدمه الى
باعتبار انه يسكن بجواره وانه من الحاصلين
على الشهادة الاهلية من الازهر وانه ذو كفاءة
علميه عظيمة فدعوت هذا الاستاذ للتدريس
معي بالمدرسة فقام بعمله خير قيام الى ان شفى
الشيخ خليل من مرضه وعاد الى وظيفته فطلب
مني الشيخ سليمان ان اسمح له بالتدريس من
غير اجر بمدرسة البنات الكائنة بحارة
البندر وكنت امتلكها ايضا ولما كان الشيخ

سليمان مشهور فى الجهة بانه غنى ومن عائله
كبيرة فى العلوم وشيخ مبارك ماهر فى الجهاد
المخبأت لم يكن لطلبة الاشتغال بغير اخر
الا امر عاله دينا ومعقولا فعلى ذلك قابلت
طلبه على عجل واستمرت تحضر الى مدرس
البنات بانتظام لمدة ثلاثة شهور تقريبا
الى ١٣ شارع على مطر مفتش المعارف
باستيداله بمعلمة فلما سمع الشيخ سليمان
هذا الخبر لم يسعه الا الاعتذار عن الاستمرار
في الشغل وانقطع عن الحضور الى المدرس ولكنه
استمر يقابلني كثيرا في القهوات ايام عزمه
على الزواج ثم رافقني كذلك الى المنازل التى
كنا نقيم السهرات فيها وانا والشيخ محمود غللى
والشيخ حسين رمضان وآخرون وكان

يذهب معي ايضا لزيارة حضرة احمد افندي
صبري من كبار رجال البوليس السري
بمنزله الكائن بشارع طولون وبعد مدة
طويلة انقطع عن الظهور ولم نعد نراه وظننا
انه سافر الى بلده وكانت دهشتنا عظيمة
جدا لما تأكدنا بعد ذلك بمدة طويلة انه هذا
الشيخ الذي كان يقيم بيننا بشكل عادي جدا
هو نفس حضرة محمد افندي شكري الكرداوي
الذي كانت الحكومة تبحث عنه بمكافأة
قدرها ... جنيه لمن يقبض عليه
لمناسبة حادثة سياسية وقعت عام
١٩١٩ وعرفنا انه استمر متنكرا بأسماء
واشكال مختلفة مدة خمس سنوات الى ان صدر
العفو العام سنة ١٩٢٤ عن جميع المحكوم

عليهم سياسيا وانى ابعث الى حضرتكم
تحياتى واعجابى به واقروا انه لم يكن
بالامكان مطلقا ان يكتشف احد منا
حقيقته فى مدة اختفائه لانه لم يكن
يصدر منه اية حركة او كلمة او نشاط
عنه الاشاعة يمكن ان يستنتج الانسان
منها شيئا ولم يكن يظهر عليه انه
يشتغل بالسياسة او مهتما بها

محمد على المهدى

محمد على المهدى
صاحب مدرسة
النجاح سابقا

التقرير المقدم من حضرة الشيخ سيد ابراهيم احمد

الموظف بمصلحة التنظيم بمصر

وهو مكتوب بخط يده ومنقول إلى هذا الكتاب بالزنكغراف

(انظر ص ١٥٤)

في عام ١٩٢٧ كنت موظفا في مصلحة التنظيم بمصر
التي لا زلت بها الى الآن وحدث انى سكنت بعمارة
جوهرى الحداد بدرب جلف في الخليفة وكنت رئيس عمال
والبس عمامة ولما اختلطت برجال الحارة قالوا لى
بأن جارك الشيخ عبد اللطيف سعيد رجل ولى
الله عربي وتقي وصالح ويشتغل بعلم الغيب
وعنده صيت بين الناس ولا يأخذ نقودا الا
القليل منه الذي يدفع ولذلك مدحه لى
صاحب المنزل المسمى ابراهيم افندى الحلبي
فتمنيت ان اعرف هذا الشيخ العظيم وبعد مدة
قليلة صرت اصلى معه وأذهب لأجلس معه
منزله الى الليل وحدث بليلة بالغيب نظرا
فحيث انى لا اعتقد فيه الى ان يشتغل نهارا
باحضار الجن عند حبذا ان لم يبين مطلقا
رغم جهلى له وكنت احضر له دفعة السوء لكل شيء
وكانت زوجتي تعتقد فيه بأنه ولى الله حقا

انتقل الحيط على الحيط ولا يوجد في الحارة رجل
اسمه اسماعيل فالحي كان يستخدمه لانه شيخ عظيم
لا يمانع لذا شيخ أخوه وذلك بساعده في مصاريف دزينتي
ثم محطم الى زوجها بيوا سطنه وايضا الحارقة
سعيد زها بيه غالية جدا كانت سرقت منه احد
تجار الكهربا الى صاحبها وكانت الحارة للتجا
تقبيل يديه وتطلب منه الدعاء وعلما انشغل هانم
حوش الحدادين الى حارة رشوان كان الناس
تكرهم في الحارة في اسف شديد معه اشغالهم بسبب
عدمهم ولم يلاحظ عليهم الا كثرهم الصلاة والصلاح
ولا افتقار في حاله وعدلين كانت الهم ما نفوس
مصيبة فيما جميعا وحيد بن طلحة بيني ولكنه
انا شاهد هذا الحدث ولكن عدة علم بعد ذلك
ما اذا جرى له بعد سنوات طويلة عندما كنت
في حلوان ولكنه ١٩٢٤م اشتغل هناك في
فلما رأيته لم اعرفه وعندما الكلام عن نشأه وراجنه

يبكي على وحيد بيته رسمية ولم يرد اخذها وبكى
امرها رفضت وبعد ذلك قرأت في الجرايد قصته
فهالني ذلك وحزنني كثيرا جدا وهو بكليته بخطيئته لي عليه
بل اذ يشتغل به كثيرا ـ حيث ان شيئا كهذا
يظهر عليه ابدا ما لطفنا معه انا كنا معه قليلا وكان
وصار كل مرة يبعث بالحكاية مع سعاد في قسم الخليعة
لم يجد عنها ابدا في اول الامر واخيرا اخذ
بنته معه لحد ذلك

اخيه

سيد السيد احمد

٥ مارس ١٩٢٩ ملاحظ طرق بمصلحة التنظيم

بمصر

التقرير المقدم من حضرة الشيخ محمد توفيق رضوان
من أعيان أسيوط

وهو مكتوب بخط يده ومنقول إلى هذا الكتاب بالزنكغراف

(انظر ص ١٧٩)

في سنة ١٩٢٤ دخلت إحدى العيادات الطبية ورأيت شخصا يشتغل فيها كموظف عاد تلوح عليه علامات الأدب يلاطف المرضى ويعطف على الفقراء منهم ويعتنى بشأنهم فسألت عن اسمه فأجابني بأنه عبده منصور سالم وأنه حضر بأسيوط لأن جوها يناسب حالته الصحية وأنه من سكان القاهرة ويقيم هنا الى أن يتم له الشفاء وبعد ذلك بسنوات قابلته فعلمت أنه محمد افندى شكرى الكرداوى وأنه المتهم في حادث المرحوم محمد باشا سعيد وأخبرني بعض اخوانه بأن وجوده بأسيوط كان للاختفاء عن أعين الرقباء والبوليس وأعجبت بكتمانه أمره عن كل عارفيه مع رباطة الجأش والثبات ومن هذا العهد ونحن نحفظ له الوداد الجميل لما كان متحليا به من الكمال ومكارم الأخلاق

١ / ـ ١٤٢ المحرم ٢٥٢ ـ ٢٠ مايو ١٩٢٤ محمد توفيق رضوان

التقارير بحروف المطبعة

« وهنا نعيد كتابة ماجاء فى التقارير »
« بحروف المطبعة ليتسنى لحضرات »
« القـراء قراءتها بوضـوح تام . »

التقرير المقدم من حضرة محمد افندى أمين منصور

أطلعنى حضرة محمد افندى شكرى الكرداوى على مذكراته . بخصوص موقفه أيام إعلان الحماية البريطانية على مصر فى ديسمبر سنة ١٩١٤ . وأقرر أنى كنت فى هـذا التاريخ متخرجا حديثا من مدرسة الفنون والصنائع الخديوية ببولاق . وأشتغل بها بصفة مساعد مدرس لتمضية السنة التمرينية . وأقيم مع بعض إخوانى من أهالى المنصورة فى منزل واحد فشاهدنا شكرى افندى الكرداوى بالقـاهرة فجأة وذلك قبـل تتويج المرحوم السلطان حسين كامل . ولم نكن نعلم من أمر حضوره شيئاً كما لم يطلعنى هو على شيء من مقاصده . ولكن حضر بعد أيام قليلة أخوه احمد افندى حسن الكرداوى التاجر بالمنصورة وبعض أقاربه . وأخذوا يبحثون عنـه ويسألوننا عن محل وجوده فى حالة ذعر واضطراب وعلمنا من أخيه المذكور أنه بلغه سراً بأن شكرى افندى أخيه ما حضر للقاهرة إلا بقصد ضرب السلطان حسين كامل بالرصاص احتجاجا على قبوله رفع الحماية البريطانية على مصر وليثير الشعور العام وينبه الأذهان ضد عمل بريطانيـا وذلك فى حفلة تتويجه . فأخذنا فى البحث عنه في جميع أنحاء القاهرة طوال ليالى التتويج . وفى الصباح أى يوم حفلة التتويج بالذات رتبنا أنفسنا وتوزعنا على منافذ ميـدان عابدين لمراقبة

حضوره بدافع تأثرنا من اهتمام أخيه وأقاربه بمنعه من إتيان هذا الحادث ولم يره أحد منا حتى تمت حفلة التتويج .

وعلمنا فى مساء اليوم بأن أخاه وأقاربه قابلوه وأخذوا يشددون عليه فى العودة معهم إلى المنصورة ليفوتوا عليه قصده وشددوا عليه كثيراً وصمموا على ذلك تصميما أكيدا مهما كلفهم الأمر ولو بتبليغ البوليس عليه وتم الأمر بعودته معهم إلى المنصورة فى اليوم المذكور .

وبعد أشهر قليلة لم نشعر إلا ورأيناه بالقاهرة مرة أخرى ولم نعلم من أمره شيئاً فى هذه المرة أيضاً . ولكن بعد عدة أيام سمعنا بأن محمد خليل افندى ابن عمته صوب نحو المرحوم السلطان حسين كامل مسدسه فى باقة من الورد وأطلق عليه رصاصة أصابت العربة بالقرب من رأس السلطان حسين كامل بجوار ميدان عابدين فى ابريل سنة ١٩١٥ وقد قبض على شكرى افندى بالقاهرة وعلى بعض أقاربه وأخيه بالمنصورة ثم أفرج عنه وعاد اليها . وهذا ما أذكره بالدقة عن هذا الموضوع حيث لا يزال ماثلا بذاكرتى كما هو دون أن أنسى منه شيئاً ؟

محمد أمين منصور

٢٨ يناير سنة ١٩٣٥

ناظر ملجأ جلالة الملك

فؤاد الأول بالمنيا

التقرير المقدم من حضرة عبد اللطيف افندى سيد احمد

اطلعت على ما جاء فى مذكرات حضرة الأخ محمد افندى شكرى الكرداوى وعلى الأخص الجزء المدون به حادثة الاعتداء على السلطان حسين كامل فوجدته يقول :

(ومن عجيب الظروف أنى وفقت فجأة إلى الحصول على مسدسات من طراز برونتج كان أحد الألمان ويدعى موريس جولدنبرج وهو كومسيونجى

حدايد المانيه باعها قبيل الحرب إلى حضرة صديق المفضال عبداللطيف افندى لطفى سيد احمد تاجر الحدايد بمدينة المنصورة فلما علم عبد اللطيف افندى منى بالغرض من البحث عن مسدسات تبرع لى بها ورفض أن يتناول لها ثمنا ما)

وإني أقرر أن هذا هو ماحصل ولم يكاشفني به الأخ شكرى افندى إلا بعد أن تبادلنا الحديث مرارا ضد الحماية البريطانية منذ أن رفعت على مصر ووجد بيننا توارد فى الخواطر والشعور فى صدد هذه الفكرة ؟

عبداللطيف لطفى سيد احمد
تاجر حدايد بالمنصورة

الخطاب المقدم من حضرة حسام الدين افندى محمد

المنيا فى ٢ / ١٢ / ١٩٣٢

عزيزى الأخ محمد افندى شكرى الكرداوى
الموظف بوزارة المعارف

بعد التحية ، سمعت من حضرتكم وأنتم تقصون حكاية اختفائكم خمس سنوات عن أعين البوليس على مسامع حضرات محمدافندى عثمان وعبدالحميد افندى كامل وعبدالعزيز افندى عمر وعبدالوهاب افندى يس ومحمود افندى عبدالرازق من موظفى مجلس مديرية المنيا وكان من بينها الجزء الخاص باشتغالكم بالسحر والعرافة لكثيرين من الناس وكان من بين ذلك حكاية العثور على ساعة ذهبية سرقت من شخص يدعى حسين افندى محمد جميل تاجر بناحية القلعة بمصر بناء على إرشاداتك وتفكيرك الخاص فأدهشنى جدا أننى كثيرا ماعاشرتك وسرت معك فى الطريق طويلا وتزاورنا فى المنازل مرارا ومع ذلك لم أكن أعلم بل لم يكن يطرأ على خاطرى أنك الشيخ الذى

كنت قد سمعت بخصوصه حكاية هذه الساعة من نفس الشخص المسروقة منه وكنت حيران من تأويل هذه الأمور وكيف يتيسر لشخص أن يظهر المخبآت وكنت على شوق عظيم للتعرف بهذا الشيخ وبمناسبة ذلك أتشرف بارسال هذا الخطاب اليك أقرر فيه ماسبق أن سمعته فى سنة ١٩٢٣ بخصوص هذه المسألة مع إعجابى الشديد بك وبكفاءتك الممتازة وها أنا أدون فيه ماسبق ذكرته أمس أمام الاخوان المذكورين أعلاه عقب سماعى حوادثك وأنت تقصها علينا وتتلخص فيما يأتى :

توفى والدى المرحوم السيد محمد أسعد الحسينى فى نوفمبر سنة ١٩٢٣ وفى أثناء المأتم الذى كان مقاماً بشارع الباب الجديد بالقلعة حضر معزون كثيرون كان من بينهم على ما أؤكد شخص يسمى حسين افندى محمد جميل تاجر أدوات كهربائية بشارع شيخون بالقرب من القلعة ثم حدث فى غضون الأحاديث مع آخرين فى المأتم أن جاءت ذكرى المشتغلين بالأعمال الروحانية ومايظهرونه من العجائب فكان منا المصدق ومنا المكذب فانبرى من وسط هذا الجمع حضرة حسين افندى جميل المذكور وأكد أنه من بين هؤلاء الأشخاص من هو في منتهى المهارة والصدق ودليله على ذلك أنه لا يزال يذكر شيخا على جانب عظيم من الكفاءة فى إظهار مخبآت الحوادث ثم سرد علينا حكايته الآتية

قال إنه فى غضون سنة ١٩٢٠ تفقد ذات يوم ساعته الذهبية الكرونومتر التى يبلغ ثمنها أربعين جنيها فى الجيب الداخلى لمعطفه أثناء خروجه من محل حلاق فلم يعثر عليها وكان وقع هذا الحادث أليما جدا فى نفسه فاستمر يبكى حتى اجتمع خلق كثيرون حوله وكان من بينهم امرأة أرشدته إلى شيخ يقطن بحارة حوش الحدادين بجهة القلعة إسمه الشيخ سليمان فقام فورا وذهب إليه وأعطاه أثره ولم يمض يومان حتى استدعاه الشيخ المذكور وأكد له أن السارق للساعة هو العامل الموجود بنفس محله وعلى ذلك عاد وأخفى ما أخبره الشيخ به على العامل وإنما عرفه بأن شهودا رأوه وهو يعطيها لشخص آخر

فانكر فى أول الأمر ثم عاد وطلب منه خمسين قرشا فقط ليرجعها إليه حيث ذكر أنه أخذ مثل هذا المبلغ عربونا لثمنها من أحد الأشخاص الذى اتفق معه على شرائها منه بمبلغ خمسة جنيهات وعلى ذلك أعطاه حسين افندى المبلغ المذكور ثم ذهب العامل وبعد قليل عاد إليه ومعه الساعة وهنا يقول حسين افندى أنه يتأسف لعدم إرساله شخصا آخر فى الخفاء وراء هذا العامل ليتبين مقر الشخص الذى أودعت عنده الساعة فأحدثت هذه الحكاية شوقا عظيما عند جميع السامعين وقتئذ حتى سأله بعضنا عن محل إقامة هذا الشيخ لزيارته فأخبره أنه متأكد من أنه نقل إلى جهة أخرى ولا يعرف أحد مقره الآن فتأسف الجميع لذلك وأظهروا إعجابهم من هذه الحكاية وكم كنت أنا متشوقا معهم لمعرفة هذا الشيخ لأمور خاصة كانت تشغل بالى وقتئذ وكان يهمنى جدا ان يساعدنى فى معرفة نتائجها شيخ عظيم كهذا الذى سمعت عنه مادامت المسألة بهذا الشكل والكل يعتقدون فى مهارته واتصاله بالجن .

هذه خلاصة الحكاية التى سمعتها بنفسى فى سنة ١٩٢٣ وأكرر لك ياعزيزى (الشيخ سليمان سابقا) تحياتى وأتمنى لك مستقبلا باهرا بما أنت جدير به وأملى عظيم فى أن أقرأ مذكراتك التى شوقتنى اليها فى القريب العاجل إن شاء الله .

وختاماً تقبلوا منى عظيم التحية وفائق الاحترام ؟

المخلص

حسام الدين

بمجلس مديرية المنيا

التقرير المقدم من حضرة الشيخ محمد على المهدى

فى عام ١٩٢١ كنت أدير مدرسة أولية اسمها مدرسة النجاح فى أول شارع الخليفة وكان بالمدرسة مدرس يدعى الشيخ محمد خليل وحدث أنه مرض مرضاً خطيراً وانقطع عن الحضور إلى المدرسة فشرعت أبحث عن مدرس آخر ليحل محله وأخيراً هدانى صديق الشيخ محمد عبد الغنى إلى أستاذ يسمى الشيخ عبد اللطيف سليمان وقدمه إلى باعتبار أنه يسكن بجواره وأنه من الحاصلين على الشهادة الاهلية من الازهر وأنه ذو كفاءة علمية عظيمة فدعوت هذا الأستاذ للتدريس معى بالمدرسة فقام بعمله خير قيام إلى أن شفى الشيخ خليل من مرضه وعاد إلى وظيفته فطلب منى الشيخ سليمان أن أسمح له بالتدريس من غير أجر بمدرسة البنات الكائنة بحارة البئر وكنت أمتلكها أيضاً ولما كان الشيخ سليمان مشهوراً فى الجهة بأنه غنى ومن عائلة كبيرة فى الفيوم وشيخ مبارك ماهر فى إظهار المخبآت لم يكن طلبه الاشتغال بغير أجر إلا أمراً عادياً ومعقولا فعلى ذلك قبلت طلبه على عجل واستمر يحضر إلى مدرسة البنات بانتظام لمدة ثلاثة شهور تقريباً إلى أن أشار على حضرة مفتش المعارف باستبداله بمعلمة فلما سمع الشيخ سليمان هذا الخبر لم يسعه إلا الاعتذار عن الاستمرار فى الشغل وانقطع عن الحضور إلى المدرسة ولكنه استمر يقابلنى كثيراً فى القهوات أيام عزمه على الزواج ويرافقنى كذلك إلى المنازل التى كنا نقيم السهرات فيها أنا والشيخ محمود غالى والشيخ حسين رمضان وآخرون وكان يذهب معى أيضاً لزيارة حضرة احمد افندى صبرى من كبار رجال البوليس السرى بمنزله الكائن بشارع طولون وبعد مدة طويلة انقطع عن الظهور ولم نعد نراه وظننا أنه سافر إلى بلده وكانت دهشتنا عظيمة جداً لما تأكدنا بعد ذلك بمدة طويلة أن هذا الشيخ الذى كان يقيم بيننا بشكل عادى جداً هو نفسه حضرة محمد افندى شكرى الكرداوى الذى كانت الحكومة تبحث عنه بمكافأة قدرها ٥٠٠ جنيه لمن يقبض عليه لمناسبة حادثة سياسية وقعت فى عام ١٩١٩ وعرفنا أنه استمر متنكراً

باسماء وأشكال مختلفة مدة خمس سنوات إلى أن صدر العفو العام سنة ١٩٢٤ عن جميع المحكوم عليهم سياسيا وإنى أبعث إلى حضرته تحياتى وإعجابى به وأقرر أنه لم يكن بالامكان مطلقا أن يكتشف أحد منا حقيقته فى مدة اختفائه لأنه لم يكن يصدر منه أية حركة أو كلمة أو يشاع عنه إشاعة يمكن أن يستنتج الانسان منها شيئا ولم يكن يظهر عليه أنه يشتغل بالسياسة أو مهتما بها

محمد على المهدى
صاحب مدرسة النجاح سابقا

التقرير المقدم من حضرة الشيخ سيد ابراهيم احمد

فى عام ١٩٢٠ كنت موظف بمصلحة التنظيم بمصر التى لا زلت فيها إلى الآن وحدث أنى سكنت بحارة حوش الحدادين خلف قسم الخليفة وكنت ريس عمال وألبس عمامة ولما اختلطت باهل الحارة قالوا لى بان جارك الشيخ عبداللطيف سليمان رجل ولى ويشتغل بعلم الغيب ويذهب اليه الناس ولا يأخذ نقود إلا القليل من الذى يدفع ولذلك مدحه لى صاحب المنزل المسمى ابراهيم افندى المليجى فتمنيت أن أعرف هذا الشيخ العظيم وبعد مدة قليلة صرت أصلى معه وكان لا يخرج من منزله إلا بالليل ولم يكن يلفت نظرنا فى شىء لأننا كنا نعتقد فيه البركة وأنه يشتغل نهارا باحضار الجن وأخيراً كان لى بنت زوجتها له وكنت أحضر له من السوق كل شىء وكانت زوجتى تعتقد فيه أنه ولى الله وبأنه ينقل الحيط على الحيط وكان يوجد فى الحارة رجل اسمه اسماعيل قاسم كان يعتقد فيه بانه شيخ عظيم لا يماثله شيخ آخر وذلك لسماعه بحكايت رد زينب أم عطية إلى زوجها بواسطته وأيضا إعادته ساعة ذهبية غالية جداً كانت قد سرقت من أحد تجار الكهربة إلى صاحبها وكانت الحارة كلها تقبل يديه وتطلب منه الدعاء. ولما انتقل من حارة حوش الحدادين إلى

حارة وشوان بك كان الناس كلهم فى الحاره فى أسف شديد من انتقاله بعيداً عنهم ولم نلاحظ عليه إلا كثرة الصلاة والصلاح والاقتصار فى حاله ولذلك كان كل ما يقوله مصدق منا جميعاً وبعد ذلك طلق بنتى وكنت أنا متأسف جداً لحدوث ذلك ولا أعلم بعد ذلك ماذا جرى له إلا بعد سنوات طويلة عند ما حضر لى بحلوان وكنت أشتغل هناك فى سنة ١٩٢٤ فلما رأيته لم أعرفه وبعد الكلام عرفته ورأيته يسأل عن بنته رسمية ويريد أخذها ولكن أمها رفضت وبعد ذلك قرأت فى الجرائد قصته فكانت دهشتى كبيرة جدا ولم يكن يخطر لى على بال أنه يشتغل بالسياسة ولا كان شئ كهذا يظهر عليه أبداً مطلقاً مع أننا كنا معه ليلا ونهاراً وصار كل من يسمع بالحكاية من سكان قسم الخليفة لا يصدقها أبداً فى أول الامر وأخيراً أخذ بنته من والدتها

كاتبه

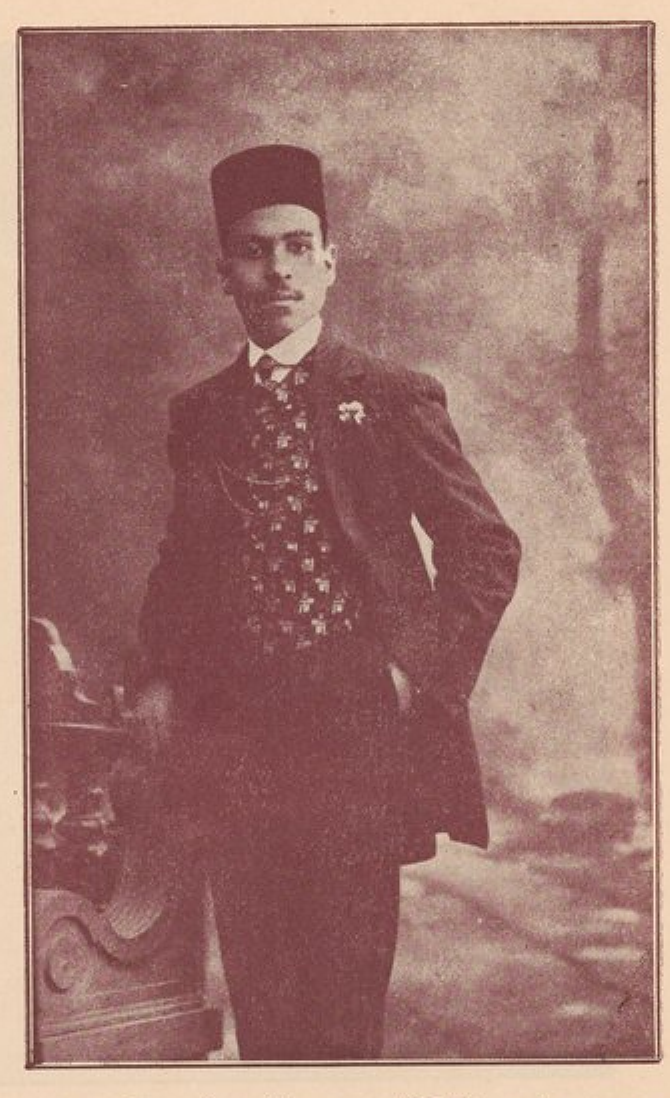
مارس سنة ١٩٢٨ سيد ابرهيم احمد

ملاحظ طرق بمصلحة التنظيم بمصر

التقرير المقدم من حضرة الشيخ محمد توفيق رضوان

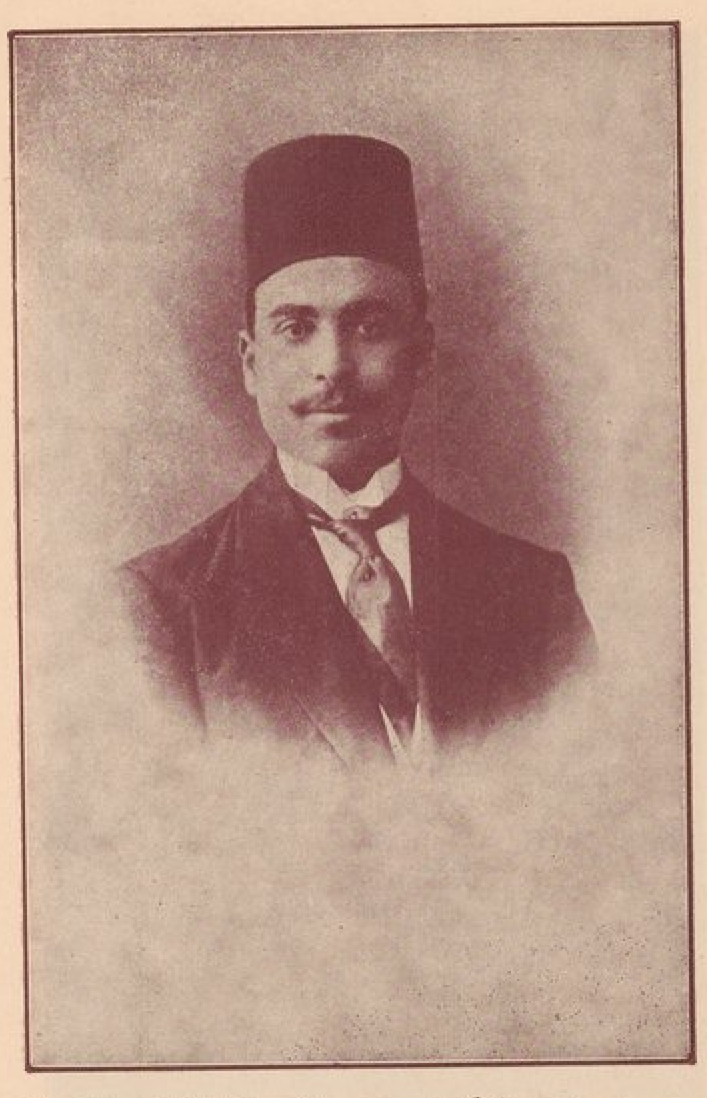
فى سنة ١٩٢٣ دخلت إحدى العيادات الطبية فرأيت شخصاً يشتغل فيها كموظف عاد تلوح عليه علامات الادب يلاطف المرضى ويعطف على الفقراء منهم ويعتنى بشأنهم فسألته عن إسمه فأجابنى بانه عبده منصور سالم وأنه حضر باسيوط لأن جوها يناسب حالته الصحية وأنه من سكان القاهرة ويقيم هنا إلى أن يتم له الشفاء وبعد ذلك بسنوات قابلته فعلمت أنه محمد افندى شكرى الكرداوى وأنه المتهم فى حادث المرحوم محمد باشا سعيد وأخبرنى بعض إخوانه بأن وجوده باسيوط كان للاختفاء عن أعين الرقباء والبوليس وأعجبت بكتمان أمره عن كل عارفيه مع رباطة الجأش والثبات ومن هذا العهد ونحن نحفظ له الوداد الجميل لما كان متحلياً به من الكمال ومكارم الأخلاق؟

تحريراً فى ٣٠ مارس سنة ١٩٣٤ محمد توفيق رضوان



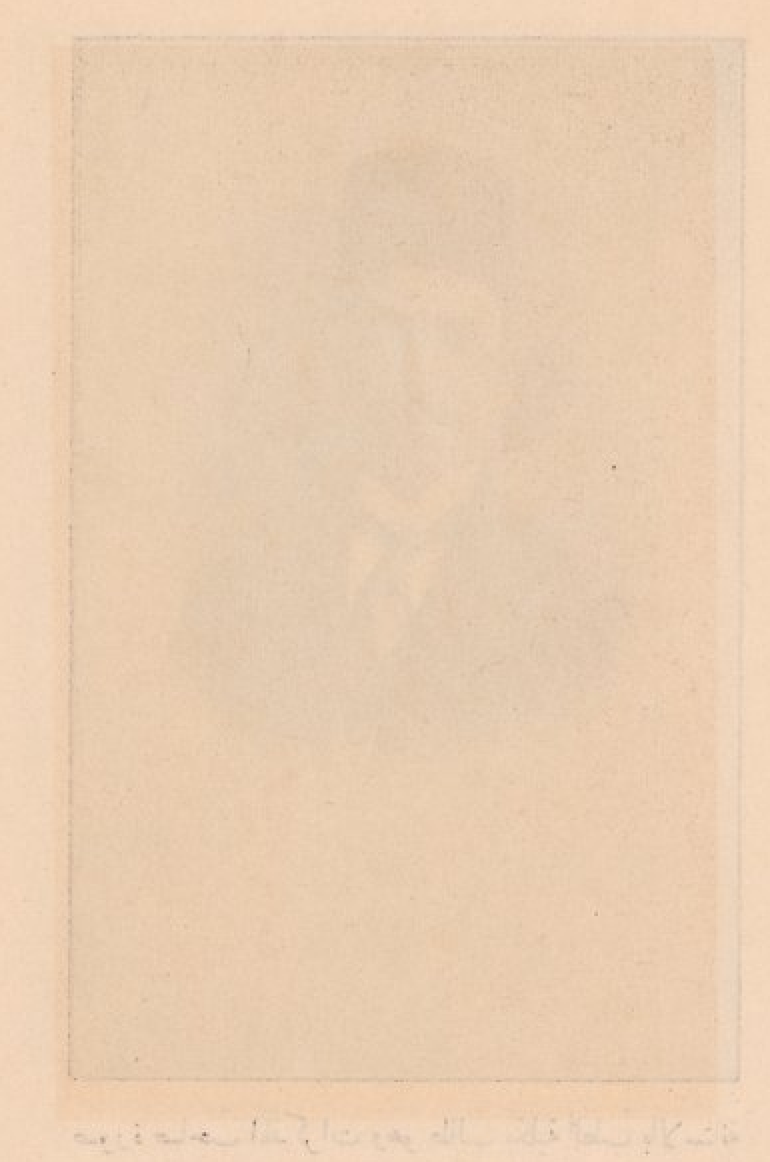
صورة صاحب المذكرات وهو طالب بالسنة الثالثة على
بالمدرسة العباسية الثانوية بالاسكندرية
صورت فى أول المحرم عام ١٣٣٠هـ. الموافق ٢٢ ديسمبر عام ١٩١١م

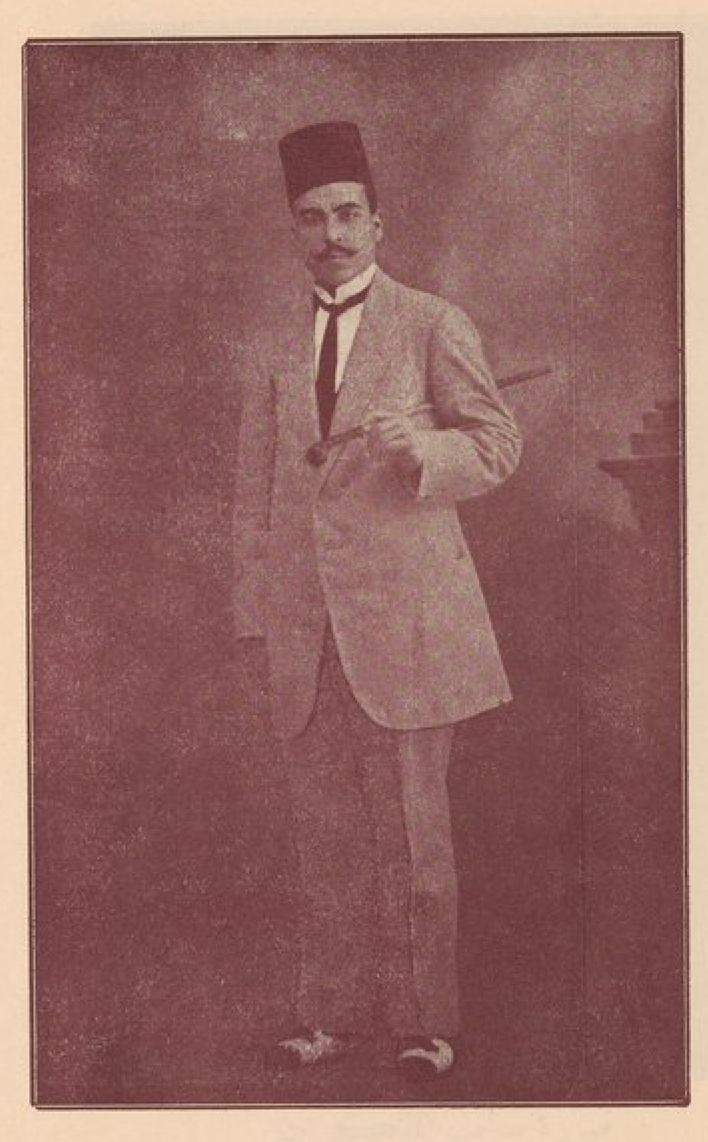




صورة صاحب المذكرات وهو طالب بكلية الطب بالاستانة

صورت فى أول المحرم عام ١٣٣٢ ﻫ . الموافق ٢٩ نوفمبر عام ١٩١٣ م .

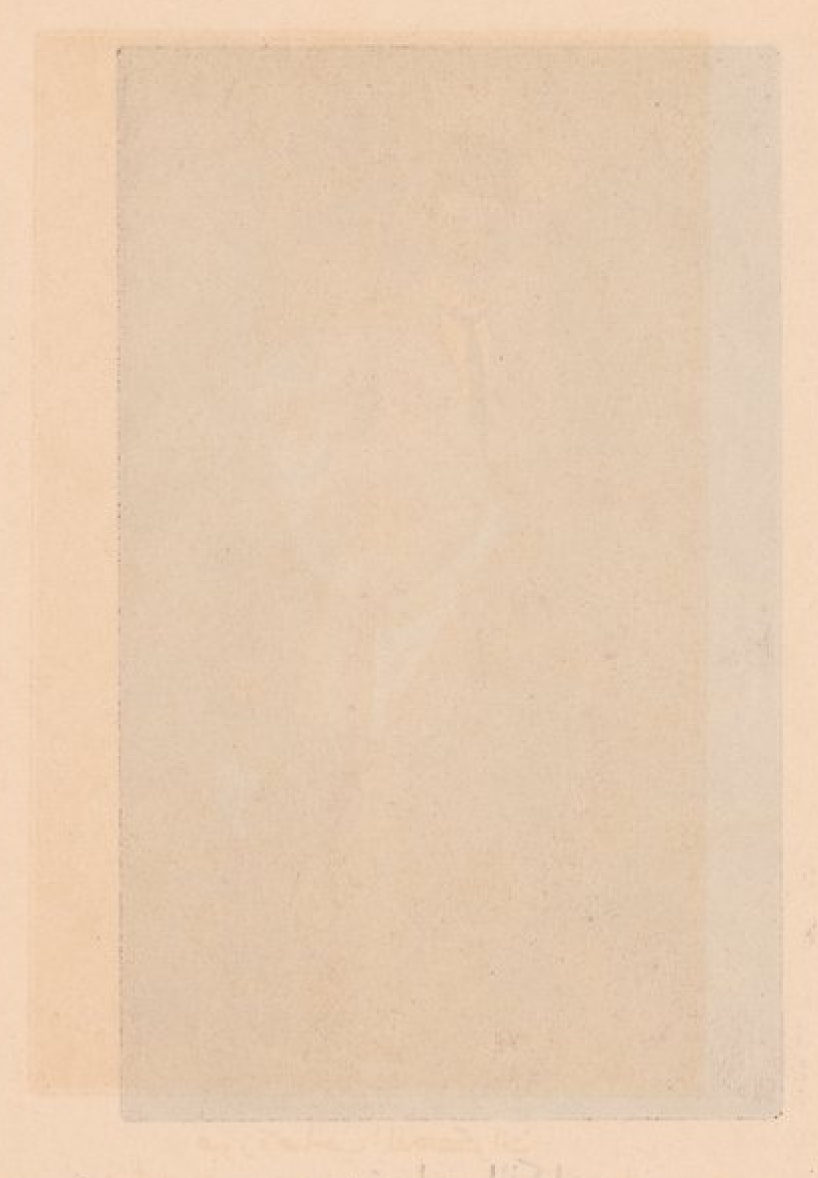




صورة صاحب المذكرات

صورت فى أول المحرم عام ١٣٣٣ ﻫ .

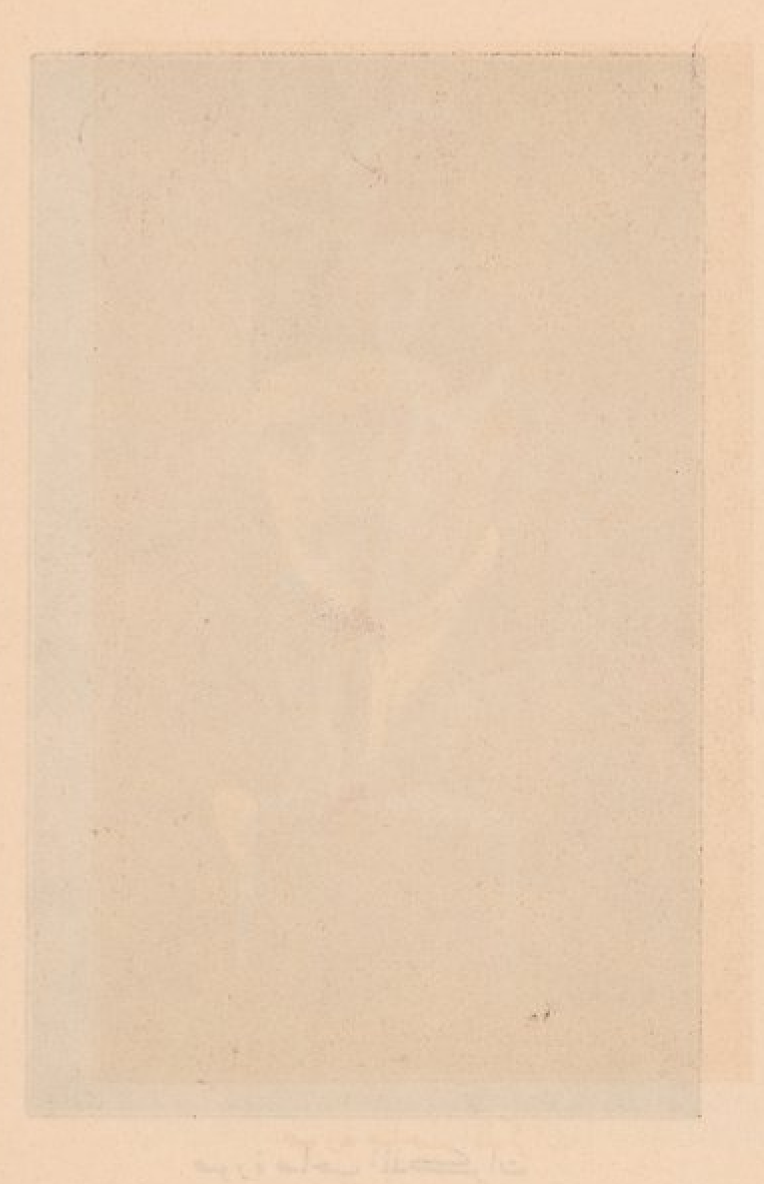
الموافق ١٩ نوفمبر عام ١٩١٤ م .

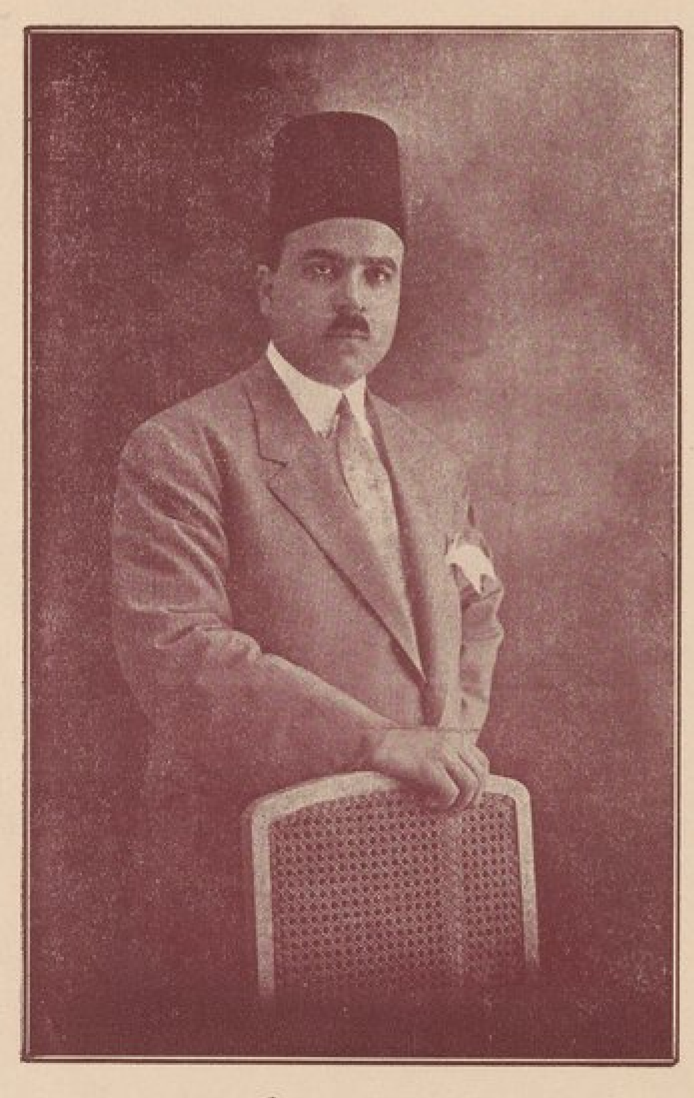




صورة صاحب المذكرات

صورت فى أول المحرم عام ١٣٤٥ - الموافق ١١ يوليو عام ١٩٢٦

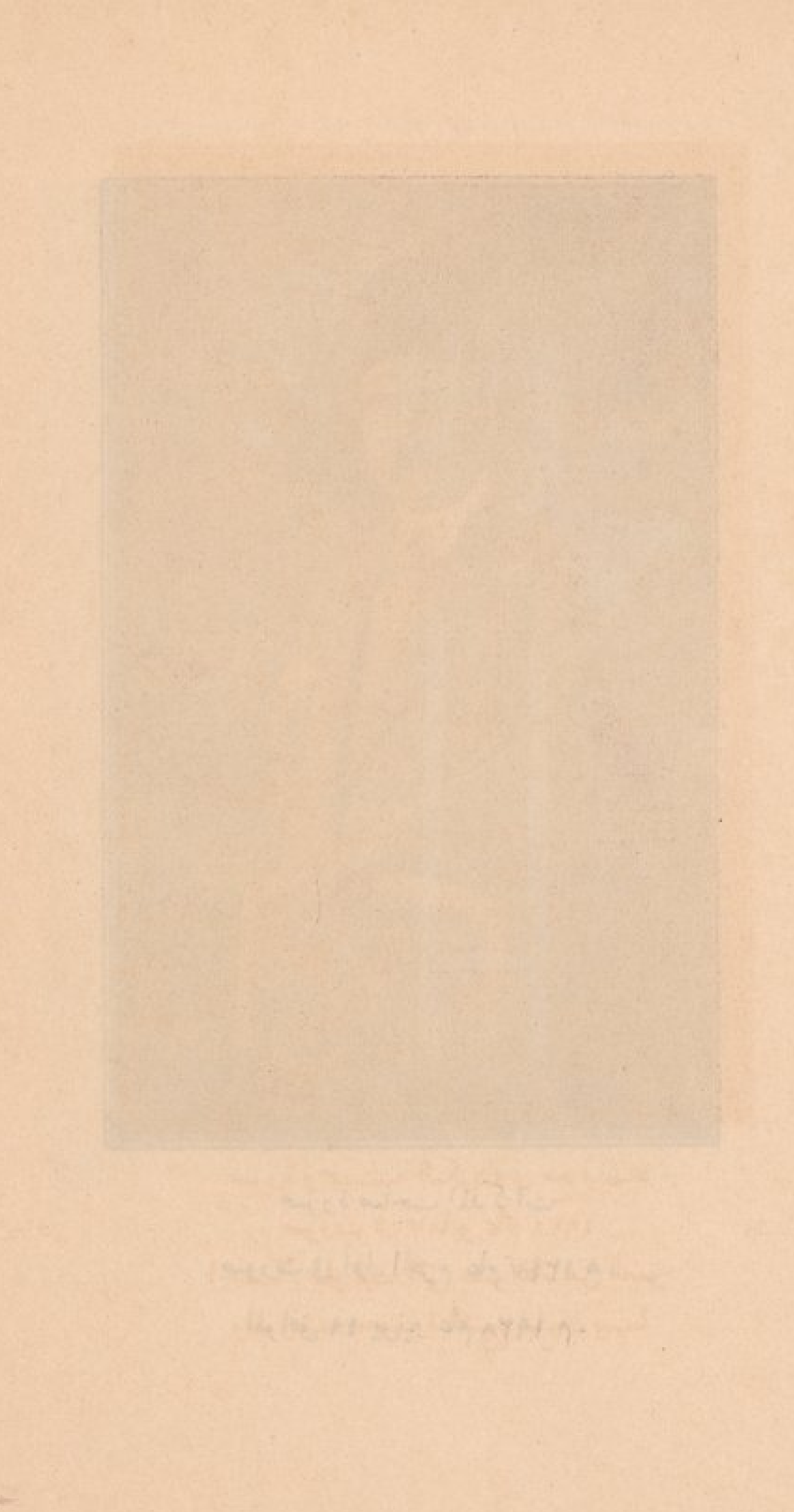




صورة صاحب المذكرات

صورت فى أول المحرم عام ١٣٤٧ هـ .

الموافق ١٩ يونيو عام ١٩٢٨ م .





صورة رسميـــة الكرداوى مع والدها
صورت فى ٣ مايو عام ١٩٢٤
احتفاءً ببلوغها اثنى عشر عاما من العمر
وقد وضعت صورة الشيخ سليمان بينهما

DATE DUE
